فاضل الربيعي

أسطورة عبور الأردن وسقوط أريحا

من اخترع هذا التاريخ؟

Jadawel جداول



فاضل الربيعي

أسطورة عبور الأردن وسقوط أريحا

من اخترع هذا التاريخ؟

Jadawel جداول

الكتاب: أسطورة عبور الأردن وسقوط أريحا .. من اخترع هذا التاريخ؟
المؤلف: فاضل الربيعي

جداول
للنشر والترجمة والتوزيع
رأس بيروت ـ شارع كراكاس ـ بناية البركة ـ الطابق الأول
هاتف: 746638 1 00961 ـ فاكس: 746637 1 00961
ص.ب: 5558ـ13 شوران ـ بيروت ـ لبنان
e-mail: d.jadawel@gmail.com
www.jadawel.net

الطبعة الأولى
كانون الثاني / يناير 2014
ISBN 978-614-418-171-3

طبع في لبنان

Caracas Str. - Al-Baraka Bldg.
P.O.Box: 5558-13 Shouran
Beirut - Lebanon
First Published 2014 Beirut

تصميم الغلاف: محمد ج. إبراهيم

المحتويات

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

خلاصة تنفيذية

لم يعبر بنو إسرائيل نهر الأردن، ويوشع بن نون لم يفتح أريحا الفلسطينية قط. والتوراة لا تعرف مأدبا التي يزعم كثرة من علماء الآثار أنها وردت فيها باسم (ميدب). وبكل يقين لم يدخل الملك داود، أورشليم وحصن بيت بوس من ضواحي دمشق ـ لأن جغرافية بلاد الشام ـ لا تعرف هذا الحصن الجبلي ولا وجود لبقايا لغوية او أثرية تدلّ عليه. لكن داود، مع ذلك وطبقًا لرواية التوراة، استولى بالفعل على الحصن العظيم في جغرافية أخرى. وها هو اليوم يقف أمامنا شامخًا باسمه القديم بيت بوس قرب صنعاء. لقد تسنى لي ـ مؤخرًا خلال زيارتين[1] متقاربتين زمنيًا للعاصمة اليمنية خلال ربيع 2012 ـ بدعوة كريمة من وزير الدفاع اليمني الأسبق الفريق الركن عبد الملك السّياني، وهو رجل واسع الاطلاع وقرأ مؤلفاتي بعناية فائقة، وقام بشرح مسهب لها في أكثر من مناسبة، مؤمنًا بأنها تكشف الحقيقة المسكوت عنها ـ أن أمشي على خطى الملك اليمني داود بين الجبال والوديان التي وصفتها التوراة، ورأينا هناك الأسماء ذاتها دون أدنى تعديل أو تبديل أو تحوّل فونوطيقي. وحين صعدتُ المرتفعات نحو هذا الحصن الجبلي المنيع وقرأت اسمه القديم بيت بوس، فقد أيقنت أن هناك من تلاعب بالتاريخ والجغرافيا. والمثير للدهشة، أن التوراة في وصفها للمعارك، تقول إن داود استولى على جبل وحصن صهيون وإنه أطلق عليهما اسمه: جبل دود דוד. وها هما أيضًا في قلب سراة جبلية تمتد من صعدة حتى شرق صنعاء: بيت بوس وجبل دود. لكن العامّة من الناس ينطقون الاسم بإضافة ألف ولام التعريف (جبل الدود)

(1) شاركني رحلتي الممتعة هذه الصديق الباحث السوري جورج كدر.

وهم يظنون خطأ أنه ينصرف إلى حشرات الأرض (الدود)؟ فمنْ لفق هذا التاريخ؟ وكيف تكون هذه الجبال والحصون في اليمن، بأسمائها ذاتها وبالوصف الجغرافي ذاته، ثم يقال لنا إنها في فلسطين، وإن يوشع بن نون عبر نهر الأردن نحو أريحا؟

وبكل تأكيد لم تعرف فلسطين في تاريخها القديم، بوجه الإطلاق جبلًا يدعى جبل أريحا ـ مثلما تصفه التوراة ـ. أمّا الجبل الذي يحمل اسم صهيون، فهو اسم حديث أطلقه المستوطنون قبل سنوات. وكل ما يقال ويتردّد في المؤلفات والكتب والدراسات التاريخية عن هذا العبور الخيالي وفتح المدن الفلسطينية، ليس أكثر من خيال استشراقيّ سقيم. وتصديق واقعة العبور الخيالي لنهر الأردن، هو استسلام مخزٍ أمام أكاذيب استشراقية، آن الأوان لإعلانٍ صريح ببطلانها.

لقد اخترع لنا المستشرقون تاريخًا مليئًا بمتناقضات غير قابلة للحل، فنحن ـ مثلًا ـ نعرف أن داود وسليمان هما من ملوك اليمن القديم، فكيف أصبحا ملكين في فلسطين؟ كما نعلم أن أريحا هي من أكثر مناطق العالم انخفاضًا، فكيف تقول لنا التوراة إنها جبل وعر؟ ونحن نعلم من التوراة أن قدس جبل، فكيف يقال لنا إنها ذاتها القدس العربية وهي ليست جبلًا ولا فوق جبل ولا قرب جبل؟ لقد أدّى هذا التلفيق ـ المستمر والمتواصل لتاريخ فلسطين ـ إلى انخراط غالبية كتّاب التاريخ من الغربيين وكثرة من المؤرخين العرب في أكبر عملية خداع عرفتها البشرية، وذلك حين جرى بقصد أو دون قصد، الترويج لأفكار وتصورات زائفة للتاريخ، ومن ذلك إيهامنا أن بني إسرائيل هم اليهود بعامّة، وأن هؤلاء قاموا بمذابح منظّمة للفلسطينيين قبل نحو ألفين وخمسمئة عام من الآن أو أكثر، حين فتحوا المدن الكنعانية عنْوة بقيادة يوشع بن نون ثم بقيادة داود. وأن ما نواجهه اليوم، تكرار لحدث سبق له أن حدث، وأن عدو الأمس البعيد عاد لملاقاتنا مرة أخرى في طرقات التاريخ ذاتها، وفي مفترقاته ومنعطفاته المأساوية ذاتها أيضًا. ولم يكن ذلك صحيحًا البتّة، فلا يهود أوروبا هم من بني إسرائيل لأنهم يهود، ولا (العبرانيون) القدماء هم بنو إسرائيل لمجرد الاعتقاد أن لغتهم تدعى

العبرية، أو لأن اسم جدّهم الأعلى يدعى عابر، وبالطبع، فليس الفلستيم الذين قاتلهم داود هم الفلسطينيون.

هذا الخلط الفظيع هو مصدر وأساس التلاعب بتاريخ المنطقة.

وهكذا، فقد أصبحنا - ويا للأسف - ربما منذ ما يزيد عن مئة عام، وربما نستمر كذلك وقتًا أطول، أسرى خطاب لاتاريخي يعجّ بالصور الكاذبة والمرويات الملفّقة. وممّا يفاقم من فظاعة الأمر، أن الرواية السائدة عن تاريخنا القديم، حظيت بالتصديق من جانب رجال الدين والساسة وعامّة الناس؛ بل إن المؤرخين العرب - بوجه العموم - لا ينفكّون عن ترديد الأكاذيب الاستشراقية ذاتها، دون أدنى تدقيق أو إعمال للفكر. وهكذا أيضًا، فقد أصبحنا مسلوبي الإرادة كليًّا أمام تاريخ مُختلق، لا نملك القدرة على تصحيحه، ولا التجرؤ على الاستسلام أمامه. ولذا بتنا فعليًّا تحت رحمته دون إرادتنا ورغبتنا. وبسبب هذه الرواية، فقد صدّقنا أن (تلفيق التاريخ) هو (التاريخ).

وتلك مفارقة ساخرة بأتمّ ما في الكلمة من معنى.

كان اختراع قصة عبور نهر الأردن، وفتح أريحا، ثم نشوب معركة خياليّة تدعى (معركة هر - مجدو) في صلب أكذوبة كبرى صنعت منّا الضحية وصنعت من الآخر بطلًا.

في الواقع لم تقع مثل هذه الأحداث في فلسطين، وهذه المعركة بالذات لا وجود لها في السجلات التاريخية ولا في المرويات الشفاهية، ولم تقع فوق أرضها في أي وقت من التاريخ المكتوب والمدوّن في السجلات. ويشوع - (يهوشع بن نون) لم يرتكب البتّة، مذبحة بحق الفلسطينيين، لأنه ببساطة لم يكن يعرف فلسطين، ولا يوجد شعب يُعرف بهذا الاسم في المكان الذي عاش فيه. وحين نفنّد هذا الخداع بأدوات البحث العلمي الموضوعي المتجرّد من أي أغراض، فسوف نكتشف معه الخدعة المأساوية التالية: إذا ما تقبّلنا رواية عبور الأردن - البلد - ثم فتح أريحا الفلسطينية، وصدّقنا ما اختلقه المستشرقون (وعلماء الآثار من التيار التوراتي) بهذا الصدد، ففي هذه الحالة سوف يتعيّن علينا أن نتقبّل القسم

الآخر منها والقائل، إن الفلسطينيين شعب تسلّل من جزيرة كريت اليونانية إلى فلسطين، وإن هؤلاء زاحموا شعبًا آمنًا اسمه شعب بني إسرائيل ونازعوه في أرضه التاريخية. وهذا هو جوهر ولبّ التلفيق والاختلاق؛ بل وجوهر (التاريخ المخترع). أمّا الحقيقة التي يتوجب الدفاع عنها، فهي أن الفلستيم ـ الذين ذكرت التوراة اسمهم ـ ليسوا الفلسطينيين، وهم لم يتسلّلوا من كريت ـ. كما أن الشعب الذي تسمّيه التوراة بهذا الاسم (الفلستيم) لم يكن في الأصل، يعرف جزيرة كريت أو سمع بها، لأنه كان شعبًا وثنيًّا صغيرًا يعيش في عزلات جبلية في اليمن القديم ـ في وادٍ لا يزال يحمل اسمه حتى اليوم، هو وادي المفاليس (اسم الجمع من ءم ـ فلس والهمزة مع الميم الحميرية هي أداة التعريف المنقرضة مثل: ءم الرصاص ـ الرصاص، ءم القيوين ـ القيوين) كما سنبرهن على ذلك بأدلّة قاطعة ـ.

لكن ما أهمية تصحيح هذا التاريخ؟

إن الأمم لا تقوم وتبقى وتصمد في المسرح الإنساني، بفعل وجود جغرافيا مشتركة وحسب، يمكن أن تجمع مواطنين في وطن قومي واحد، يصبحون بفضله وتلقائيًّا أمّة لها هوية وطنية جامعة؛ فهذا وهم ما بعده وَهْم، إذ كمْ من أمةٍ تمزّقت وهي تعيشُ في جغرافيا واحدة؟ إن العامل المركزي في تشكّل الأمم وصمودها في المسرح الإنساني وتقدّمها وتطورها أيضًا، كان وما يزال مزيجًا خلّاقًا من عاملين (ومحرّكين) جبارين، أولهما: اللغة الواحدة (الرسمية وليس لغات متنافرة ومتصادمة أو لهجات محلية أو قبلية منقرضة) وثانيهما: التاريخ الواحد، أي وجود سردية تاريخية موحّدة ومتماسكة، تروي فكرة الهوية الوطنية الجامعة لمواطنين يرغبون في البقاء كأمّة، وليس روايات متناقضة متنافرة، أو «تاريخات» تجعل منهم جماعات متصارعة حول التاريخ وأحداثه. ولعل التجربة الأميركية ـ الإسرائيلية في صورتها الراهنة ـ هي التطبيق العملي لهذا التصوّر؛ إذ لم تكن الجغرافيا كافية بذاتها ولذاتها، لخلق أمّة أميركية موحّدة، هي في الأساس مواد اجتماعية متحلّلة من أعراق وثقافات مختلفة عبرت ضفة الأطلسي من أوروبا. ولذا كان لابد من انتصار نهائي، ناجز وتام اللغة الإنجليزية على كل اللغات

واللهجات التي جاء بها المهاجرون، ومن ثم صهر كل الجماعات اللغوية في جماعة لغوية واحدة. ولم يكن ذلك كافيًا بطبيعة الحال، لخلق واستكمال عمليات نشوء الأمّة الأميركية، فكان لابد من إنشاء سردية موحّدة لهذه الجماعات، تعيد إنتاج وصياغة وحدتها على أساس وجود تاريخ مشترك يجمع مواطني الدولة ـ الأمّة، يصعد بها إلى ماضٍ بعيد، ويوطّد فكرتها الجديدة عن نفسها كأمّة قديمة مثل سائر الأمم الأخرى. وهذا ما يفسّر لنا سرّ الهوس في الثقافة التاريخية الأميركية، بوجود صلة روحية وثقافية بإسرائيل القديمة (واستطرادًا المعاصرة)؟ إن هذا الهوس القديم ـ المستمر والمتجدّد في الثقافة الأميركية بوجود علاقة عضوية مع إسرائيل، لا يمكن تفسيره بالعامل السياسي وحده. ثمة عامل مركزيّ آخر، يتصل بحقيقة أن وحدة الأميركيين كأمّة، باتت رهنًا بوجود سرديّة تاريخيّة موحّدة، تروي بصوت واحد حكاية العلاقة العاطفية، الوجدانية والروحية التي تربطهم بإسرائيل التوراتية، أي بالماضي المخترع لجماعات لا رابط بينها، وهي وجدت نفسها أثناء الهجرة الجماعية الكبرى من أوروبا نحو الضفة الأخرى من الأطلسي، وكأنها لن تتماسك كجماعة واحدة مهاجرة صوب وطن واحد يجمعها، إلّا إذا امتلكت سردية تاريخية ذات مضمون عاطفي وروحي، يصعد بها في سلّم التاريخ البعيد نحو أبعد نقطة ممكنة فيه. لقد كانت هذه السردية نوعًا من محاكاة لقصة عبور نهر الأردن في التوراة، وهذه المرة إلى ضفته الأخرى، أي أرض البريّة الأميركية.

ومن هنا جاء اسم الولايات المتحدة الأميركية في اللغة العبرية الحديثة (ءرص ـ ها ـ بريت) أي أرض البرية.

لقد لعبت هذه الرواية دورًا هائلًا في إبقاء الأميركيين أمّة موحدة على مستوى الوجدان العاطفي التاريخي. وللمرء أن يتخيّل، ما الذي يمكن أن يحدث لوحدة هذه الأمّة في غياب سردية مركزية من هذا النوع؟ وكيف يمكن صهر الأعراق والثقافات المتنافرة، الأوروبية والشرقية والأفريقية ومعها العرق المكسيكي؟ ولذلك، يتوجب ملاحظة، أن خلق الأمّة الأميركية تلازم مع خلق و(اختراع تاريخ) مشترك، يبدو حقيقيًا إلى أبعد حدّ ممكن، وبحيث

يساهم في خلق وتوحيد وجدان المهاجرين الأوائل، ويمكّنهم من أن يصبحوا مواطنين جددًا. والأمر ذاته وقع في فلسطين؛ إذ لم يكن الاستيلاء على الأرض كافيًا بذاته لخلق أمّة يهودية، فهي ستكون عرضة للتمزق بفعل قوة التباينات الثقافية الحادّة بين الجماعات المستوطنة؛ ولذا كان لابد من (خلق) لغة مشتركة تعيد صياغة الوجدان الجماعي لبشر يتكلمون لغات شتى. وهكذا، وبموازاة عمل العلماء الألمان لبعث اللغة العبرية وتحويلها إلى لغة موحّدة - وهي في الأساس لهجة منقرضة من لهجات اليمن - جرى اختراع تاريخ سحيق لهذه الجماعات، المتنافرة ثقافيًا والتي لا ترتبط بأي سردية تاريخية واحدة، وأصبح هؤلاء، فجأة ولمجرد كونهم يدينون باليهودية - وكأنهم يتحدّرون من سلالة بني إسرائيل القديمة. بكلام آخر، جرى اختراع سلالة واحدة (نوع من قومية، أو عرق ما فوق ثقافي) اسمها بنو إسرائيل، لجماعات متحدّرة من شعوب أوروبية وغربية عمومًا لا ترتبط إلا بروابط واهية، وبعضها يمتلك مخزونًا من العداء لأوروبيين آخرين؟ وكان الغرض من اختراع هذا التاريخ القديم، هو تمكين هؤلاء من تخيّل هويتهم الثقافيّة الوهميّة، وأنهم كانوا - ذات يوم بعيد - مواطنين أحرارًا في مملكة عظيمة، ثم تبعثروا في طرقات الأقدار واندمجوا في أمم غريبة، وأنهم بوحدتهم الجديدة، إنما يستعيدون هذا الماضي المجيد دفعةً واحدة. ولكم أن تتخيّلوا مثلًا، ما الذي يمكن أن يجمع اليهودي الألماني مع اليهودي الفرنسي، بينما - هما - يملكان تاريخًا من البغضاء والحروب.

كانت اللغة العبرية هي الأداة الهائلة في تأسيس وحدة هذه الجماعات المستوطنة القادمة من أوروبا. ولم يكن ذلك كافيًا بطبيعة الحال، فكان لابد من إنشاء سردية موحّدة للوجدان الجماعي، وإعادة روايتها كتاريخ مشترك قديم، يعيد ربط اليهود من كل القوميات بعرق ثقافي جديد ما فوق قومي، اسمه (بنو إسرائيل) ومن دون أن يعني لهم أنه مجرد اسم لقبيلة. ولقد كانت المفارقة في وجود إسرائيل المعاصرة ولاتزال، تكمن في حقيقة أن (مواطنيها) المتحدّرين من أمم وقوميات كبيرة، وجدوا أنفسهم في نهاية المطاف، وقد ارتدّوا فعليًا إلى عصور ما قبل التاريخ، حين لم يجدوا

(عرقًا) أو أمّة ينتسبون إليها، سوى (قبيلة) عربية بائدة اسمها بنو إسرائيل. وتلك مفارقة ساخرة في حياة الأوروبي المعاصر المهاجر لإسرائيل، فهو يتخلص من انتسابه لأمة فرنسية مثلًا، لصالح الانتساب لقبيلة عربية بائدة تدعى (بني إسرائيل). وهذا أمر لم يحدث في تاريخ البشرية من قبل. ثم نجمت عن هذا الاختراع مفارقة مثيرة للحيرة والتساؤل، فقد أصبح تاريخ هؤلاء إسرائيليًا، بعدما كان أوروبيًا، لكنه أصبح في الآن ذاته فلسطينيًا، لأن تاريخهم الجديد الذي انتسبوا إليه هو تاريخ فلسطين القديمة. أي ما اعتبروه أرض ميعادهم. بيد أنه ـ حتى في هذه الحالة ـ يصبح تاريخًا مشتركًا مع شعب آخر اسمه الشعب الفلسطيني، وإنْ كانوا يكنّون له العداء ويرغبون في إبادته نهائيًا. وهكذا أيضًا ومرة أخرى، أصبح التاريخ الجديد لهؤلاء ـ وقد صاروا يتكلمون لغة واحدة ويتمكّنون من التفاهم في ما بينهم بسهولة أكبر، ويتجاوزون حواجز وإشكاليات لغة التفاهم اليومي ـ هو نفسه تاريخ فلسطين القديمة، ولم يعد تاريخًا إسرائيليًا صافيًا؟ ولذا راحوا ينقّبون في أرضها عن كل شيء يخصّهم كجماعة قديمة انبعثت من جديد.

وبذلك تلازم وبشكل عضوي، اختراع إسرائيل القديمة مع اختراع فلسطين قديمة يزعم أنها كانت وطن اليهود.

بيد أن فلسطين هذه التي أُسست صورتها في وعينا طبقًا للصور التوراتية عن السبي البابلي، ومعارك داود وعبور الأردن وسقوط أريحا،لا وجود لها في التوراة قط، وهي من تلفيق واختراع المؤرخين الغربيين ـ وعلى خطاهم العرب والمسلمين ـ لأن التوراة لم تعرف فلسطين ولم تذكرها بالاسم. إنه لأمر محزن أن لا تتمكن الأمة من رواية تاريخها بصوتها. ولكن المحزن أكثر أن تستمر في الإصغاء إلى تاريخها يُروى بصوت الآخر.إن اختراع التاريخ في حالتنا الراهنة يتجلّى في أنصع صوره في الفكرة الزائفة التالية: هناك من يزعم دون أدنى دليل علميّ، أن التوراة تحدثت عن فلسطين وسجلت اسمها واسم الفلسطينيين، وأنها ذكرت اسم القدس، وأن داود قاتل الفلسطينيين، وسليمان بنى الهيكل هناك، وأن يوشع بن نون فتح أريحا بعد عبور الأردن، وأن الفلستيم هم الفلسطينيون، وأن هؤلاء تسللوا من

البحر، وأن (ميدب) هي مأدبا الأردنية و(معن) هي معان، وبيت بوس هي بيت يابوس في ضواحي دمشق.. إلخ إلخ. وهذه روايات كاذبة ليس لها من الحقيقة التاريخية أي نصيب. ومن غير شك؛ فإن الكشف عن الطريقة التي جرى فيها اختراع التاريخ الفلسطيني، سيكون في صلب العمل التصحيحي الذي نقوم به، وأساسه نفي الرواية المخيالية التي أنشأها المستشرقون، وإعادة بناء الرواية التاريخية من منظور جديد يتّسم بالأمانة للنص؛ إذ ليس صحيحًا ما يقال ـ في سياق التضليل المريع ـ إن القدس عُرفت باسمها القديم بيت بوس، لأن هذا الاسم (بألف ولام: القدس وليس قدس كما في نصوص التوراة) اسم حديث لا يرقى لأكثر من عصر العهدة العمرية، ولا يوجد أي دليل لغويّ أو تاريخي، يؤكد أن العرب قبل الفتح الإسلامي، عرفوها باسم القدس. وهي لم تُعرف في أي وقت سابق على ذلك باسم يبوس أو بيت بوس. لقد عرفها عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ والمسلمون باسمها الروماني إيلياء ولم يعرفوها باسم القدس. وعلى العكس ممّا يقال، فالنبي محمّد ﷺ كان يعرف قدس الجبل المبارك في الحجاز، ويعرف الجبل المبارك قدس في تعز باليمن، بينما لم يكن يعرف ـ ولا يعرف المسلمون في عصره ـ القدس العربية ـ الإسلامية، لأن جنوب الشام كان يعرف آنذاك، باسمه الدينيّ المسيحي إيلياء والذي كان جزءًا من التقسيم الإداري الروماني للمقاطعات السورية. وممّا يؤكد ذلك بشكل قاطع، أن النبيّ أرسل لهرقل قيصر بيزنطة (627م) رسالة مع أحد سفرائه وهو دحية الكلبي، وطلب منه التوجه إلى بصرى الشام لتسليمها له.

يقول البخاري[1] الذي نقل حديث الرسالة ما يلي (وكان قَيْصَرُ لَمَّا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ جُنُودَ فَارِسَ، مَشَى مِنْ حِمْصَ إِلَى إِيلِيَاءَ، شُكْرًا لِمَا أَبْلَاهُ اللَّهُ). وهذا يعني أن المسلمين المتأخرين كانوا يعرفون المكان باسمه الروماني، ولم يعرفوه باسم القدس. لقد ظهر اسمها الجديد القدس (بألف

---

(1) البخاري، ج10/ 95، كذلك شرح النووي يحيى بن شرف أبي زكريا ـ على مسلم ـ دار الخير1996م.

ولام) فقط بعد الفتح الإسلامي لبلاد الشام وليس قبله؟ ومن المؤكد أن الغرض من هذا الخداع الفظيع الذي مارسه المستشرقون في مطالع القرن ما قبل الماضي، كان وببساطة، حملنا على أن نؤمن مثل المستوطنين، بأن التوراة ذكرت القدس، وبذلك، تصبح كل الرواية الملفقة عن صراع بني إسرائيل مع الفلسطينيين قابلة للتصديق، كما تصبح رواية عبور الأردن وفتح أريحا ووجود اسم البحر الميت في التوراة، حقيقية ولا يطالها الشكّ إن إعادة بناء الرواية التاريخية وإنشاء سردية جديدة تقطع مع الرواية الزائفة السائدة، يتطلب أولًا وقبل كل شيء، تحطيم كل أساس زائف قامت عليه أسطورة عبور الأردن وفتح أريحا.

وأودّ تنبيه القرّاء في هذه المناسبة إلى الأمر التالي: أن نفي الرواية الزائفة والقائلة إن القدس ذُكرت في التوراة، ليس الغرض منه التقليل من عظمة وقدسيّة المدينة العربية الإسلامية؛ بل العكس تمامًا، الدفاع عنها ونزع الذرائع للاستيلاء عليها، لأن (قَدس التوراة) شيء والقدس العربية شيء آخر. وفي هذا الإطار، سأعيد التذكير بما نقله البكري في (معجم ما استعجم) من حديث عكرمة عن ابن عباس، أن رسول الله أقطع بلال بن الحارث المزني (معادن القبلية، جلسيّها وغوريّها إلى حيث يصلح الزرع من القدس ـ بالضم ـ). وفي هذا الكتاب الذي كتبه النبي ﷺ إشارة صريحة لجبل القدس في وادي الرمّة، وليس لأي مكان آخر. وفي باب ذكر جزيرة العرب ـ قال (فنزلت جهينة تلك البلاد، وتلاقت قبائلهم وفضائلهم، فصارت نحوًا من عشرين بطنًا، وتفرّقت قبائل جهينة في تلك الجبال، وهي الأشعر والأجرد وقدس وآرة ورضوى وصندد).كما ينقل البكري عن يعقوب بن السكيت (ت 243هـ) قوله (قدس وآرة: جبلان لجهينة، بين حرة بني سليم وبين المدينة) وهما جبلان يقال لهما: القدسان، قدس الأبيض، وقدس الأسود. وأما قدس الأبيض فيقطع بينه وبين ورقان عقبة يقال لها ركوبة، وهو جبل شامخ ينقاد إلى المتعشّى بين العرج والسقيا، وأما قدس الأسود فيقطع بينه وبين ورقان عقبة يقال لها: حَمت، والقدسان لمزينة ـ لقبيلة مزينة ـ.

هذا هو بإيجاز، تصوّر المسلمين لقدس الجبل في الحجاز.وبموازاته،

هناك تصوّر آخر عند اليمنيين عن جبل مقدس هو جبل قَدس ـ بالفتح دون ألف ولام ـ في تعز، وهو من أعظم جبالها وأقدسها وأكثرها شهرة في التاريخ. لقد نقل الفاتحون المسلمون اسم الجبل المقدس هذا، وسمّوا به اسم المدينة الجديدة التي تخلصت من الإدارة الرومانية. هذه الأوهام والأكاذيب المستمرة والمتواصلة من جانب التوراتيين ـ وللأسف من جانب العرب والمسلمين كذلك ـ وعلى حدّ سواء، خلقت فوضى عارمة في التاريخ لا سبيل للخروج من دوامتها، فلا أحد استدلّ على بيت بوس التي يزعم أنها القدس القديمة، حتى بعد نحو قرن كامل من التنقيبات الأثرية. ولا أحد وجد دليلًا ماديًّا يؤكد أن القدس عُرفت بهذا الاسم. وبكل يقين، فقد نشأت هذه المزاعم والأوهام عن وهم أكبر، أشاعته رواية عبور نهر الأردن.

وهذا ما تثيره المساهمة الجديدة التي أتقدم بها في إطار مشروعي لتصحيح تاريخ فلسطين والمنطقة.

وفي هذا السياق ـ ثمة أفكار وصور أخرى خاطئة ورائجة في مؤلفات التاريخ القديم بشكل عام، وتاريخ المنطقة العربية بوجه الخصوص، مثلًا، الخلط بين العبرانيين وبني إسرائيل، ومعاملتهما على أنهما شيء واحد، وأن كلًّا منهما دالٌّ بذاته على الآخر. وهذا غير صحيح في مطلق الأحوال.

كما تتردد في الكثير من المؤلفات والدراسات أفكار مزيفة أخرى، مفادها أن العبرانيين اشتقوا اسمهم من حادثة عبور نهر الأردن، وأنهم عُرفوا بالعبرانيين بسبب هذه الواقعة المزعومة التي لا أساس علميًّا لها.

ما يقوله هذا الكتاب، وبخلاف كل النظريات الدارجة والسائدة، هو التالي:

1: إن يوشع بن نون لم يعبر الأردن ـ النهر والبلد ـ ولم يفتح أريحا الفلسطينية، والتوراة لا تعرف هذين الاسمين في صورتهما هذه، بل في صورة مختلفة كليّة ولها علاقة بجغرافية أخرى. كما أن العبرانيين لم يعبروا هذا النهر من قبل، ومسرح الأحداث ـ التي تخيّلها واختلقها الاستشراقيون من التيار التوراتي وقاموا بالترويج لها لا تتضمن بأيّ شكل من الأشكال، المواضع

والأماكن وأسماء القبائل الواردة في النصوص التوراتية. وفي الواقع، لا توجد في التاريخ القديم برمّته، حادثة من هذا النوع، نجم عنها ظهور جماعة بشرية سوف تُعرّف نفسها بأنها جماعة عبرانية نسبة لعبور الأردن. وكل ما قيل وكتب من مؤلفات ضخمة وكتب ودراسات وبحوث عن هذا الحادث، سواء في الثقافة العربية أم الغربية،لا يتعدى في هذا النطاق من الفكرة، حدود التلفيق المؤسس على الوهم والهوس الممزوج بالإعجاب بإسرائيل المعاصرة. وبرأينا،إن المقصود من (العبرانيين) و(بني إسرائيل) الإشارة إلى جماعتين بشريتين منفصلتين لا جماعة واحدة. وهذا التمييز هامٌّ للغاية لفكّ الارتباط التعسفي الذي جمعهما وأوحى لأجيال وأجيال من البشر في مختلف أرجاء العالم، بأن الإسرائيليين أحفاد العبرانيين، وأن هؤلاء أخذوا من أجدادهم، لغتهم العبرية (لسانهم القديم) الذي يعرفون به.

2: وفي سياق هذا الزعم، شاع في مختلف الأوساط، حتى الأكاديمية والعلمية منها، القول إن يهود اليوم في العالم كله، إنما يتحدّرون من سلالة بني إسرائيل. ولذلك، حدث دمج جديد ومزيف يماثل بين القبيلة (بني إسرائيل) وبين معتنقي الديانة اليهودية. وبحيث صار كل منهما دالًا بذاته ولذاته على الآخر، فعندما تقول(يهودي) سيُفهم من قولك، أنك تعني بني إسرائيل الذين ورد ذكرهم في التوراة والقرآن، وأن قولك (بنو إسرائيل) يعني أنك تقصد اليهود بعامّة.

وهذا تصور مُخْتلق لا صحّة له.

3: كما شاع القول وهو خاطئ جملة وتفصيلًا ولا أساس له، سواء في الأنثروبولوجيا أم في السجلات التاريخية، أن العرب واليهود أبناء عمومة ترتفع إلى الجد المشترك إبراهيم، حتى باتت عبارة (أولاد عمّنا) شائعة ومألوفة في الحياة الثقافية والعامّة. وهذا غير منطقي، لأن قرابة الدم لايمكن أن تقوم بين قبائل عربية، وجماعات من شعوب أخرى أوروبية اعتنق أجدادها اليهودية. وكيف يمكن تخيّل أن المصري المسلم والمعاصر مثلًا، هو ابن عم ليهودي إيرلندي؟ كما سيبدو من المنظور الأنثروبولوجي ذاته، أمرًا يخلو من أي منطق، تخيّل وجود قرابة دم على أساس الدين بين أبناء قبيلتين عربيتين،

إحداهما من طيّيء وأخرى من حمير اليمنية، ذلك أن القرابات تقوم على أساس العرق لا المعتقد والدين.

4: وفي إطار هذه الالتباسات، حدث تكريس منهجي لفكرة زائفة موازية، تقول إن الذين عبروا نهر الأردن هم بنو إسرائيل، وهو استطراد مضلل ناجم عن الدمج التعسفي بينهم وبين العبرانيين، وراجت في هذا النطاق داخل المؤلفات التي لا تعد ولا تحصى، أسطورة أن العبرانيين هم أبناء شخص تاريخي، حقيقي اسمه عابر، وإليهم تنسب اللغة العبرية، وأن أحفادهم، هم الإسرائيليون.

5: وإن هؤلاء ـ أي بني إسرائيل ـ صاروا عبرانيين أو عرفوا بهذا اللقب لأنهم عبروا الأردن النهر العربي. وهكذا، جرت سلسلة لا تكاد تنقطع من التماثلات بين أعراق وجماعات ولهجات ولغات، عاشت في عصور وفترات مختلفة، ولم تجمعها روابط أو قرابات حقيقة. والمثير للدهشة أن اللغة العبرية الرسمية في إسرائيل تدعى اليوم العبرية الصنعانية *Sananite Hebrew* أي السبئية (الصنعانية) وهي العبرية الأصلية القديمة.

6: وفي سياق هذه التماثلات الزائفة أيضًا، تناسى الكثيرون الحقيقة البسيطة التالية: إن اليهودية دين عربي قديم من ديانات العرب، بزغ فجرها في أوساط العرب الجنوبيين (اليمنيين) ولم تكن دينًا غريبًا، أو وافدًا عليهم من خارج الجزيرة العربية، وهي انتشرت في اليمن في فترات ومراحل لا يعرف التاريخ المكتوب عنها الكثير. والتوراة كما عرفها العرب القدماء، كتاب إخباري ـ ديني مقدس من كتب يهود اليمن، يتضمن التشريعات الدينية والقصص والأخبار والأشعار التي سجلها بنو إسرائيل.

كما أنها، شأنها شأن الكتب المقدسة الأخرى، تتضمن قصص وأشعار وأخبار الأولين من القبائل والجماعات التي يعرفها العرب، وبعض قبائلهم تنتسب إلى هذه الجماعات اليمنية، مثل السلف (الشلف) وجشم، وعبد وسلمة وجبر والحواشب (حشبون) إلخ...

7: والأمر المؤكد بالنسبة لي، كما برهنت في مناسبات سابقة، أن

التوراة لا تتضمن أي شيء يخصّ فلسطين أو يلمح إلى ذكرها بأي صورة من الصور؛ بل ولا توجد أدنى صلة للتوراة بتاريخها. وكل ما يُزعم عن وجود وصف لأرضها في التوراة، ليس أكثر من ترويج لأكاذيب وخدع استشراقية، تنتمي الى العصر الاستعماري وهي من نتاجه. والمثير للدهشة، أن التلاعب بالتاريخ و(اختراع تاريخ بديل) كان مؤسسًا على ترجمة خاطئة وتأويل سطحي لكلمة ها ـ فلشتيم **הפלשתים** وتصويرها على أنها تعني الفلسطينيين. وهذا فهم خاطئ لأن العبرية تعرف حرف الطاء ولا تستبدله بالتاء. وقد بيّنا في مؤلفاتنا السابقة أن الاسم ينصرف إلى الفلستيين، وهذه هي التهجئة الصحيحة لاسم جماعة وثنية عربية بائدة، عُرفت نسبة إلى عبادة الإله الفلس إله قبيلة طيّيء وقبائل أخرى، تركت اسم إلهها هذا في مكان معلوم لا يزال شاخصًا حتى اليوم في اليمن باسمه القديم وادي المفاليس ـ الفلسيين، بمعاملة الميم الحميرية كأداة تعريف، مثل ءم سمّاق، السمّاق ـ وهذه من البلدات الأردنية المعروفة التي يستخدم فيها حرف الميم السابق للاسم ـ والتوراة تؤكد أنهم بالفعل جماعة وثنية استولى داود على أصنامها. وقد بلغ التلاعب ذروته حين جرى الترويج لنظرية زائفة مفادها، أن الفلسطينيين دخلوا فلسطين متسللين عبر جزيرة كريت اليونانية. والمحزن في الأمر، أن المؤلفين والدارسين العرب راحوا يردّدون هذه الأكذوبة دون تدقيق، وبعضهم، ربما بسبب جهله باللغة العبرية، لم ينتبه إلى أن هذه الخرافة بُنيت، فقط على أساس كلمة واحدة وردت في سفر ثانوي كتبه الكهنة اليهود في وقت متأخر، وداخل نسق سردي يتضمن دعاءً دينيًّا ضد (أمّة الكرتيين **כרתים**). والمقصود بهؤلاء جماعة تدعى الكرثيين (الكرثيون ـ بالثاء المثلثة) وهم جماعة يمنية ورد ذكرها في أنساب اليمنيين. وعدا ذلك، لا توجد في التوراة أي إشارة أخرى مهما كانت عابرة، تدعم الفكرة المضللة عن تسلل الفلسطينيين من كريت (اليونانية).

8: لقد ميّز القرآن ـ كما فعل العرب في الجاهلية ـ بين اليهودية وبني إسرائيل، تمييزًا دقيقًا ونهائيًّا لا يقبل أي جدل، فاليهودية دين، وبنو إسرائيل قبيلة. وذلك واضح كل الوضوح من الآيات والسور القرآنية التي ندّدت

باليهود، ولكنها مجّدت بني إسرائيل[1]. إن هذا التمييز يستمد صلابته العلمية من حقيقة ثقافية ودينية معروفة عند العرب القدماء، بأن اليهودية دين عربي ولد في أرض العرب (اليمن) ولم يولد في أستراليا أو المكسيك. وبكل يقين، فلم يكن النبي موسى نبيًّا ألماني النشأة والمولد، ولا كان داود أميرًا دانماركيًّا. وطبقًا لهذه البديهية التي طالما جرى التغاضي عنها أو إهمالها أثناء النقاش، فإن التوراة تتضمن أشعارًا وقصصًا وأساطير عن جماعات عربية قديمة، وهي لا تروي بأي صورة من الصور أي شيء من تاريخ فلسطين القديم. ولطالما جرى التغاضي عند قراءة الحديث الشريف الذي يذكر فيه النبيّ محمد ﷺ اسم موسى كنبيّ يمني، فقد قال في حديث الإسراء أن موسى أشبه برجل جعد (أسود الشعر) من شنوءة (أزد شنوءة) وهؤلاء قبيلة من أشهر قبائل اليمن، إذ يذكر العسقلاني[2] في صحيح البخاري نص الحديث على النحو الآتي:

(حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف أخبرنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ـ رض ـ قال، قال رسول الله ﷺ: ليلة أسري بي رأيت موسى وإذا هو رجل ضرب، رجل كأنه من رجال شنوءة). وهذا الحديث الصحيح يؤكد، أن الذاكرة التاريخية للعرب، تحتفظ بصورة خاصة لموسى النبي كرجل أشبه ما يكون بشخص يمني من قبيلة بعينها، هي من أقوى وأعظم قبائل العرب القديمة وتدعى أزد شنوءة.

9: وإذا ما تقبلنا ـ مبدئيًّا ـ هاتين البدهيتين؛ فإن علينا التمييز بدقة بين القبيلة والدين، كما نميّز مثلًا، بين قريش والإسلام، إذ لا تدلّ قريش بإطلاق على الإسلام، ولا يمكن الافتراض أن كل قرشي هو مسلم، أو أن كل مسلم

---

(1) هذا التمييز واضح في آيات كثيرة منها ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ سورة يونس، الآية: 93.

(2) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ـ دار الريان للتراث ـ1407هـ / 1986م: ص3214.

هو من قريش. ولذلك، يجب أن نميّز بين بني إسرائيل واليهودية، وأن ننشئ إطارًا مفهوميًّا يعيد وضعهما في إطارهما الصحيح كقبيلة ودين، إذ ليس كل من انتسب لبني إسرائيل هو يهودي، وليس كل يهودي هو من بني إسرائيل، لأن هذا المنطق المزيف سيفرض علينا القول، إن كل مسلم هو قرشي، وإن كل قرشي هو مسلم؟ وهذا أمر فظيع وغير مقبول.

وفي هذا السياق سأتوقف أمام نموذج صارخ للتلاعب بالتوراة نفسها لا بالتاريخ، نبّه إليه العالم الجليل د. كمال صليبي رحمه الله، وأعيد اليوم توسيع نطاق فكرته. لقد تحدثت التوراة بالتفصيل عن انشقاق ديني أدى إلى انقسام مملكة بني إسرائيل إلى مملكتين متصارعتين، إحداهما في الجنوب وتدعى ـ يهوذا ـ التي أدينت بالارتداد عن الشرعة اليهودية وانغماس سكانها في العبادة الوثنية، والأخرى في الشمال وتحمل اسم إسرائيل. ولعل وصف التوراة القائل إن يهوذا في الجنوب وبني إسرائيل في الشمال، يتعارض كليًّا مع وصف إسرائيل الحالية، فيهوذا اليوم ـ أي الضفة الغربية وغزة ـ تقعان في الشمال وليس في الجنوب، بينما تقع أراضي 48 ـ ما يسمى إسرائيل ـ في الجنوب وليس في الشمال. فكيف جرى تمرير الأكذوبة؟ وإذا آمنا بما تقول التوراة، فهذا يعني أن خريطتها لأرض الميعاد المزعوم، ومملكتي الشمال والجنوب، تصبح على أرض الواقع مقلوبة رأسًا على عقب، فالشمال يصبح جنوبًا والجنوب يصبح شمالاً.

هذا يعني أن التلاعب بالرواية التاريخية قاد إلى التلاعب بجغرافية إسرائيل نفسها، فالتوصيف التوراتي لما يدعى أرض الميعاد، يتعارض ويتناقض مع وصف فلسطين التاريخية.

فكيف يمكن قبول هذه الأكذوبة عن تطابق الوصف وهو يقلب جغرافيا التوراة؟

10: إن مصطلح العبرانيين، وبمعايير البحث التاريخي والعلمي، يدلّ على جماعات بشرية كبيرة لا جماعة واحدة، بينما يدلّ اسم (بني إسرائيل) على جماعة قبلية صغيرة بعينها. وكل خلط بين المفهومين سيؤدي لا محالة

إلى نتائج خاطئة، مماثلة لما وصلت إليه دراسات وبحوث الاستشراق. والمؤسف أن علماء ومؤرخي العرب الكبار، مثل د. جواد علي[1]، أخطأوا في قراءة بعض جوانب الموروث العربي، وثبتوا في أذهان أجيال وأجيال من المؤلفين الشباب، أفكارًا خاطئة عن المقاصد الحقيقية لقصص التوراة، ففي تحليله لكتابات الإخباريين العرب عن وادي حضور اليمني (حصور في التوراة) التي غزتها جيوش الآشوريين، أخطأ جواد علي خطأ فادحًا حين كتب يقول منددًا بفهم الإخباريين الكلاسيكيين لما تناقله العرب من أخبار، ما يلي: (ولم يكن للإخباريين علم دقيق بما يرد في التوراة من أمور، فلم يفطنوا أن من غير الممكن أن يكون أهل حاصور من أهل اليمن، لأن ذكر التوراة لهم مع قيدار يجعل مواضعهم في شمال جزيرة العرب. ثم إن اليمن بعيدة جدًا عن بختنصر ـ نبوخذنصّر ـ ولا يعقل أن يكون في إمكان جيوشه الوصول بسهولة إلى هناك. ثم إن الكتب اليهودية تصور حاصور في مكان في العربية الشمالية في جوار أرض قيدار، ولم يكن لها علم واسع عن اليمن).

وكنا بيَّنا بالتفصيل في المؤلف السابق[2] ـ كما سنبين هنا أيضًا ـ أن حضور تقع في جنوب الجزيرة لا شمالها وهي من أعظم وديان اليمن، وفيها ازدهرت أعظم المخاليف، وأن التوراة ذكرتها في صورة حصور، لأن العبرية لا تعرف الحرف المعجم بنقطة من فوق. ولذلك، يصبح باطلًا كل نصّ يسخر من معارف الإخباريين، دون دليل قاطع وما لم يكن مبنيًّا على فهم صحيح ووقائع صحيحة.

11: مثل هذا التمييز الذي نقترحه، ضروري للغاية لأجل فهم صحيح لأحداث التاريخ، ذلك أن أسطورة عبور الأردن المزعوم ترتبط في الأصل بالعبرانيين وليس ببني إسرائيل؟ وهؤلاء أخذوا اسمهم، كما يقال عادة من هذه الواقعة الميثولوجية (الأسطورية). وبالرغم من عدم وجود أي دليل تاريخي يؤيد حدوثها، وأن كل ما ورد عنها في التوراة لا يشير إلى علاقة مباشرة ببني

(1) جواد علي: المفصل 1/ 121.

(2) حقيقة السبي البابلي، بيروت ـ دار جداول للنشر 2011.

إسرائيل، فقد طغى في السرد التاريخي، الزعم بأنهم عبروا الأردن نحو أرض الميعاد الفلسطيني بعد فتح أريحا. وبالطبع، فقد كان من نتائج هذا الخلط التعسفي الذي قام به علماء آثار وباحثون ودارسون من الغرب والشرق وعلى امتداد عقود طويلة، أن جرى بشكل تعسفيّ تنسيب أسطورة العبور تلقائيًا إلى بني إسرائيل. وذلك ما ساهم في خلق فوضى عارمة في التسلسل التاريخي للممالك والأحداث في المنطقة.

12: وحده، فك الارتباط بين هذه التسميات والمفاهيم والتصورات والمصطلحات، هو الذي يمكّن دارس التاريخ من رؤية الحقائق بشكل صحيح.

13: إن أكثر الأوهام الشائعة في التاريخ الفلسطيني، تسببًا في إثارة الفوضى والتشوش؛ إنما هو الزعم القائل بأن فلسطين أرض كنعانية وأن سكانها هم كنعانيون. وهذا الزعم مستلّ من قراءة خاطئة للتوراة. وقد قاد ذلك إلى إشاعة وهم يقول إن القدس دعيت أو عرفت ذات يوم باسم (يبوس ـ بوس) وإن سكانها القدامى كانوا يبوسيين و(كنعانيين). ويتوجب علينا اليوم، أن نطالب كل من يدّعي ويصرّ على ترداد هذا التصور المضلل، أن يقدم لنا دليلًا علميًا أو نقشًا ترد فيه هذه المعلومة؟ كل ما لدى هؤلاء،هو الذخيرة الفاسدة من المزاعم التي تركها الاستشراقيون خلفهم، بعد أن أنهوا معركتهم مع التاريخ الفلسطيني و ـ العربي القديم ـ وهي ذخيرة لا تصلح للقتال والسجال العلمي، لسبب بسيط للغاية، هو أن يبوس ـ بوس (بإسقاط الياء الحميرية اللاصقة مثل يعرب في عرب، ويعرم في عرم) الحصن الجبليّ المنيع كما تصفه التوراة، لا وجود له في فلسطين قط؟ وكل ما قيل من مزاعم عن وجوده كاسم لقرية تدعى بيت يابوس في ضواحي دمشق، إنما يكشف عن نوع الخداع والتلاعب، إذ كيف يمكن لعالم آثار يحترم العلم، أن يزعم بتطابق وصف القلعة الجبلية في التوراة، مع قرية في ضواحي دمشق لا تتصل بفلسطين بسلسلة جبلية، فقط بسبب وجود تشابه في الاسمين؟

14: وأخيرًا، أودّ أن أضع هذا التنويه أمام القرّاء غير المتخصصين:

ما أقوم به لا علاقة له من قريب أو بعيد، بالبحث عن تطابق الأسماء في الأماكن والمواضع. هذا أمر لا يعنيني ولا أهتمّ به وأرفضه. إن البحث

عن التشابه بين أسماء الأماكن في التوراة وأي جغرافية أخرى، ليس عملاً علميًّا بحد ذاته. وما يهتمّ به مشروعي البحثي بخلاف هذا النوع من الانطباعات السطحية، هو التاكيد على أن التوراة كتاب ديني من كتب يهود اليمن، لا علاقة له بفلسطين، وأن (التاريخ) الذي تتضمنه نصوصها، يجب أن يعاد وضعه ضمن تاريخ اليمن لا تاريخ فلسطين. وسوف أبيّن في هذا الكتاب وبالتفصيل، كيف أن نصوص التوراة قرئت بطريقة خاطئة ومخادعة، وأننا وقعنا ضحية أوهام الاستشراقيين التوراتيين وأكاذيبهم، وسأقدم قراءة مبنية على بحث ميداني يحدّد مكان أورشليم وبيت بوس وجبل قدس ووادي الفلستيين ـ ها ـ فلشتيم.

في مؤلفي السابق(فلسطين المتخيّلة)[1] كتبت ما يلي: (لقد آن الأوان لأن تتقدم أوروبا ـ والغرب بأسره ـ باعتذار صريح للفلسطينيين والعرب والمسلمين عن النتائج المأساوية التي تسبّب بها الخيال الاستعماري المُفرط ـ ونزعات المستشرقين التوراتيين وعنجهيتهم وعنصريتهم السقيمة كذلك ـ في تدمير شعب وتشريده عن وطنه، فهذه النتائج أدّت إلى (تهويد) التاريخ الفلسطيني، وإلى وقوع مأساة شعب وأمة جرى الإستيلاء على أرضها وتاريخها وثقافتها بالقوة الغاشمة. بيد أن ذلك لن يكون ممكنًا ولا كافيًا من دون خطوة جريئة من علماء التوراة في العالم، بإعلان صريح لا لبس فيه، يؤكد بُطلان القراءة الاستعمارية للتوراة، والإقرار بالخطأ الفادح في هذه القراءة والاعتراف بحقيقة أن الانتساب الى دين بعينه، لا يبرر الحق في أي مُطالبة غير مشروعة بأراضي شعوبٍ أخرى، والإقرار بوجود حاجة إلى ترجمة جديدة للنص التوراتي المقدس، تزيل كل صلة وهمية بينه وبين فلسطين).

أريد في ختام هذه الخلاصة، أن أذكّر بما كتبته من قبل، وأن أكرّر الفكرة الآنفة منعًا لكل، وأي سوء فهم مُغرض أو تأويل ناجم عن فهم سطحي لمقاصد الكتاب:

---

(1) **فلسطين المتخيلة**: أرض التوراة في اليمن القديم، مجلدان، دار الفكر ـ دمشق ـ ثلاث طبعات 2009.

ليس ثمة أيّ حق ديني أو تاريخي لأي جماعة تزعم أن لها الحق في أراضي الآخرين، لمجرد أنها تنتسب للدين نفسه، فكما لا يحق لمسلم صيني، الزعم أنه من قريش وأنّ له الحق في وراثة أرض العرب لمجرد أنه مسلم ـ لأن قريش قبيلة عربية وليست قبيلة صينية ـ فإن اليهودي الأوكراني أو الألماني أو الأميركي أو الإسكندنافي، لا يملك حق الزعم أنه من بني إسرائيل، لمجرد أنه يهوديّ الديانة، لأن بني إسرائيل قبيلة عربية، وليست من قبائل الجرمان أو الفايكنغ. لذلك، فإن مؤلف الكتاب يرفض سلفًا أي قول سخيف وسطحي قد يصدر من بعض المتطفلين على البحث العلمي والقرّاء غير المهتمين كذلك، بأنه ـ بنظريته هذه ـ يبشّر، أو يدعو لإعطاء اليمن لليهود الغربيين؟ وهو قول تردد ويا للأسف في أوساط بعض القرّاء السطحيين الذين يجادلون في الله بغير علم. إن الأمم تحيا وتنهض وتتوحد، فقط حين تمتلك سردية واحدة وصحيحة عن تاريخها، بمعنى أن تمتلك رواية واحدة ومتماسكة عن نفسها، وليس روايات متعارضة ومتصادمة، فالتاريخ عامل مركزي في صناعة الأمم وفي الحفاظ على وحدتها ووجودها، مثله مثل الأرض المشتركة واللغة الموحّدة. ومن غير شك ـ بالنسبة لي ـ فما أقوم به منذ سنوات، هو التأسيس لتيار تصحيحي يضع نهاية للفوضى في السردية التي تركها لنا الاستشراقيون الأجانب(والعرب). وما لم تتمكن الأمّة من الخروج من دوامة الفوضى في فهم وقراءة تاريخها؛ فإنها لن تتمكن أبدًا من البقاء في مسرح التاريخ وسيكون مصيرها، ويا للأسف، محزنًا لشدّة التمزق وعمق الخلاف وتشعّبه. لقد تسبّبت القراءة الاستشراقية للتوراة في حدوث فوضى في التاريخ الإنساني برمّته، نجم عنها صراعات دامية متواصلة ودون توقف، لم تعد مسألة النزاع على الأرض والحقوق التاريخية المسألة المركزية فيها وحسب؛ بل أصبح التاريخ نفسه هو موضوع ومادة هذه الصراعات.

ولسوف تبدو وكانها صراع دموي طويل يدور بين تاريخين: أحدهما حقيقي وآخر مخترع.



الفصل الأول

هل عبر بنو إسرائيل نهر الأردن؟

هل عبر بنو إسرائيل نهر الأردن (البلد العربي) حقًّا، ليصلوا إلى فلسطين؟ أم إنهم عبروا نهرًا آخر ورد اسمه في التوراة في صورة ها - يردن **הירדן** ويقع في مكان آخر لا علاقة له بجنوب بلاد الشام القديمة؟ لكن، من أين جاءوا ليعبروا النهر؟ هل وصلوا - كما يُزعم - من مصر **מצרים** عبر سيناء بقيادة النبي موسى؟ وإذا افترضنا ذلك كما هو شائع، فلماذا وكيف وما الحاجة إلى عبور نهر الأردن، ما دامت سيناء تؤدي إلى غزة ثم قلب فلسطين وبسهولة؟ وإذا كانوا قادمين من مكان آخر، من جنوب الشام مثلًا، فلماذا لا نجد أي أثر لهذه الرحلة العظيمة في شرق الأردن؟ ثمة خطأ مفضوح في الرواية السائدة عن هذا العبور الخيالي الذي كرّسته القراءة الاستشراقية للتوراة، وقام المؤلفون العرب وبعضهم من علماء الآثار، بالترويج له في أوساط طلاب الجامعات والباحثين والعامّة من الناس. ومع ذلك لا بد من طرح السؤال نفسه دون تردد: هل حقًّا عبر بنو إسرائيل نهر الأردن، أم إنهم عبروا نهرًا آخر يدعى ها - يردن؟ وهل بسبب هذا العبور المزعوم، تسمّوا بالعبرانيين؟ أم إن العبرانيين اسم دالٌّ على جماعات لا صلة لها بهؤلاء؟ لكن من الذي قام بالمطابقة بين هذه الأسماء والمواضع ولأي غرض؟ لسوف نكتشف أن تلفيق قصة عبور الأردن كواقعة تاريخية، كان أمرًا ناجمًا - في الأصل - عن تلفيق أعمّ وأشمل، جرى خلاله تلاعب مُخْزٍ لا بتاريخ فلسطين؛ وإنما كذلك بتاريخ اليهودية العربية نفسها. ومن دون شكّ، فقد كان يهود أوروبا (ثم يهود الشرق العربي

المخدوعين) ضحايا خدعة كبرى لا تقل مأساوية عن مأساة العرب وشعب فلسطين. وللمرء أن يتخيّل بحيادية وموضوعية وبضمير إنساني حيّ، معنى أن يكتشف اليهودي، بعد عقود من الصراع والدم والمآسي، أن كل ما آمن به وتعلّمه عن علاقة التوراة بفلسطين، وكل ما ارتكبه في سبيل تثبيت هذا الإيمان من حروب وجرائم مروّعة متواصلة ودون توقف، هو في النهاية مجرد خدعة، لأن التوراة لم تذكر اسمها، ولم تكن هي أرض الميعاد ولا وقعت فوق أرضها ما زعم أنه حروب ومعارك بطولية خاضها داود؟ وأن الذين أوهموه بأن له الحق في هذه الأرض، حوّلوه ـ سواء بإرادته أم دونها ـ إلى قاتل؟ إن المأساة لتبلغ أفظع درجاتها، حين يتحول (البطل) نفسه إلى ضحية، أو حين يكتشف أن بطولته ليست سوى جريمة؟

ولأن استراتيجيات هذا الكتاب، تقوم على البحث العلمي عن جغرافية التوراة في اليمن، وليس في أي مكان آخر ـ كما شرحت ذلك بإسهاب في مؤلفاتي السابقة ـ فسوف أستخدم منهجًا دراسيًا يقوم على التلازم بين ثلاث أدوات أساسية:

أولًا: النص العبري بإعادة ترجمته، وتبيان نوع وطبيعة التلاعب والتزوير الذي تعرض له على أيدي المحقّقين والمترجمين.

ثانيًا: النقوش واللّقى والسجلات الأثرية اليمنية ـ نقوش المسند بشكل خاص ـ والتي توفر بعضها بين يديّ، وهي تؤكد بما لا يقبل اللّبس، أن مسرح التوراة كان أرض اليمن القديم.

ثالثًا: البحث الميداني

إن إعادة بناء الرواية التاريخية بجرأة وشجاعة علمية، سوف يكشف عن حجم التلاعب في التاريخ العربي ـ والفلسطيني بشكل أخص ـ لكنه يكشف في المقابل عن فضيحة علمية، جرى ويجري التستر عليها لأسباب ودوافع شتى.

وبصدد هذه النقطة، فقد لعبت أسطورة عبور الأردن في المخْيال الديني اليهودي ـ المسيحي، دورًا مركزيًا أثناء الحملة البريطانية للاستيلاء على

فلسطين مطلع القرن قبل الماضي؛ بالقدر ذاته الذي لعبته وتلعبه اليوم أسطورة معركة هر ـ مجدو في الفكر الألفي الأميركي، وذلك قصد تبرير شن الحروب الجديدة من اجل التعجيل في ظهور المسيح المنتظر.لقد بدا واضحًا مع بزوغ العصر الاستعماري، أن فلسطين كانت تشكل هدفًا إيديولوجيًا وروحيًا، لطائفة جديدة من المفكرين والأدباء والروائيين وعلماء الآثار الكولنياليين في بريطانيا وفرنسا،وعمومًا في الغرب الأوروبي كله، وجدت أن انخراطها العضوي في مشروع الاستيلاء على فلسطين، تجسيدًا للروح الخلاصية المسيحية ـ اليهودية. وفي هذا الإطار، سوف تكشف لنا وقائع معركة نابليون في عكا عام 1799 عن تلازم حقيقي بين تصاعد النشاط الفكري المسيحي ـ اليهودي للبرهنة على أن فلسطين هي أرض الميعاد؛ وبين المشروع الاستعماري الذي نادت به أوروبا، إذ بعد قليل من انقشاع غبار معركة عكا، وتحديدًا في العام 1804 تشكلت في بريطانيا أول هيئة أثرية باسم رابطة فلسطين، قوامها من الأثرياء الإنجليز حصرًا، وتركز نشاطها كليًا في العناية بآثار فلسطين بوصفها آثارًا إسرائيلية.

وفي موازاة فكرة عبور الإسرائيليين القدماء لما يُدعى نهر الأردن؛ واستنادًا إلى قصص التوراة، كانت فكرة وجود معركة حاسمة وكبرى في التاريخ اليهودي، تُدعى معركة مجدو؛ تشق طريقها في الفكر المسيحي ـ اليهودي، وتغدو عقيدة دينية، وهي تقوم على الإيمان بأسطورة جديدة ومعاصرة تمَّ تبنيها على نطاق واسع، ومفادها أن معركة مجدو سوف تندلع من جديد، وستؤدي إلى هبوط أورشليم جديدة من السماء. هكذا، وبدءًا من العقد الأخير من القرن التاسع عشر توطدت فكرة الألفية في العقيدة البروتستانتية نهائيًا. وكنا بينّا في السابق، كما سنبيّن في المساهمة الجديدة بتفصيل أكثر، بعض الجوانب المتعلقة بهذه المعركة المزعومة، وبشكل أخص، تلك المتعلقة بأسطورة العبور، بهدف إعادة وضعهما في إطار تحليلي أشمل لتوضيح الطبيعة المُخادعة، والمُضللة التي تنطوي عليها الصور الاستشراقية عن عبور الأردن. فكيف روت التوراة قصة العبور هذه، وبحيث جرى الاستنتاج تاليًا، أن المقصود منها رواية حدث بعينه هو عبور نهر

الأردن البلد العربي؟ وهل هناك حقًا، رواية توراتية تتحدث عنه؟ أم إنها نتاج مخيّلة أوروبية سقيمة قرأت التوراة في سياق مشروع مطابقتها مع أرض فلسطين، وإن لا أصل لها في النص العبري؟ سأقدم في هذا الكتاب بعض ما أوردته نصوص التوراة عن قصة العبور هذه، لنكشف عن أبعاد التزوير والتلاعب.

ترتبط رواية العبور بصعود دور يوشع بن نون، تلميذ وخليفة موسى في قيادة بني إسرائيل الذي تلقى أمر الرّب يهوه، بأن يتولى بنفسه قيادة الشعب في مسيرة الخلاص. ومن الواضح، أن سياق الرواية لا يشير إلى أي جانب تاريخي حقيقي وموثق، بمقدار ما يشير إلى تفاصيل ذات طابع ديني ـ ميثولوجي، شبيه إلى حدّ التطابق، بالمرويات العربية التقليدية التي تتحدث عن هجرات وحروب ومعارك كبرى لم يدوّنها التاريخ، لكنها ظلت تتردّد وتتناقل شفاهًا من جيل إلى جيل. وفي هذا الصدد، يجدر بنا ملاحظة، أن التاريخ الشفهي لمعظم القبائل القديمة، يتجلى كمزيج من الأساطير والوقائع الحياتية، وأنه ـ بسبب ذلك ـ غالبًا ما يتبدى أقل صفاءً كتاريخ، وأكثر قابلية لأن يُنظر إليه كسلسلة مرويات شعبية ميثولوجية، تعبّر عن أفكار متنوعة. هذه الملاحظة الهامشيّة هامّة للغاية للتمييز بين ما هو تاريخي وما هو أسطوري، فليس كل ما يروى في المصادر القديمة، سواء أكانت دينية مقدّسة أم إخبارية، هو مادة تاريخية صافية لا يجوز إلا قبولها والاستسلام لها، وليست الأساطير مجرد خرافات لا معنى لها. والأمر ذاته ينطبق على حالة الشخصيات والأبطال في هذه المصادر، إذ ليست كل شخصية أو كل بطل هو ـ أو هي ـ حقيقة تاريخية مؤكدة، مثلًا، عندما نقرأ نصًا عن يوشع بن نون؛ فإننا نتقبله كنص يدور حول شخصية دينية لا كشخصية تاريخية، لأننا لا نملك عنه أي معطيات موثقة (سجلات، نقوش.. إلخ) تبرهن على وجوده، بينما على العكس من ذلك، نستطيع بسهولة تقبّل نص آخر، مثلًا عن نبوخذ نصّر؛ بوصفه نصًا عن شخصية تاريخية مؤكدة، وذلك لسبب بسيط هو امتلاكنا لسجلات ووثائق مكتوبة، تؤبّد وجوده في المسرح الإنساني القديم. لكن ذلك لا يبرر بأيّ حال من الأحوال عدم الإيمان

بوجود الأبطال والشخصيات الدينية، أو الجدل حول حقيقيتها أو نكران وجودها. ومن الهام للغاية ملاحظة أن هذا التمييز غرضه الفصل ـ وليس السجال ـ بين ما هو تاريخي وأسطوري.

والحال هذه، فإن كل ما ورد في التوراة من نصوص عن رحلة يوشع ابن نون، وعبوره الأردن، لا يندرج في سياق التاريخ المكتوب والموثق، وإنه في الجوهر، سرد ميثولوجي لأحداث وشخصيات يتعيّن تقبّلها فقط، بوصفها (مواد دينية) لا مواد تاريخية. وفي هذا السياق وحده، روت التوراة قصة عبور الأردن. ولكن أي أردن هذا؟ إننا نجد في نصّ يوشع[1] יהושע (4 : 15 ـ21) وهو النص الأهم الذي يروي قصة العبور، وصفًا لوادٍ من الوديان العظيمة لا يتطابق بأي صورة من الصور مع جغرافية بلاد الشام القديمة، لا من حيث التوصيف الجغرافي ولا من حيث التسميات، والنص يسميه הירדן ها ـ يردن. وهناك صيغة أخرى غامضة ومثيرة للحيرة عن الأردن المزعوم، تفادت القراءة الأوروبية إمعان الفكر فيها، ولنقل إنها تحايلت عليها وقامت بحجبها كليًّا عن أنظارنا، وذلك من أجل طمس معالم مسألة الأردن برمتها ومنع إثارتها للنقاش. هذه الصيغة هي نهر الأردم הירדים وليس الأردن التي تشير إليها بعض النصوص الأخرى، وفُهمت على أن المقصود بها الأردن البلد العربي. إليكم ما يقوله النص التوراتي (يشوع، النص العربي: 2: 22: 3: 10، و: 3: 11: 4: 9، والنص العبري: 3: 7: 4: 6) وهو يتحدث بوضوح عن الفكرة التالية: إن بني إسرائيل اجتازوا النهر وهم يحملون تابوت العهد:

(ويعمدو ـ ها ـ يميم ـ ها ـ يرديم ـ م ـ لمعلة ـ قمو ـ ند ـ ءحد ـ ها ـ رحق ـ مئد)

---

(1) أرجو من القرّاء ملاحظة ما يلي: أن اسم يوشع يكتب بالحرف العبري في صورة يهوشعיהושע. وهذه الهاء يجب أن تذكرنا بالطريقة التي يرسم فيها اليمنيون أسماء ملوكهم وشخصياتهم القديمة وحتى بعض الأفعال، مثلًا: شمر يهرعش ملك نجران. أو كلمة يهريق الماء ـ يريق الماء ـ وهذا أمر تنفرد فيه العبرية ولهجات اليمن على حدّ سواء.

(ب ـ ءدم ـ ها ـ عير ـ ء شر ـ مصد ـ صرتن ـ وها ـ يرديم ـ عل ـ يم ـ ها ـ عربه ـ يم ـ ها ـ ملح)

(ויעמדו-הירים-מ-למעלה-קמו-נד-אחד-ה-רחק-מאד-ב-אדם-ה-עיר-אשר-מצד-סרתן - וה-ירדים-על-ים-ה-מלח

(فأوقفتهم مياه الأردِم من المعلاة. فنهضوا ومضوا نحو رحق، مبتعدين في وادي أديم والمنازل التي عند مُنْقَطَع صرتن. ومياه الأردم تصعد نحو ـ وادي ـ العرب ويام و ـ جبل ـ الملح)

أودّ قبل مناقشة النصّ، أن ألفت نظر القراء إلى أن النص العبري يخلو من الفواصل، فهو يسرد الأسماء بالتتابع وبحيث يبدو بعضها وكأنه اسم مركب مثل: يام الملح، والمقصود جبل يام وجبل الملح. كما أن الكثير من الأسماء تكتب بالعادات الصوتية اليمنية نفسها، أو ما يعرف بلهجة الكلاع أي بإضافة النون في أول الاسم أو آخره مثل عرب ـ عربن، وأحيانًا تأتي كنون وسطية لا وظيفة لها مثل برنع ـ برع، فضلًا عن أن العبرية لا تعرف حرف الضاد أو الظاء أو الثاء أو الخاء ـ بنقطة من فوق ـ كما أودّ التنبيه إلى أن المؤلفين والكتاب من التيار التوراتي، هم منْ (اختلق) ما يدعى (البحر الميت) والزعم أن التوراة سجلت الاسم بترجمة اسم يام ملح إلى (البحر الميت)؟ وبكل يقين، فهذا تلفيق استشراقي ما بعده تلفيق، لأن يام هنا لا تعني (بحرًا) بل تؤدي معنى جبل يام، وكلمة (ملح) تعني جبل ملح وليس (المالح) وهما جبلان شهيران.

ما يقوله النص هو التالي: إن الجماعة المُهاجرة حاملة تابوت العهد، صادفت في طريق رحلتها من مكان ما، مياهًا غزيرة كانت تغمر أحد الوديان، ويدعى حرفيًا وادي الأردم ـ ها ـ يرديم، وليس نهرًا يدعى نهر الأردن؟ ولأنها لم تتمكن من اجتيازه، فقد قررت الابتعاد عنه باتجاه موضع يدعى رحق. لكن المترجمين أخطأوا فهم الجملة وقاموا بترجمة اسم الموضع رحق اعتباطًا إلى (مسافة كبيرة). علمًا أن العبرية لا تعرف أي مرادف أو معنى تقريبي للكلمة. وبعد ذلك، سارت الجماعة نحو جبل يدعى أدِم عند منقطع

مياهه، قرب حصن تسمّيه صرتن ـ صرتن، وضبطه العربي الصحيح حصن صرة **מצד-סרתן** [1]، حيث تندفع آنئذٍ، باتجاه وادي العرب وجبل يام وجبل الملح لتصبّ هناك. وفي هذا الممر الضيق، مضت الجماعة المهاجرة لتعبر ـ ها ـ برديم (أي الأردم). إن شرق الأردن وفلسطين التاريخية لا يعرفان قط، لا وادي الأردم هذا، ولا وادي أدِيم ولا وادي العرب ولا جبل يام الملح ولا حصن صرتن ولا موضع رحق. كما لا توجد في جغرافية بلاد الشام القديمة مثل هذه المواضع، وهي جبال ووديان غزيرة المياه يستحيل تخيّل اندثارها؟ ومع ذلك، تجاهلت القراءة الاستشراقية هذه الحقائق، وواصلت دعم فكرة عبور الأردن المزعوم كحقيقة تاريخية قابلة للتكرار. وفي هذا السياق تحايلت الترجمة العربية على النص؛ فبدلًا من رسم اسم الأردم في جملة (**ויעמדו-הירדים-מ-למעלה** ويعمدو ـ ها ـ يرديم ـ م ـ ل ـ معلة) كما هو واستنادًا إلى حروف الهجاء الأصلية التي رسم بها، قام المترجمون بمكافأة الاسم بـ ـ كتلة الماء ـ في جملة طويلة وملتبسة تقول (ووقف الماء المُنحدرُ من عالية النهر كتلة واحدة). وهذه ترجمة غير مقبولة بكل المقاييس، لأن المقصود فيها ليس كتلة ماء، وإنما مياه وادٍ بعينه يدعى وادي الأردم. وصحيح الجملة وفحواها هو التالي:

(فأوقفتهم ـ مياه ـ الأردم من المعلاة) وهما موضعان محدّدان يدعى أحدهما ها ـ يردم ويدعى الآخر المعلاة، أي المرتفع الجبلي. ثم عبر بنو إسرائيل كما تقول الرواية، موضعًا آخر غزير المياه، ولكن من أضيق ممر فيه عند مُنْقَطع المياه القادمة قرب صرتن ومن جبل أدِيم، حيث تندفع آنئذٍ الى وادي قريب يدعى وادي ها ـ عربه (العرب). وبكل يقين؛ فإن سارد النص العبري لم يكن يقصد نهر الأردن العربي، إذ لو أراد تسجيل واقعة العبور هذه

(1) بمعاملة النون الأخيرة كأداة تعريف، وإسقاط التاء الوسطية اللاصقة، وهي حرف ليس من أصل الاسم غالبًا ما يضيفه اليمنيون في أول أو آخر الاسم، فمثلًا هم يرسمون اسم قريش في النقوش في صورة قرشت، ويقولون في وادي بيش ـ بيشة. ولذلك فالاسم ينطق اليوم في صورة الصرة.

لتوجب عليه أن يقول:(ب ـ نهر ـ ها ـ يردن) كما هي العادة وليس (يرديم). وفضلًا عن ذلك؛ فإن مياه وادي الأردن العربي لا تنقطع عند موضع يدعى جبل إدِم، ولا تذهب إلى وادي العرب ـ عربه قرب صرتن. لقد زعمت القراءة الاستشراقية، أن وجود اسم ها ـ عربة هذا، يؤكد فحوى الجملة وأنها تنصرف إلى وادي عربة الأردني. وهذا غير مقبول كليًا، وبشكل قاطع لأنه يتجاهل أن الاسم يتضمن أداة التعريف(ها) ها ـ عربه، أي العربة، وليس عربه دون ألف ولام، وبحيث نقبل فكرة أن المقصود منها وادي عربه الأردني؟ كما أن الترجمة تتجاهل أن اسم الأرديم لا يمكن أن يكون هو ذاته اسم (ها ـ يردن)؟ فهل كان سارد النص العبري يشير إلى موضع آخر، ليس له وجود في فلسطين ولا علاقة له بجغرافيتها. فماذا سيحدث لو أننا فتشنا عن الجغرافية الحقيقية للتوراة خارج النصّ الذي قرئ بمخيال استشراقي، لا يعرف أي شيء حقيقي عن بيئة الكتاب المقدّس التاريخية؟ ما يحدث بكل تأكيد، هو أننا سنقلب التاريخ التوراتي رأسًا على عقب وبحيث لا تعود لمروياته أية صلة بفلسطين.

إليكم ما يقوله الهمداني في وصف وضبط اسم وادي الأردم هذا (صفة جزيرة العرب: 305):

(من عدن، لحج، بلد الأصابح، ثم الصُهيب، وبها سبأ صُهيب قبيلة من سبأ، ثم الحبيل، ثم أسفل ـ وادي ـ الأردم وهو وادي الأجعود ثم صور، ثم ثريد).

هذا هو وادي الأردم حرفيًا، وتمامًا كما في الرسم العبري، وهو دعي في عصر الهمداني باسم وادي الأجعود، ويقع على الطريق من عدن إلى لحج ـ المحافظة الثانية في جنوب اليمن ـ قرب صور ـ صور اليمن ـ وليس صور عُمان ـ وقرب وادي ثريد ـ سريد في التوراة. ولنلاحظ هنا، أن النص يرسم اسم ثريد في صورة سريد، لأن العبرية تفتقد حرف الثاء المثلثة فتستبدلها بالسين[1]. ولذا،

(1) وهذا هو الأصل الفونيطيقي للفظ الثاء سينًا في لهجات أهل الشام ومصر (أثاث ـ أساس، ثناء ـ سناء)

يمكن اعتبار هذا الأمر دليلًا وإنْ كان صغيرًا في سلسلة أدلة لغوية كثيرة سنقدمها، تؤكد أن العبرية هي لهجة قبائل من جنوب الجزيرة العربية، مثلها مثل لهجات عاد وثمود والصفوين والمعينيين والأنباط. والآن دعونا نعود إلى النص:

إذا ما قررت الجماعة المرتحلة، الابتعاد عن المياه المتدفقة من هذا الوادي؛ فإن عليها أن تتجه بالفعل، نحو مخلاف السحول حيث جبل أدِم، وليس الى أي مكان آخر، فهناك سوف ترى مسيل المياه نفسها، وهي تندفع نحو وادي العرب ونحو جبل يام وجبل الملح. وإذا ما سرنا في منطقة نهر الأردن البلد العربي؛ فإننا لن نصل مطلقًا إلى أيٍّ من المواضع المذكورة في النص العبري، بينما ـ إذا ما فعلنا العكس ـ فإننا لن ندخل مع يوشع بن نون إلى أرض فلسطين، وإنما ندخل أرض سراة حمير، حيث قامت هناك ذات يوم، مملكتان: في الشمال إسرائيل (شرق صنعاء) ويهوذا في الجنوب (عدن وحضرموت). وعندما نقوم بمطابقة الوصف التوراتي مع جغرافية مديريتي وصاب العليا والسفلى، فسوف نجد هناك وادي الأردم (الأجعود نسبة للقبيلة التي أقامت فيه) في الجزء الغربي من مدينة ذمار التي يتراوح ارتفاع سطحها ما بين (1400 ـ2600) متر عن مستوى سطح البحر. وفي هذا البقعة الجميلة من اليمن، يمكن رؤية السلسلة الجبلية التي تتخللها الأودية الخصبة، ومن أهمها وادي النار في مديرية عتمة ـ عتمة في التوراة، ووادي زبيد ـ زبدة في التوراة الذي يخترق مديرية حزم العدين ـ عدين في التوراة من محافظة إب، وأخيرًا يمكن لنا رؤية وادي الأردم وقد اختلطت مياهه بمياه وادي زبيد. يعني هذا أن مسرح الحدث التوراتي كان في المثلث الحدودي بين ذمار القديمة وإب والبيضاء، حيث صادف المرتحلون مياه الوادي، فاضطرّوا للتراجع باتجاه محافظة إب. إن (رحق) التي ترجمت اعتباطًا إلى فعل،هي قرية جبلية شهيرة لا تزال موجودة في مديرية المخادر ضمن عزلة الشرف في إب، أي بالضبط كما وصفها يشوع (سوية مع عزلة الشرف).والتوراة تسجل اسم عزلة الشرف هذه، بالصيغة نفسها في أكثر من موضع على ما بيّنّا في (فلسطين المتخيّلة).

فهل ثمة من خطأ جغرافي؟ أم إن المسألة تتعلق بمطابقة تعسفية قام بها التوراتيون بين نصوص التوراة وجغرافية فلسطين؟ قبل تقديم أيّ جواب عن هذا السؤال، أودّ أن ألفت انتباه القراء إلى ما يسمى في علوم الجغرافيا بـ(خط تقسيم المياه) وهي فكرة جغرافية شديدة الأهمية، يتوقف على فهمها واستيعابها وإلى حد بعيد، تشكيل وعي منهجي لتتبع مسار الوديان التي يشير إليها نص يشوع. إن فرادة جغرافية اليمن تكمن هنا، فهي تمتلك عددًا هائلًا من الوديان التي تأتيها بالمياه من كل مكان. وخط تقسيم المياه في اليمن، يقع على وجه التحديد في سلسلة سرو حمير، وهي السراة الكبرى حيث تنحدر المياه عبر عدد من الوديان، شرقًا وغربًا وجنوبًا. وهناك أكثر من أربعة وديان كبرى تشكل هذه الثروة المائية، وقد ورد ذكرها في التوراة بالصيغ الحالية نفسها دون أدنى تحوير، ومنها وادي مور ـ مور (سفر التكوين). وبوجه العموم تصبُّ هذه الوديان جميعًا في البحر الأحمر، باستثناء بعض الوديان الصغيرة الأخرى ـ وورد ذكرها أيضًا في التوراة ـ مثل وادي تبن ـ تبن وبنا وحضرموت، فهي تصب في خليج عدن والبحر العربي.

ولذلك، سوف تبدو صورة الجماعة التي حاصرتها المياه خلال هجرتها من مكان نحو آخر، صورة دقيقة للغاية لا تضاهى بصورة وادي الأردن البلد العربي شحيح المياه. أكثر من ذلك، إن الأردن البلد لا توجد فيه مثل هذه المياه التي صادفت الجماعة المرتحلة وأعاقتها عن التقدم؟ ولذلك سوف نفتش في هذا الفضاء عن المواضع التي مرّ بها موكب العابرين وهم يحملون تابوت العهد. وهذه الوديان حسب النص العبري هي: وادي العرب، جبل يام، جبل الملح، صرتن. وكنا لاحظنا أن وادي الأردم الذي أعاقت مياهه تقدم الموكب، هو من أهم أودية ذمار، وأن رحق التي لجأوا إليها، هي عزلة جبلية في الشريط الحدودي الواصل بينها وبين محافظة إب، وأنهم بسبب ذلك اتجهوا نحو جبل يام.الذي لا يزال يحتفظ باسمه التوراتي يام، ضمن الحدود الإدارية لمديرية نهم أكبر مديريات محافظة صنعاء، وهو جبل عظيم مترامي الاطراف يتصل بالجوف. وبشكل عام، تصبّ أودية نهم في منطقة الجوف. ونهم قبيلة كبيرة من قبائل اليمن، تقع أراضيها شمال شرق

صنعاء، يحدّها من الشمال والشرق الجوف وبلاد سفيان، ومن الجنوب خولان العالية، ومن الغرب أرحب. أما وادي الملح فهو من الأودية القائمة اليوم من مديرية شرعب التابعة لتعز، حيث تأتي مياهه لتختلط بالأودية القادمة من عدن. وفي هذا الفضاء الجغرافي الرائع، يقع وادي العرب الذي لم يعد يعرف باسمه القديم، وحسب وصف الهمداني ـ فهو يندفع من زبيد بين بلد بني مجيد وأبين وينتهي عند عدن، مارًّا قرب بعض هذه المواضع. وعلى الأطراف الغربية لهذا الوادي، تقع أرض السَّلف ـ السلف في التوراة والربيعيين (رءوبين ومن هؤلاء جاء اسم السبط الإسرائيلي) حتى يبلغ مديرية خدير في تعز، ثم تتجه مياهه بعد ذلك نحو البحر. كما أن وادي أديم الذي اتجهت الجماعة صوبه تجنبًا للمياه الغزيرة، يقع في المكان نفسه في منطقة المقاطرة (مديرية الشمايتين) التابعة لمحافظة تعز. لكن التقسيم الإداري الجديد الذي حوّل المقاطرة إلى مديرية، أعاد وضعها ضمن مديريات محافظة لحج، بعدما كانت تتبع محافظة تعز. ومديرية المقاطرة منطقة جبلية شديدة الوعورة ومن أهم أوديتها وادي أديم، والهمداني يذكره ـ صفة جزيرة العرب ـ ضمن بلاد السكاسك.

والآن، بتتبع الطريق التي سلكها الموكب، يتضح أمامنا الاحتمال التالي: إمّا أن الجماعة المرتحلة حاملة تابوت العهد، قدمت من صعدة مركزها الروحي والتاريخي قاصدة عدن أو العكس (وحتى اليوم يعرف يهود صعدة أن قصص التوراة دارت فوق أرضهم لا في فلسطين). والتقاليد الدينية اليهودية بحمل تابوت العهد، والانتقال به من مكان لآخر، جزء عضوي من التقاليد التي يجري التقيّد بها، وخصوصًا خلال المعارك، فالتابوت المقدس هو حامي الجماعة ومصدر نصرها.

وأودّ هنا، أن أنبّه القرّاء إلى أن (تابوت العهد) ليس تابوتًا أو صندوقًا كما هو التصور الشائع والخاطئ، إذ من غير المعقول أن تحمل الجماعة أثناء الحرب تابوتًا لا يقوى ربما، عشرون رجلًا على حمله، وهذا أمر يعيق الفرسان خلال القتال ويسبب الارتباك في صفوفهم؛ بل هو علامة دينية تحمل كالسارية أو الراية التي يحملها رجل واحد، ويتناوب على حملها

الفرسان إذا ما سقطت. ولعل نص التوراة الذي يذكر اسم صعدة[1]، هو من بين أكثر النصوص التي جرى التلاعب بها، إذ ترجم الاسم إلى (صعود) فيما النص يشير إلى اسم مكان بعينه צעדה . وفي هذا الإطار وحده يتوجب الافتراض أن الفارق بين صيغتي الأردم، وها ـ يردن، ليس مجرد فارق لغوي طفيف يمكن التغاضي عنه وإهماله، وإنما ـ على الضد من ذلك ـ هو فارق جوهري يتصل بالجغرافيا ويستحيل تجاهله. هاكم مبدئيًّا بعض الأدلّة التمهيدية: يفردُ نص سفر يشوع لأربعة من أسباط بني إسرائيل، هم سبط جد، ومنسه، ويوسف، ورءوبين، فصلًا خاصًّا لوصف وتحديد منازلها، وكيف وصلت للإقامة في ما يُدعى غرب وشرق اليردن. لقد اعتنت القراءة الاستشراقية للتوراة ودون توقف، بالترويج لفكرة أن المقصود من جملة: ها ـ يردن، إنما هو نهر الأردن ـ البلد العربي، وبالتالي فالمقصود من غرب اليردن غرب النهر، أي الضفة الغربية من فلسطين. وهذه مُطابقة ماكرة ومُحترَفة، الغرض منها تضليل القراء وخداعهم بأن التوراة لها علاقة بجغرافية فلسطين التاريخية. ولأن هذا الاسم لا يُكتب بالعبرية في صورة (الأردن) بل (اليردن) حرفيًّا (انظر الصيغة الأخرى: الأرديم ـ الأردم) فقد راودت الشكوك د. كمال صليبي ـ رحمه الله ـ ودفعته إلى التنبيه إليه، مفترضًا أن الكلمة تعني (الشق ـ الصدع الأرضي العظيم). وهذه ملاحظة هامة للغاية، لكنها لا تلامس بما يكفي من الأدلة العلمية الحقيقة التي نصبو إليها، لأن الاسم له مدلولات أخرى أعمق من مدلول الشق المائي أو الصدع الأرضي. وبرغم أن التوراة لا تشير البتة الى كونه نهرًا، وليس ثمة دليل لغوي أو ثقافي أو جغرافي يدعم هذا التصور؛ فإن فكرة وجود أسباط إسرائيلية عتيقة، حصلت من موسى النبي على حق تملّك غرب وشرق الأردن كله، جرى توظيفها بدهاء في استراتيجيات الاستيلاء على الأراضي العربية، كما هو الحال مع الجولان السوري الذي زعم أنه ورد في التوراة، وهذا تضليل ما بعده تضليل (انظر ما كتبناه عن الجولان السوري المزعوم

(1) سفر الملوك الثاني: 5: 23: 25.

وهو مخلاف خولان والعبرية تستبدل الخاء المعجمة بالجيم المصرية: كولان[1]. وأفضل ما تمكنُ ملاحظتهُ في هذا الصدد، هو أن وجود جماعات إسرائيلية حصلت في عصر موسى على منازل في غرب وشرق الأردن المزعوم، أو على امتداده في كامل الضفة الغربية من فلسطين؛ إنما كان تزييفًا استشراقيًّا نموذجيًّا، تمّ توظيفه بصورةٍ حصْرية للكشف عن الجذور التاريخية والعتيقة (المقدسة) للحق الديني المزعوم، أي إن هذا الحق بات مقدسًا لأنه مرتبط بالنبي موسى.

والمثير للاهتمام في صيغة الاسم ها ـ يردن، إذا ما قرئ في صورة الأردن البلد والنهر، أنه لا يؤدي ولا بأي حالٍ من الأحوال الى الكشف عن المواضع والأسماء المذكورة في النصوص، إذْ لا يعرف غربي النهر أيًّا من أسماء الأسباط أو أسماء الجبال والوديان. ولتسهيل الأمر أمام القرّاء غير المتخصّصين، سأوجز كل ما كُتب في هذا الجزء من الكتاب على النحو التالي:

1: إن نصوص التوراة تتحدث عن اسمين زعم التوراتيون أنهما يشيران إلى نهر الأردن، هما: الأردم (ها ـ يرديم) وهو وادي الأجعود في لحج (جنوب غرب صنعاء) واليردن (ها ـ يردن) وهو وادي مور الذي ينبع من المحويث (شمال صنعاء) ويمر بالحديدة ويصب في البحر الأحمر. وكما سنبرهن تاليًا، فقد حدث تلاعب مخزٍ بالنص الديني القديم، لأن التوراة لا تعرف الأردن البلد العربي ولا فلسطين ولا وادي عربة؟

2: وإننا لو سلمنا جدلًا بهذا الزعم، فعلينا في هذه الحالة أن نجد مبررًا لاختفاء الجبال والوديان في وصف نهر الأردن، بينما نجدها بالصيغ نفسها، شامخة ومزدهرة حتى اليوم في وصف وادي اليردن اليمني؟

3: وإن فلسطين طولًا وعرضًا لا تعرف جبلًا اسمه يريحو ـ أريحا سقط

(1) كتبنا عن الجولان بالتفصيل في كتابنا **فلسطين المتخيّلة** ـ مصدر مذكور، وسنعود إلى إثارة المسألة في كتاب مستقل مدعم بالنقوش.

بيد يشوع بن نون، فأقامت فيه قبائل إسرائيلية؟ ولا تعرف بقايا لغوية أو جغرافية تؤكد وجودها في هذا المكان؟ المدهش، أن أريحا فلسطين هي مكان منخفض، وربما تعدّ أكثر بلد في العالم انخفاضًا عن سطح البحر، بينما تتحدث التوراة عن جبل اسمه يريحو - يرخو(أريحا) فهل اختفت الجبال والوديان والقبائل فجأة؟

4: ولذلك، فالاحتمال الواقعي لتفسير كل هذا الغموض واللبس، هو أن التوراة تتحدث عن مواضع في جغرافيا أخرى، ليست هي بكل تأكيد جغرافية فلسطين القديمة، ومن بين هذه المواضع وادي الأردم.(وهو كما سنبرهن من وديان اليمن الشهيرة في التاريخ القديم، ويدعى اليوم باسمه الجديد: وادي الأجعود نسبة للقبيلة التي أقامت فيه، وكذلك، وادي اليردن الذي أقامت فيه قديمًا القبيلة اليمنية البائدة يرد - بن مهلئيل). ولمّا كانت نظرية هذا الكتاب تقوم على أساس أن التوراة - في مطلق الأحوال - لم تتحدث عن نهر الأردن، وأن بني إسرائيل لم يصلوا إلى هنا، ولم يعبروا النهر نحو الضفة الغربية من فلسطين، ولم يفتحوا أريحا، ولم يدخلوا منها إلى أورشليم، ولا يعرفون القدس العربية، وأن كل ما كتب وقيل في هذا الصدد ناجم عن قراءة خاطئة وملتبسة للنص التوراتي، فقد آثرت، قبل مواصلة تحليل سائر النصوص المتعلقة بالعبور، أن أبدأ بتوضيح كل ذلك، وفقط من خلال إعادة بناء نص التوراة نفسها عن سكن الأسباط الإسرائيلية غربي اليردن.

سأقدم - هنا - وصفًا متكاملًا لما يعرف بأردن التوراة، وهو وادي مور أعظم وديان اليمن (وميزاب تهامة) الأكبر - بتعبير الهمداني. وهذا الوادي لا علاقة له بوادي (الأردم في لحج) ولا بالأردن النهر العربي في جنوب الشام.

يبدأ وادي مور - وهو نهر الأردن المقصود في التوراة - بالجريان من جبل المثلث في محافظة صعدة، ومياهه تتدفق بغزارة من جبال عدد من المحافظات والمدن اليمنية، مثل حجة وكحلان عفار والأشمور، وجبل مسور، والظفير، وتصب في وادي شرس. كما تأتي بعض مياهه من

الجميمة ووادي لاعة ووادي شهر ووادي خائفة، ثم تجتمع كل هذه المياه بمسيل كبير يحمل اسمه (وادي مور) لتلتقي مع ما يصب إليه من مياه وادي أخرف، وسفيان، والعبيسة، والقفلة، وسحار، وساقين (القادم من صعدة). وأخيرًا لتختلط مع المياه النازلة من العصيمات، وعذر، وحبور، وظليمة في محافظة عمران (ظليمة عمران) والجميمة. ثم يتجه نحو أراضي واسعة من مديرية الزهرة، واللحية وهما من مديريات محافظة الحديدة، ليصبّ في النهاية في البحر الأحمر. ويتبيّن من هذا التوصيف، أن وادي مور (ها ـ يردن، بمعنى المياه الغزيرة الواردة ـ من يرد) وفي طريقه من صعدة، يمر بعدد من المحافظات قبل أن يصب في البحر الأحمر، وهو يقوم بالفعل بشق أرض اليمن طولًا، إلى شرق وغرب الوادي، كما هو مبين في القائمة أدناه، وتمامًا كما في وصف التوراة. علمًا أن كل الأسماء الواردة في هذا الوصف وردت في نصوص التوراة كأسماء أماكن حصلت عليها الأسباط شرق وغرب النهر (الوادي ـ والعرب تسمي مياه الوادي نهرًا). المثير للدهشة أننا نجد اسم يرد ـ ن، هذا في صورة جبل لا يزال شامخًا حتى اليوم في المكان نفسه (محافظة تعز). هاكم هذا الاكتشاف:

تعد محافظة ريمة واحدة من أجمل المناطق في اليمن، بفضل موقعها الجغرافي الرائع، حيث تتوسط سلسلة الجبال الغربية بين درجتي 14،63 و14،88 شمالًا وبين 43،05 و44 شرقًا، وبفضل طبيعتها الجغرافية الخلابة التي تتكون من أودية خصبة وهضاب ومرتفعات جبلية شاهقة. لكن أجملها وأعلاها جبل يرد ـ يردن في التوراة، وهو يقع إداريًا ضمن مديرية كسمة ويبلغ ارتفاعه عن مستوى سطح البحر 2850 مترًا تقريبًا. وبوسع الزائر، إذا ما كان جالسًا في غرفة أو واقفًا على سطح منزل ـ في قمة أحد الجبال الشاهقة في محافظة ريمة ـ أن يجول ببصره صوب جهة الغرب ليشاهد مدينة الحديدة والبحر الأحمر وبقية المدن والمناطق التهامية، وأن يشاهد كذلك الموانئ اليمنية التاريخية كالمخا وموزع وقلعة المقاطرة التاريخية وجبل صبر في محافظة تعز، كما يمكنه أن يرى أضواء العاصمة صنعاء ليلًا.

هذا هو جبل يرد (يردن) الذي أقامت فيه القبيلة يرد بن مهلئيل عند ضفاف الوادي العظيم والجبل. وهذا هو الوادي الذي يشق أرض اليمن إلى شرق وغرب النهر. واسم ها ـ يردن هو الاسم الديني لوادي مور. وكما رأينا فهو يشق طريقه من صعدة فالمحويث ثم يتجه نحو البحر الأحمر، مارًا بعدد من المحافظات اليمنية اليوم، ليقسم الأرض إلى (شرق وغرب). وللمرء أن يتخيل عظمة الوادي ومغزى القداسة التي حصل عليها من سكانه الأقدمين.

شرق النهر	غرب النهر
المهرة	صعدة ـ المحويث
حضرموت	حجّة
شبوة	عمران
الجوف	صنعاء
أبين	ريمة
عدن	الحديدة
لحج	تعز
الضالع	
البيضاء	
مأرب	
إب	
ذمار	

الفصل الثاني

الأسباط الإسرائيلية وقبائل اليمن

دعونا نبدأ من السؤال المحرج التالي: من هو سبط جد ـ جاد؟ ومن هو رؤبين؟ ومن أين جاء اسم بنيامين ـ بن ـ يمن، ومن هم الأشيريون ومن هو سبط يشكر ـ يسكر، وماذا عن زبولون ومنسه ويوسف؟ هل هذه أسماء حقيقية، ويمكن تخيّل وجودها كجماعات بشرية تاريخية، انتظمت داخل تراتب أسري متشعّب، عُرف باسم الأسباط وفي شكل هرميّ لتسلسل البطون والأفخاذ؟ ترتبط فكرة وجود السبط، كشكلٍ سابق على ظهور القبيلة، بما يعرف في الأنثروبولوجيا بالنقيل البدائي ـ وهو اصطلاح كان مستخدمًا في اليمن ولاتزال بقاياه اللغوية والاجتماعية قائمة هناك، وهم يستعملون حتى اليوم تعبير النقيل تمامًا كما يستخدمه الأنثروبولوجيون ـ بالحقبة الرعوية الطويلة التي عاشتها سائر المجتمعات المرتحلة، فالسبط في الأصل ولد الناقة: يقال سبطت الناقة بمعنى ولدت، وطرحت مولودها، بمعنى سبطته على الأرض، ثم صار اسمًا دالًا على ابن البنت. فأين يمكن لنا أن نجد بقايا هذه الجماعات؟ سنبدأ من اسم السبط بن ـ يامن، بنيامين (حسب الرسم الاستشراقي السائد). ومن الواضح أن للاسم صلة حميمة باسم يمن، فهذا الاسم كما بيّنًا في (فلسطين المتخيّلة) له صلة باسم موضع شهير هو جبل يامن في عدن، وباسم حصن منيع في تعز يدعى حصن يمين، أقامت فيه الجماعة المسمّاة باسمه بني ـ يمين (بنيامين). وقد تنبّه العالم الجليل المرحوم د. كمال صليبي بذكاء، لبيت طرفة بن العبد في قصيدة شهيرة يقول فيها:

كأن حدوج المالكيه غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية أو من سفين ابن يامن يجور بها الملاح طورًا ويهتد

فارتأى أن بن/ يامن / بنيامين هو ذاته بن يامن في الشعر الجاهلي، وهذا تقدير حصيف ومقبول، لكننا مع ذلك، نرى أن للاسم صلة بالحصن الجبلي، إذ ورد الاسم في نقوش المسند كاسم ملك، وجماعة قبلية بعينها، ففي نقش من مجموعة جام Jam 616[1] يعود تاريخه إلى عهد مملكة سبأ وذو ريدان في القرن الثالث الميلادي - فترة حكم الملك نشأ كرب يأمن - يهرحب ملك سبأ وذي ريدان ابن الملك إيل شرح يحضب ويأزل بيْن - حيث نجد أن الاسم يظهر كاسم ملك في صورة (يأمن).وفي نقش آخر يؤرخ لحملة عسكرية أرسلها الملك نشأ كرب يأمن، لتأديب عدد من القبائل التي حاولت التمرد والخروج على سلطته ورد ذكر الاسم نفسه سوية مع أسماء القبائل التالية: أب أوس/ وأيداع/ وحكم/ وحدلان/ وغامد / وكهال/ وأهلاني/ وجديلة /وحرام/ وحجر لمد/ وأوام/ . وهذه أسماء قبائل تسمّت بأسماء آلهتها وأجدادها القدامى. ومن المؤكد أن تاريخ النقش يرجع إلى عهد الملك شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان (النصف الأول من القرن الثالث الميلادي)، وهو يؤرخ لقيام القيل (رئيس القبيلة) شفعثت أشوع وابنه زايد يأمن من قبيلة همدان، وذلك بعد عودتهم منتصرين من عدة غزوات، منها غزوة (تدحن) ضد قبيلة عك، وغزوة أخرى ضد قبائل وادي عتود وجبل ريمم - ريمه[2]. كل هذا يؤيد فكرة وجود الاسم يامن، كأب أعلى معبود لجماعة تسمّت باسمه وهم بنو يمين (الأمين) الذين ورد اسمهم كسبط إسرائيلي. وفي

(1) د. محمد علي العروسي - قسم السياحة والآثار/ مواقع الكليات/كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بحث بعنوان(جازان في المصادر التاريخية القديمة) اكتشف النقش في محرم بلقيس (معبد عرش ملكة سبأ) في محافظة مأرب وهو من حجر البلق - نوع من أنواع الحجر الكلسي الأبيض المتوفر في جبل بلق القريب من معبد الملكة.

(2) وادي عِتود يقع شمال منطقة جازان، ويربط جازان بأبها والطريق الرئيس الذي يمر بمحاذاة الوادي، ويمتد حتى أطراف مدينة خميس مشيط.

صورة أخرى موازية يمنه ـ يمنه كاسم موضع. فماذا يعني كل ذلك؟ لدينا أكثر من شاهد ودليل أثري على أنّ هؤلاء، أقاموا في تعز وفي جبل يحمل اسمهم حتى اليوم، وعاشوا داخل حصن هو من أعظم الحصون الأثرية، ويعرف باسم حصن يمين. وللأسف، فقد اجتهد بعض المتفقّهين المتحذلقين اللغويين في ضبط الاسم، فرسموه في صورة (يُمَيْن) وهذا ما لا أساس له، والصحيح أنه (يمين ـ أمين) وهذا هو برأينا اسم الإله ـ المعبود القديم الذي دانت الجماعة بدينه وعبدته وتسمّت باسمه. يقع الحصن في موضع تسميه التوراة يشموت، واليوم، حين ندخل مديرية الشماتين (لاحظ البناء العربي من الاسم يشموت ـ شماتين) فسوف نشاهد الحصن العظيم في أعلى قمة الجبل في عُزْلة تدعى (العزاعز) وهو يشرف على المناطق المجاورة، كالأصابح والقريشة ـ قريس في التوراة. وهذا أمر مدهش حقًّا، فها هو الفضاء الجغرافي الذي يضم الحصن والجبل والمواضع الأخرى الواردة في التوراة. ويعدُّ الحصن بحسب المعلومات المتوفرة عنه في دليل اليمن الشامل (من أكثر المعاقل الدفاعية أهمية وقدرة على صدّ الهجمات).

كما تدلّل على ذلك وقائع تاريخية. والأمر ذاته ينطبق على بقية الأسباط، فهي أخذت أسماءها من مواضع وآلهة ومعبودات، كما هو الحال مع اسم السبط الإسرائيلي يوسف ـ يصف יסף فهو برأينا اسم الإله الوثني القديم إساف الذي يرد كاسم كهنوتي في نصوص التوراة (آساف). وهذا عينه اسم الإله الحزين حارس الماء المعروف في الجاهلية باسم إساف (ونائلة). ولنتذكر أن إساف نصب في الكعبة عند زمزم.

يتبقى بصدد اسم بن يامن في قصيدة طرفة بن العبد، أن أشير إلى ما يلي:

ورد اسم عدولي كاسم لميناء حبشي(أثيوبي) في نصوص جغرافية يونانية قديمة منها نصوص للجغرافي اليوناني بلينيوس، بالتلازم مع ذكر مملكة أكسوم (وكذلك في: الإبحار في البحر الأحمر ـ المحيط الهندي *Periplus of the Erythraean Sea* وهو دليل ملاحي ألّفه باليونانية رحالة مصري مجهول في مطلع القرن الثاني الميلادي) وقد وصف ميناء عدولي *Adulis* جنوب مصوع بأنه كان سوقًا للعاج. وفي هذا السياق ارتأى بلينيوس أن هذا

الميناء واحد من أهم موانئ البحر الأحمر آنذاك. وتدل النقوش المكتوبة باللغتين الجعزية واليونانية ـ وكذلك النقوش السبئية ـ على نشوء هذه المملكة في القرن الثاني الميلادي وعلى عبور الأكسوميين البحر الأحمر إلى الجنوب العربي في الربع الأخير من ذلك القرن. كل هذا يعني أن سفن بني يامن كانت تجوب البحر الأحمر سوية مع السفن المبحرة من ميناء عدولي الأثيوبي.

وقبل أن نبدأ بتحليل كل هذه الأسماء ونكشف عن إمكانيات وجودها كشخصيات تاريخية، يتعيّن أولًا، أن نعطي مقاربة جديدة لبعضها، مثلًا اسم السبط الإسرائيلي جد ـ جاد، ونتساءل: من هو ومن أين جاء اسمه؟ إن الغرض من ذلك، المساعدة في بناء نموذج دراسي للقرّاء غير المتخصّصين، لأجل فهم أعمق لقصص التوراة. ويتعيّن ثانيًا، أن نشبك هذه المقاربة مع معارفنا عن أسماء القبائل اليمنية. في الواقع ليس لدى محقّقي التوراة أدنى فكرة عن معنى الاسم جد ـ جاد ولا مصدره؟ كما لا يملك أيٌّ من مترجمي النص العبري، معلومات ذات قيمة لغوية، يمكن أن تساهم في فك لغز الاسم. وبالطبع لا يوجد بين المؤرخين الاستشراقيين من يملك إمكانية تقديم مساعدة مقبولة في هذا الصدد. إن أسماء الأسباط الإسرائيلية تستحق دراسة منفصلة، وهذا ما سنقوم به هنا. ولنتذكر، قبل كل شيء أن اليمنيين يحتفظون[1] في تراثهم التاريخي بصورة أثيرة للملك ذي جد /ن/ بوصفه بطلًا أسطوريًّا، لكنهم لا يملكون ما يؤكد (تاريخيّة) هذه الشخصية، باستثناء ما كتبه نسّابة اليمن. وفي نقش آخر من مجموعة كونتي روسيني[2] يرجع

---

(1) مثلًا، الشاعر علقمة بن ذي جدن. 100 هـ/ 719 م (من آل ذي جدن) الحميري، تمييزًا له عن (علقمة ذي قيفان) الملك. ويعرف بـ(علقمة المطموس) لأنه كان أعمى، كما يُعرف بـ(نواحة حمير) لكثرة بكائه على الأطلال. وذو جدن الملك هذا هو علقمة بن الحارث بن زيد بن الغوث بن الأشراف بن سعد بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن زيد بن شدد بن زرعة بن سبأ الأصغر. والأصل في الاسم جد (والنون الكلاعية أداة تعريف منقرضة: الجد).

(2) العروسي: المصدر نفسه.

تاريخه إلى القرن الثالث الميلادي، يذكر النقش قيام أبي كرب ذي سردد ـ قارن مع سرد في التوراة واسم سريد الذي يستخدم اليوم كاسم يهودي ـ أحد كبار فرسان الملك، بغزوات عدّة ضد عدد من قبائل وادي ضمد، وهي قبائل سهرة ـ سهرت، وديوات وصحار وحرة في وادي ضمد والتي خرجت على طاعته، فدحرها وطاردها حتى جبل العكوتين. وفي المقابل، لا ينبغي نكران حقيقة أن الاسم ورد في نقوش مسندية أخرى، وأن بعض المواضع في اليمن لا يزال يحمل بقايا ذكريات عنه. كما يمكننا أن نجد عناصر من هذا الاسم في اسم المدينة جدة (في المملكة العربية السعودية) التي تطلّ على ساحل البحر الأحمر المتصل باليمن. وفضلًا عن ذلك، لا يعدم المرء رؤية بقايا عناصر من الاسم نفسه في نقش عثر عليه علماء الآثار، وفجر نقاشًا بينهم لم ينته حتى اليوم هو نقش (نار/ جد). وأخيرًا، يمكننا أن نعثر على الاسم نفسه بالتلازم مع اسم قبيلة خولان اليمنية التي تعرف بخولان ـ جد/د/ن، أو ما يدعى في الإخباريات خولان الأجدود. وخولن (جددن) الواردة في نقوش المسند، وكانت أراضيها تقع في المنطقة الممتدة من جبل أم ليلى شمالًا حتى الجنوب الغربي لحقل صعدة، وتعرف اليوم بخولان ـ وقد أصبحت مديرية من مديريات صنعاء ـ ، ومساكنها القديمة تشمل منطقة واسعة من محافظة صعدة اليمنية. ولمّا كانت خولان/ جد/دن/ ،أي الجد ـ جاد هذه تقيم في مناطق مطابقة من حيث الوصف وتماثل الأسماء، مع المناطق التي أقام فيها السبط جد/ جاد الإسرائيلي وذلك ما سوف نبرهن عليه، فمن المؤكد أن أسس وقواعد الدراسة العلمية والتحليل الموضوعي، سوف تلزمنا بأخذ هذه المعطيات بنظر الاعتبار.

هاكم نص هذا النقش: (بافقيه44: جام 601: محرم بلقيس مأرب)[1]

(1) بافقيه، محمد عبد القادر وآخرون، 1985: **مختارات من النقوش اليمنية القديمة**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ص472. وكذلك: **تاريخ اليمن القديم**: المؤسسة العربية للدراسات 1985. وانظر كذلك مطهر علي الإرياني، **نقوش مسندية وتعليقات**، صنعاء مركز الدراسات والبحوث اليمني 1990.

بــذت/ه/و/ف/ى/أل/م/ق/ه/ع/ب/د/ه/وأ/ل/ر/م/ ب/س/ب/أ/ ت/ى/ س/ب/أ/و/ ع/د/ى/ أ/ر/ض/ خ/و/ل/ن/ ج/د/د/ ـ ن ـ وترجمته ما يلي: بنفسه (بذاته، حقق نفذ، قدّم نذره للإله ألمقه) عبده إيلرم في غزوتين غزاهما نحو أرض خولان جد (الأجدود) .

يؤكد لنا هذا المُعطى بصورة أولية، أن اسم خولان يرتبط بلقب جد، وأنها عرفت قديمًا به، لكننا نعلم أيضًا أن عبادة الأجداد من العبادات القديمة التي عرفتها سائر الشعوب والجماعات. فهل يشير الاسم إلى معبود القبيلة التي حملته كلقب وانتسبت إليه؟

لقد تنبّه العلّامة د. جواد علي[1] إلى هذا الاحتمال، وافترض وجود علاقة بين الاسم جد واسم السبط الإسرائيلي جد، إذ ورد في الكتابات النبطية ما يشير إليه في صورة ـ جدا ـ . وهو ما نجد بقاياه في الأسماء العربية مثل عبد جد، وعبد الجد.كما حفظت النصوص الثمودية أسماء جملة آلهة، منها الإله جد هدد. وجد هذا هو إله عرف عند بني إرم وعند العرب الشماليين، ويمثل إله الحظ (البخت) وهو نفسه إله السعد في العربية.وبرأيي ـ بخلاف ما ذهب إليه جواد علي وآخرون ـ فإن اسم العاهل الآشوري العظيم نبو خذ نصر الذي يكتب العرب القدماء اسمه في صورة البخت نصّر ـ وهذه هي التهجئة الصحيحة ـ له صلة بعبادة إله الحظ، لأن نبو ـ من نبا، ظهر ـ تتضمن دلالة كلمة ابن، ولذا فهو ابن إله البخت، والبخت كما في العامية العراقية حتى اليوم تعني (الجد الأعلى) كما تعني(الحظ العظيم). وفي اليونانية يعني جد (الحظ). وقد سمي به

(1) العلامة جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية الجزء الثالث 1980م ص 737 (هو اسم إله تعبدت له شعوب عديدة منهم بنو إرم والعرب الجنوبيون والشماليون، كما تعبد له الآشوريون. وقد اقترن اسمه عند الآشوريين والبابليين ب ـ رمان ـ ، ودخلت عبادته إليهم من بني إرم الغربيين. ويمثل ـ رمان ـ رمون Rimmon = Rammon = Ramman وهو في التوراة رمون. ورمون ـ هددن هو إله الهواء والرعد والعواصف، ومن هذا الاسم جاء اسم ـ بنهدد ـ ـ بن هدد ـ بنحدد ـ المذكور في التوراة. ولا بد أن تكون لهذا الإله صلة بالإله ـ جد ـ، كما ظهر ـ جد هدد ـ في كتابات ثمودية عدّة.

موضع بعل جد وموضع مجدل جد. وأما الإله جدت[1]، فالغالب برأي جواد علي أنه إلهة أنثى بدليل وجود تاء التأنيث في آخر الاسم ـ قارن بين الاسم واسم المدينة السعودية جدة ـ والأصل هو جد. وأما آلهة الصفويين، فقد كان من بينها جد ضيف. وقد استعمل الصفويون اسم جد عوض في وصف الإله الوثني، كما استعملوا جد ضيف. لقد ورد اسم الإله جد عوض في صورة هجد عوض في نص محفوظ في متحف دمشق *(Dames 1312)* سوية مع اسم الإلهين شع هقوم وشيع هقوم. ويمكن في هذا النطاق القيام بمقاربة أولية بين اسم يوشع واسم شع وشيع كاسم إله قديم. كما لاحظ د. جواد علي، أن جد عوذ هو إله معروف مشهور عند الصفويين. وقد ذهب رينيه ديسو إلى أن لفظة عوذ ـ عويذ لها صلة باسم عشيرة أو قبيلة كانت تعبد الإله جد، وكان سدنته منهم، فنسب إليهم وعرف بجد عوذ ـ وجد عويذ. وهذا برأينا فهم دقيق، فحتى اليوم، يمكننا أن نعثر على اسم هذا المعبود في سورية بالاسم نفسه: كفر عويد، أي قرية الإله عويد التابعة لمحافظة إدلب.

وفي الآونة الأخيرة، شاع الاسم عويد في وسائل الإعلام بالتلازم مع اضطرابات وقعت هناك. وقد ورد اسم الإله جد ضيف ـ جد ضف في عدد من الكتابات الصفوية التي عثر عليها في المملكة الأردنية الهاشمية. كما ورد فيها اسم إله آخر هو الإلهَه: هجد عوذ ـ ها ـ جد عوذ.

تشير هذه المعطيات الأولية إلى أن الاسم جد، له صلة بمعبود وثني قديم، وأن القبائل العربية العاربة عبدته في إطار عبادة وتقديس الأجداد. ولأن القبيلة الوحيدة التي حملت اسمه هي قبيلة يمنية وعرفت به، وهي خولان جد/د/د/ ن، فمن المحتمل أنها من نسل السبط الإسرائيلي جد ـ جاد؟ فكيف يمكن لنا التأكد من مثل هذا الاحتمال؟ إننا نعلم من نصوص التوراة وبشكل أخص من نص يشوع، أن جد ـ جاد عاش مع الأشيريين ـ مفرد أشير ـ ومع قبائل عك وكنعن وسبط بن ـ يامن؟ بينما تقول نصوص الهمداني والإخباريين العرب وبوضوح أن الأشعريين عاشوا مع عك في الساحل سوية

---

(1) جواد علي: المفصل، الجزء الثالث ـ الفصل السبعون، ص 738.

مع بني كنانة. والمثير أن كثرة من النقوش المسندية تتحدث عن معارك ضد قبيلة عك (عك في التوراة وهذه أعطت اسمها لوادي عكو في اليمن ثم للمدينة الفلسطينية عكا) وبعضها يضعهم سوية مع قبائل أشعر في ساحل بني كنانة على البحر الأحمر (ءشير في التوراة والعين تتحول إلى همزة وياء مثل بئر: بير). والاسم أشعر يرد كاسم ملك: شعر ـ أوتر، وهو برأينا إله الشعائر والطقوس الدينية.لكل هذا، فنحن نرى أن اسم السبط جاد له علاقة بلقب القبيلة العربية اليمنية خولان التي كانت تعرف قديمًا باسم(جاد). أما سبط منسه מנשה فهو النسا ـ والميم أداة تعريف منقرضة ـ وهؤلاء هم النسأة الذين عرفتهم قبائل العرب في الجاهلية، باعتبارهم من بقايا كهنة وأحبار اليهود، ممن كانوا يشتغلون في ما يعرف بالنسيء (الذي حرّمه الإسلام) وهو نظام يقوم على حسابات رياضية معقدة، لضبط التقويم السنوي، ولكن عبر التلاعب بترتيب المناسبات الدينية. لقد عبد هؤلاء إله الزمن (الدهر، أو الإله كرونوس عند الإغريق) وقاموا على خدمته في تنظيم أشكال التقيّد بالتقويم الزمني، لأغراض تتصل بالشعائر والعبادات بتقديم وتأخير الشهور الحرم. وهم تسمّوا باسم إلههم إله النسيء (منسه).

في هذا السياق سوف نجد اسم سُمعي ـ سمعون (شمعون ـ والسين والشين في العبرية حرف واحد) في صورة قبيلة يمنية كانت تعبد الإله المقه، وهو برأينا الإله مكة القديم. لقد هاجر سبط سمعي ـ سمعون إلى الشمال. وذلك ما يدعونا إلى التأمل في المرويات العربية عن هجرة إسماعيل ووصوله مكة حيث بنى الكعبة مع إبراهيم. يقع معبد هذه القبيلة فوق قمة جبل ريام ويعتبر من أهم المعابد، إذ كانت تحج إليه قبيلة سُمعي وبقية القبائل اليمنية. يقع جبل ريام في منطقة أرحب إلى الشمال من العاصمة صنعاء، وتقع عليه مدينة أتوة، وهو جبل مشهور منذ عصور ما قبل الإسلام، إضافة إلى المدينة التي تقع عليه والتي أطلقت عليها النقوش اسم (هـ ج ر ن / أ ت و ت م ويقدم لنا النقش الموسوم بـ RES.4176 - وعُثر عليه على صخرة في الجبل ـ وصفًا مدهشًا لطقوس الحج، حيث يذكر الأعمال التي يحرّم القيام بها. وقد ظهر أول نوع من طقوس الحج بالارتباط مع طقوس الإحرام(تمامًا كما في

طقوس الحج اليوم) وكان ذلك في مأرب، حيث كانت تقام للإله السبئي (المقة) في معبد (أ و ا م)وهو محرم بلقيس، طقوس وشعائر مماثلة لشعائر الحج في شهر محدد من السنة يدعى (ذ أ ب هـ ي). والمثير للدهشة أن الزمزميين لا يزالون هناك في اليمن باسمهم التوراتي القديم. ففي مديرية يافع ـ محافظة لحج هناك العديد من المرتفعات والجبال التي تقيم فيها قبائل تعرف بهذا الاسم، فضلًا عن عزلات جبلية بالاسم نفسه، مثل قبيلة آل الزمزمي الحاشدية وقبيلة الزمزمي التي تسكن منطقة العود وهناك عزلة الزمازم، وهذه القبيلة العريقة تعد من أولى القبائل التي استوطنت العود حيث كانوا يقطنون في محافظة عمران. والأمر ذاته ينطبق على اسم يسكر ـ يشكر في التوراة، فهو اسم القبيلة اليمنية يشكر ـ يسكر،إذ كشفت الكتابات الحضرمية أن عددًا من المكربيين الذين حكموا شعب حضرموت ـ قبل أن يتحول هذا الشعب إلى مملكة، وسجل فيلبي بعضهم في القائمة التي رتبها للحكام ـ . كانوا يحملون اسم الإله يشكر ـ يسكر المعبود الأعلى، ومن هؤلاء المكرب يسكر إيل يهرعش بن أب يسع ـ يشكر إيل يهرعش بن يسع. وحتى اليوم توجد في محافظة صنعاء مديرية أرحب عزلة باسم عزلة شاكر ضمن قرية بوسان. هذا النموذج الدراسي غرضه إيضاح العلاقة بين وجود جماعات وشخصيات وأبطال، وبين وجود عبادات وثنية قديمة، وأن أصل هذه الأسماء لا يُعدّ دليلًا على وجودها كشخصيّات تاريخية حقيقية، والأصحّ أن الجماعات التالية التي تسمّت بها، إنما فعلت ذلك في إطار المعتقدات الدينية التي آمنت بها، فهناك عبّاد الإله الأمين ـ الأمان، وعبّاد الماء، وهم الزمزميون الذين ورد ذكرهم في التوراة في صورة ز ـ م ـ ز ـ م ـ ي ـ م وعبّاد الدهر.. الخ. لكن هؤلاء ومع بزوغ عصر الشرعة الموسوية (شريعة الإله المخلص مسه ـ مشه) انفصلوا عن الوثنية، بينما ظلت جماعات أخرى منهم على دياناتها الوثنية القديمة، مثل عبّاد الفلس: فلشتيم وهو إله السّرة (الخلق ـ تعني فلس: سرّة). وهؤلاء لا علاقة لهم بالفلسطينيين كما تزعم القراءة الاستشراقية؛ بل هم قبائل وثنية من طيىء عرفتها العرب في الجاهلية، واستفاض ابن الكلبي في توصيف معبودهم هذا.



اليردن والديانة الصابئية المندائية

سجل الكتاب المقدّس للصابئة المندائيين والمعروف باسم (كنزا ـ ربة)[1] اسم ها ـ يردن بالصيغة نفسها الواردة في التوراة، بوصفه نهرًا سماويًّا مقدسًا. ولأن المندائية ديانة معمودية سابقة على المسيحية واليهودية[2]، ويتقيّد أتباعها بتعاليم وطقوس (التعميد) والغطس في النهر، فقد طوّرت رؤاها الدينية لليردن، بوصفه لا مجرد نهر حقيقي واحد؛ بل أنهارًا يبلغ عددها 360 نهرًا سماويًّا، يقابلها مثل هذا العدد في الأرض، حيث كُتب على البشر أن يغتسلوا(ويتطهّروا) فيها من الذنوب.وهذا هو الأصل في طقس الوضوء في الإسلام. ولعل بقاياه يمكن رؤيتها في جنوب العراق، حيث يمارس الصابئة طقوس الاغتسال الديني بالأنهار الصغيرة هناك، ويطبقون بدقة تقاليد الوضوء (كما نجد الطقس ذاته في الهند). والصابئة يلفظون في صلواتهم اسم هذا النهر في صورة (يردنا ـ يردنه). والأصل في الاسم يرد، أما النون(يردن) فهي لهجة يمنية تسمى لهجة الكلاع، باسم المخلاف اليمني الذي كان سكانه يشتهرون بإضافة النون في آخر الكلام، فيقولون في صنعا ـ صنعن، وفي عدن ـ عدنن، وفي

---

(1) كنزا ـ ربة يطلق على الكتاب الديني المقدس للمندائيين اسم (كنزا ربا) ـ الكنز العظيم ـ كما يسمى (كنزا ـ اد ـ هيي) ـ كنز الحي، معرفة الحياة. وكلمة كنزا ـ كنزه، تطلق على عقل الإنسان الذي يدعى (كنزا تاقنا) ـ الكنز الكامل (المتقن). أما (ربة) فهي في العربية والعبرية والسريانية بمعنى: كثير، غزير، عظيم.

(2) الديانة المندائية: ثمة فرضية تقول إنها أقدم ديانة موحدة في التاريخ. ومن المحتمل أن جذورها الأولى تعود إلى عصر عبادة الكواكب في الجزيرة العربية واليمن.

عرب ـ عربن[1]. ولعل قداسة الاسم في العقائد السابقة على اليهودية، مردّها الاعتقاد أن يرد هو والد أخنوخ (النبي إدريس في المعتقدات الإسلامية أول من صنع الفلك وجلب الحكمة). وقد زعم العرب القدماء، أن يرد أب أعلى لقبيلة بهذا الاسم، كما أن اليمنيين أطلقوا على وادي مور وهو ميزاب تهامة العظيم، اسم يرد. ومن الواضح أن الكلمة ذات صلة حميمة بالماء ـ من الفعل ورد بمعنى المياه الجارية ـ . وفي الآونة الأخيرة تمّ الكشف عن نقش جديد من نقوش المسند، له أهمية خاصة في رسم جغرافية التوراة الحقيقية، له صلة باسم وادي مور الذي تسجله التوراة بالاسم نفسه مور. وبرأي د. يوسف محمد عبدالله استاذ الآثار والنقوش بجامعة صنعاء،فإن البعثة البريطانية الأثرية العاملة في اليمن بمحافظة الحديدة، وهي التي اكتشفت النقش في موقع أثري يسمى الواقر ـ وقر في التوراة، لاحظت أهمية النقش الذي يتأتى من إشارته لأسماء وديان ومواضع موغلة في القدم. والنقش يتحدث عن قرار ملك يمني إعفاء بعض القبائل من الضرائب المستحقة، وهو مماثل للنقش الذي عثر عليه في وادي حضور. وهنا ترجمة جزء من النقش يظهر فيه اسم وادي مور:

1) كرب إل بين / بن / يثع أمر / هـ/ جـ/ ز / لجأزن / ول / خلب

2) ول / نشن/ ول / مـ ور

كرب إيل بين بن يثع أمر/ أودية جازان (وادي جيزان) وخلب ونشان ومور.

إن ظهور اسم وادي مور في نقوش المسند وفي التوراة، كوادٍ عظيم من أودية تهامة[2]، سوية مع جيزان ـ جازان، يؤكد رمزية الماء الذي حظي

---

(1) النون الكلاعية: يلحق حرف النون الزائد أواخر الأسماء ـ في التذكير والتعريف ـ: ب ي ت ـ ب ي ت ن ـ البيت. هـ، ج، ر: هجرن، صنعا ـ صنعن.

(2) جازن هنا هي جازن منطقة السحول ـ بين تعو وإب اليوم ـ وهذه برأينا هي التي ورد ذكرها في التوراة في صورة (جاذان من أرض مصر).

بقداسة خاصة، لأن مور ليس واديًا من الأودية المألوفة؛ بل هو من أعظمها، وذلك ما يبرر سكن قبيلة باسم يرد ـ يارد بن مهلئيل عند ضفافه.وأودّ هنا لفت الانتباه إلى أن اللهجة اليمنية القديمة مثل العبرية تستبدل الثاء بالسين أو الشين والعكس، يثع= يشع ـ يسع ومنه يسوع ويشوع. وهذا هو إله همدان وسائر اليمنيين.



وصاب العالي جنوب صنعاء ـ حيث يمر وادي الأردم ويدعى اليوم الأجعود

إن عقيدة تقديس الماء من العقائد الضاربة في القدم، وقد نجد تعبيراتها في الكثير من القصص الديني (مثل رمي موسى الطفل في النهر، ورمي يوسف في البئر، وموت ثم انبعاث تموز من النهر، وكذلك أسطورة إيزيروس المصري الذي يلقى به في النيل[1] . . . الخ). لقد تخيّل المؤلفون العرب القدماء ـ ومع الإسلام ـ نسب يرد هذا على النحو التالي: عند ابن حزم[2] (أن مهلال ـ مهلئيل ـ لما بلغ خمسًا وستين سنة، ولد يارد. وعند النصارى كلهم أن مهلال لما بلغ مائة سنة وخمسًا وستين سنة ولد يارد، واتفقت الطائفتان في عمر يارد إذ ولد له خنوخ). وعند ابن الأثير[3] (يارد بن مهلائيل ولد بعدما مضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستون سنة، وفي أيامه عملت الأصنام وعاد من عاد عن الإسلام، ثم نكح يرد، في قول ابن إسحاق، وهو ابن مائة واثنتين وستين سنة، بركتا ابنة الدرمسيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم، فولدت له خنوخ، وهو إدريس النبيّ، فكان أول بني آدم أعطي النبوّة وخط بالقلم، وأول من نظر في علوم النجوم والحساب، وحكماء اليونانيين يسمونه هرمس الحكيم، وهو عظيم عندهم، فعاش يرد بعد مولد إدريس ثمانمائة سنة، وولد له بنون وبنات). أما عند الطبري[4] فهو (يارد الذي عملت الأصنام في زمانه ـ ابن مهلائيل بن قينان ابن أنوش بن شيث ـ وهو هبة الله بن آدم عليه السلام. وكان وصي أبيه بعد مقتل هابيل، فقال: هبة الله بن هابيل، فاشتق اسمه من اسمه). وارتأى ابن الكلبي[5] أنه (يارد بن مهلاييل بن قينان). وهذا ما يقول به ابن أبي أصيبعة[6] فهو عنده (يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم).

---

(1) حول هذه الأساطير، انظر كتابنا: **يوسف والبئر**، وكذلك: **المناحة العظيمة ـ** مصدران مذكوران في قائمة المصادر والمراجع.
(2) ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**: 1/ 126.
(3) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**: 1/ 21.
(4) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**: 1/ 383.
(5) ابن الكلبي، **الأصنام**: 1/ 12.
(6) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**: 1/ 16.

نخلص من كل ذلك إلى قول الفكرة التالية: إن الأصل في اسم يرد ـ ن يعود إلى اسم أب أعلى مقدّس عبدته القبائل العربية اليمنية وارتبط وجوده بالطوفان، وبصناعة الفلك ـ اسمه يارد ـ يرد (من خلال ابنه أخنوخ) وهي تركته في موضع مائي عظيم، حظي عندها مع الوقت بقداسة خاصة. وإن كلمة يردن ذات دلالة دينية تشير إلى المياه الجارية المقدسة. بيد أن الكلمة، ومع الوقت، لم تعد دالّة على اسم المعبود القديم، بمقدار ما صارت ذات معنى يخص المياه الغزيرة التي (ترد) من أعالي الجبال، فتشق الأرض نصفين، شرق وغرب الماء. لقد تحوّل يردن السماوي إلى يردن أرضي يمكن الاغتسال فيه من الخطيئة طوال العام. وفي هذه الصورة الميثولوجية الشيّقة، كل العناصر اللازمة لرؤية عابر باعتباره تجسيدًا لشخصية نوح وابنه[1]. ولنلاحظ أن المزاعم عن صلة اسمه بعبور النهر، تستمد عناصرها الأولية من هذا التماثل الرمزي بين شخصيتي نوح وعابر، فهما عبرا الماء العظيم (المقدّس يردن). ولأن الاسم ورد في كتب الصابئة المندائية قبل ظهور اليهودية بوقت طويل، وكان الاغتسال (التطهّر) والتعميد في مياهه المقدّسة ركنًا أساسيًّا من أركانها، فمن البدهي أن نمعن النظر في العلاقة الدلالية والوظيفية للاسم، ولكن فقط من داخل الإطار التاريخي الذي تطورت خلاله عقيدة التعميد المسيحي. وبخلاف ما يُزعم ـ غالبًا في المؤلفات المكتوبة بروح استشراقية سقيمة ـ فإن الصابئية ليست من الجذر العربي صبأ بمعنى (خرج) على ملّته؛ بل من الجذر مصب ـ مصبتا (م ـ صبا) في المندائية بمعنى غطس، صبغ، غمر. والمصبتا هو طقس التطهّر أو المعمودية، والميم في أول الكلمة، يجب أن تحيلنا فورًا إلى الميم الحميرية التي استخدمت كأداة تعريف (مصبا ـ الصّبا)[2]. وحتى اليوم ينطق العراقيون في الجنوب اسم هؤلاء بهذه الصورة، فلا يقولون

(1) في القرآن نلاحظ أن ابن نوح كان من العاقين لأنه عصى أمر والده.

(2) في اللغة الحميرية يلحق حرف الميم الزائد أواخر الأسماء: : ولدم ـ و ل د م ـ ولد. رجلم ـ ر ج ل م ـ رجل كما يلحق حرف الميم الزائد أواخر أسماء الأعلام أو الأماكن للدلالة على التنوين: حشدم ـ حاشد ـ ملكم ـ مالك ـ

صابئة، وإنما يقولون: الصبّا. ولذلك، ثمة علاقة عضوية بين طقس المعمودية الذي يسمى (معميدوثا)[1] وبين اسم الديانة، ويصبح فيها معنى الصابئية مقترنًا بالمعمودية المندائية القديمة السابقة على اليهودية والمسيحية. أي إن الصابئية هي الاسم العاميّ، الشعبي للمندائية، وأن الأصل في اسم الديانة هو المندائية بمعنى العرفانية من الجذر المنداني مندا، أي معرفة، وهي تعني بالعامية (صباغة). وفي القرآن الكريم ترد الكلمة في آية ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[2]. والمصبتا، ليست تعبيرًا طقوسيًا عن الطهارة الجسدية، بل علامته الكاملة والأكثر تجسيدًا لمعنى التطهير الروحي، لأن العلاقة بعالم النور ـ وهي الركن الأهم في المندائية ـ لن تكتمل من دون النزول في اليردنا. وبواسطة هذه الطقس يرتقي المؤمن في عالم المعرفة الروحية ـ النورانية العليا. وفي الميثولوجيا المندائية، يظهر اليردنا وطقس الاغتسال (المصبتا) كتعبيرين سماويين، وأن أول من قام بجلبهما إلى الأرض هو الملاك هيبل زيوا وذلك عندما عمّد (صبغ) آدم ـ الرجل الأول. في هذا السياق، يتوجب ملاحظة أن يردنا (ها ـ يردن) تعني الماء الجاري، أو الماء الحيّ، السماوي الذي انبثق في مكان غامض من عالم النور، قبل أن تجلبه الملائكة لأهل الأرض. وهذا ما يفسّر لنا على أكمل وجه، مغزى إلحاح الإخباريين العرب في الجاهلية ثم المسلمين على القول إن يرد ـ يارد عاش في عصر الطوفان (الماء العظيم) كما في نص الطبري.

لقد تخيّل القدماء تحت تأثير المندائية، وفكرتها المذهلة عن النهر السماوي المقدّس، والقائلة إن يردنا هبط من السماء إلى الأرض وأصبح نهرًا أرضيًا، أن يرد أب أعلى (معبود) تناسل منه البشر. فماذا يعني هذا التحول في المسار التطوريّ للفكرة الفلسفية القديمة؟ إذا ما لاحظنا أن جوهر فكرة اليردنا، يقوم على أساس أنه من عناصر الخلق الأولى، الأكثر مركزية بين

(1) أصل التعميد المسيحي القديم، ولكنه يبدو مختلفًا عنه إلى حد ما.

(2) القرآن: البقرة: 138 ـ 139 ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ۝ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾.

سائر الأفكار الفلسفية القديمة عن الخلق، فهذا يعني أن أسطورة الطوفان يجب أن تكون في هذه الحالة، فكرة أرضية موازية، فكما انبثق الإنسان من الماء السماوي الجاري(العظيم) يردنا؛فإن انبثاق الإنسان من قلب الطوفان الأرضي ـ وهو يرتبط في التوراة بالخلق ـ سوف يصبح معادلًا رمزيًا موضوعيًا للخلق الأول في السماء. ولذلك، أصبح اليردنا بعد أن جلبته الملائكة، نهرًا أرضيًا مقدّسًا، يستمد طاقته على الجريان والاستمرار من اليردنا السماوية التي تعطيه صفة الحياة والديمومة. ويُفهم من طقوس التعميد المندائية، أن قداسة الماء ترتبط بالجريان، إذ ليس كل ماء هو ماء مقدس. وهذا تمييز دقيق يضع حدودًا صارمة بين القداسة والدنس. وحدهُ الماء الجاري(أي اليردن) يمتلك صفة الحياة والبقاء. وفي المندائية كذلك، يستخدم للتعبير عن هذه الفكرة، الاصطلاح الديني (ميا هيي ـ الماء الحي) للدلالة على أن التعميد مرتبط بالماء الجاري (الأنهار) وليس بأي مياه أخرى. ولعل اللوتيرجيات المندائية التي عبّرت عن هذه الفكرة، وهي لا تزال تتردد في الصلوات الدينية جنوب العراق، هي التي تفصح بقوة عن مغزى التمجيد المتواصل للماء الحيّ:

بريخي ومشبي

وميقري اوثري اد شرين ليردنا

وتعني:

مبارك ومسبّح وممّجد هو الأثري [1]

الذي يسكن في اليردنا

تتضمن هذه الصلاة الدينية الرائعة، كل الأبعاد اللازمة لتشكيل تصوّر مدهش عن علاقة الإنسان بـ ـ ها ـ يردن، فالهبوط فيه للتطهّر أو عبوره واجتيازه والاغتسال من الخطيئة، يعيد المتعمّد أو عابر الماء إلى أصله القديم غير البشري، كإثري طاهر نوراني، أي كملاك هبط من السماء. ولتأكيد

---

(1) أثري، كائن نوراني من كائنات عوالم النور. مفردها (أثرا) وملكي: ملاك وكل أثرا يجب أن يكون ملكًا.

صلة الصابئية باليمن، فمن المهم ملاحظة الفعل (مشبي ـ يشب) وهي ذاتها في العبرية يشب، وفي العربية يثب (وثب، قفز، جلس، نزل).

بهذا المعنى، يكتسب عبور الأردن في العقيدة اليهودية والمسيحية قدسيّة خاصة، فهو إعادة خلق للإنسان كملاك.إن الفكرة الميثولوجية والدينية السائدة عن قداسة الماء، بوصفه لا مصدر الطهارة وحدها، وإنما مصدر كل حياة[1] هي من بين أقدم الأفكار الإنسانية التي تعرّف عليها البشر. ومن قلب هذه الفكرة المركزية في العقل البشري، انبثقت أسطورة عبور الماء، تجاوزه، وصولًا إلى اليابسة، كما في أسطورة الطوفان حين عبر نوح بالبشر نحو اليابسة مجتازًا بهم أهوال الماء الغزير، وكما في أسطورة رمي موسى داخل سلة في النهر(النيل). أو كما في أسطورة يونس (يونه في التوراة**יונה**) الذي ابتلعه الحوت واجتاز به البحر ليقذفه إلى اليابسة، أو كما في معتقد المسيحية عن يسوع الماشي فوق الماء، وسواها من قصص وأفكار ورؤى وتصورات وأساطير ومعتقدات. ولمّا كان هذا الماء في الأصل ماء سماويًا، أي ها ـ يردن وهو 360 نهرًا، فقد بزغت الأسطورة الكبرى المؤسسة لكل أساطير الماء: أسطورة عابر.

ومن قلب هذه الأسطورة نشأت صورة البطل الذي أصبح جدًّا أعلى للشعوب العربية القديمة (ما يدعى خطأ بالشعوب السامية)[2] وتنازعت الجماعات والقبائل في نسبته إليها، كل جماعة تدعيه من شجرة أنسابها، وهو أمر يمكن ملاحظته من إمعان الفكر في النزاع بين العدنانيين والقحطانيين حول نسب قحطان لأنه ينتسب لعابر، أو هو عابر نفسه. ولأن الماء مصدر (كل شيء حيّ) كما يقول النص القرآني والديانة المندائية، فقد ولد عابر من قلب فكرة ميثولوجية مقدّسة عن الماء، وجرى تصوّره على أنه أول من عبر ها ـ يردن السماوي ووصل اليابسة (أي وصل إلى الأرض). بيد أن ولادته البشرية هذه ـ

(1) ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾(الأنبياء: 30).

(2) بنى شلوسر فكرة مصطلحه (الشعوب السامية) على أساس توراتي يقول بوجود شخصية تاريخية تفرعت عنها الأنساب.

حين أصبح بشريًا بعد أن عبر الماء ـ هي التي أملت على الجماعات القبلية المتنازعة في ما بينها حول نسبته إليها، أن تقوم بأنسنته وتحويله إلى شخص بشري، وليس أثريًا كما في الديانة المندائية. وهذا هو مغزى التعميد بالماء في المسيحية، فهي وحدها التي تحوّل الطفل (المقدس) إلى شخص بشري بتعميده بالماء، أي حمله على تمثيل واقعة العبور الأولى لعابر الأول. وهذا هو بالضبط المضمون الحقيقي للفكرة التوراتية عن شق موسى للبحر بعصاه. وهي ذاتها فكرة العبور التي تتكرر في كل الأديان والمعتقدات القديمة. ولعلنا نجد في كتاب الموتى عند الفراعنة فكرة موازية عن عبور الموتى للعالم السفلي، حيث يتجاوزون البحار والأنهار المخيفة بمركبات (زوارق) يقودها أدلّاء، وهو ما يعني أنهم ينشدون من خلال رحلة العبور هذه الحصول على حياة أخرى، إعادة خلق جديد (البعث). وبرأينا، إن المندائية أقدم من اليهودية، وهي ولدت في اليمن وليس في أي مكان آخر. وكلمة مندي من (الجذر الإرمي ـ وهذا هو بالضبط الصحيح للكلمة كما ارتأى صليبي وهو على حق، لأن له صلة بالاسم إرم وليس آرام كما في ضبط التوراة باللغة العربية) (مندا) ويعني (المعرفة، العارف). أما الصابئية فهي الاسم الشعبي الذي أطلق على أتباع هذه الديانة التوحيدية القديمة، كما يطلق اليوم على الموحدين اسم الدروز، وهي تسمية شعبية، أو لقب تحقيريّ (من كلمة درز المصرية بمعنى الخياط: ترزي)[1]. لقد أخطأ الكثير من الباحثين واللغويين العرب في تفسير معنى الاسم، حين ردّوا أصله إلى الجذر صبأ في العربية بمعنى(خرج) وتمّ توظيف هذا الفهم الخاطئ، للدلالة على (الخروج عن الملّة أو الدين).

وهذا غير صحيح بالمطلق، لأن الاسم له صلة عضوية بالكلمة العبرية صبأوت **צבאות** بمعنى النجوم (وتأتي في سياق آخر بمعنى الجنود). وهذا يعيدنا إلى رؤية الأثر الذي تركته عبادة الكواكب في اليمن على تبلور الفلسفة المندائية

(1) الدرزية نسبة لمحمد بن إسماعيل الدرزي، المعروف بتشتكين، (وهو داعية فاطمي أرسل لدمشق). وكان هذا أحد دعاة الدولة الفاطمية بمصر مع حمزة بن علي، إلا أنه تسرّع في إعلان ألوهية الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة 407 هـ مما أغضب حمزة عليه سنة 411 هـ.

العرفانية، كما تدلل على ذلك النقوش واللقى والسجلات وآثار بقايا المعابد هناك. إن تحليل الاسم ثلاثي الجذر سبأ (𐩪𐩨𐩱): س/ب/أ من منظور العلاقة الدلالية مع الجذر الثلاثي لكلمة صبأ العربية: ص/ب/أ، ومع الجذر الثلاثي لكلمة صبؤوت العبرية: ص/ب/ء ـ ص/ب/ءو/و/ت צבאות سوف يوضح على أكمل وجه أن المعنى واحد يشير إلى (خرج، طلع، انطلق). وهو ما يؤكد البعد الديني في الكلمة.وصبأ هي سبأ، ذاتها بتشديد السين (ونطقها صادًا).

وثمة صيغة أخرى من صبأ في نقوش المسند هي صيغة 𐩪𐩨𐩱𐩩 (س/ب/ أ/ت: سبأت) تبدو الأقرب إلى الصيغة اليمنية بزيادة التاء،وللصيغة العبرية صبؤت. وعلى الأرجح، انتشرت الصابئية الشعبية في العراق وحرّان (الجزيرة الفراتية في الشام) بتأثير هجرة كبرى قادت قبائل اليمن إلى هذه الأماكن. وممّا يلفت الانتباه في سياق هذا التصوّر، ما نقله الرواة في الجاهلية عن قبلة المندائيين في منشأ ديانتهم باليمن، إذ يقال إنها كانت الى الشمال، أي إلى الكعبة التي نظر إليها على أنها بيت زحل. وقد لاحظ المقريزي[1] وهو يصف بيوت عبادة الكواكب أنّ (الهياكل كانت عدّتها في الزمن الغابر اثني عشر هيكلًا، وهي هيكل العلة الأولى، وهيكل العقل، وهيكل السياسة، وهيكل الصورة، وهيكل النفس.وكانت هذه الهياكل الخمسة مستديرات والهيكل السادس هيكل زحل وهو مسدس[2]، وبعده هيكل المشتري وهو مثلث، ثم هيكل المرّيخ وهو مربع، وهيكل الشمس وهو أيضًا مربع، وهيكل الزهرة وهو مثلث مستطيل، وهيكل عطارد مثلث في جوف مربع مستطيل وهيكل القمر مثمن). وذلك ما يفسّر لنا سبب إعجاب النبي ﷺ ببيت شعر أمية بن أبي الصلت الذي يصف الإله في صورة ذات أبَّهة أسطورية لا شبيه لها، فهو:

زحل وثور تحت رجل يمينه[3] والنسر للأخرى وليث مرصد

(1) المقريزي: **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار الجزء الأول** 45 / 167 .
(2) الصحيح مكعب. ولا أعرف سبب هذا التوصيف الخاطئ عند المقريزي.
(3) ويروى البيت (رجل).

ولذلك أطلقت قريش على النبي ﷺ حين فاجأها دينه، وارتعدت فرائصها من قوة تأثيره، لقب الصابئ، بمعناه الشعبي لأنه أقام شعائر الصلاة تمامًا كما في المندائية، فتوضأ وسجد كما توضأوا وسجدوا، فقالت: صبأ محمد، أي أصبح على دين الصابئة. لكن المفسرين بإجماعهم يؤكدون على أن قبلة اليهود كانت إلى الغرب وليس إلى الشمال[1] وقبلة النصارى كانت إلى الشرق. وفي سيرة ابن هشام، أن وفد نصارى نجران[2] استقبل الشرق عندما صلى في مسجد القبلتين. ويؤكد ابن المستبصر[3] أنه شاهد المكان المخصّص للقبلتين معًا في المسجد، وأن إحداهما الى الشرق والأخرى باتجاه الغرب. ونظرًا لارتباط اسم نجران بالنصرانية الأولى وبتواصل تقاليد التطهّر في اليردن، فسوف أتوقف قليلًا عند تاريخية الاسم، لاستكمال التصوّر الديني عن مغزى وجود اسم عابر.

ورد اسم نجران في النقش المعروف باسم (جام 579) على النحو التالي:

ب/ذ/ت/ ت/أ/و/ل/ م/ر/أ/هـــم/و/ أ/ل/ش/ر/ح/ ي/ح/ض/
ب/ م/ل/ك/ س/ب/أ /و/ذ/ر/ي/د/ن/ ب/و/ف/ي/ م/ ب/ن/ س/
ب/أ/ت/ و/ض/ب/ي/أ/ س/ب/أ /و/ض/ب/أ /ب/ع/ل/ى/ ذ/س/
ه/رة/ ـ م ـ و/أ/ر/ض/ ح/م/ي/ ـ م ـ / و/ ن/ج/ر/ن/

وترجمته:

وعادوا مع ـ صاحب أمرهم ـ الشرح يحضب ملك سبأ وريدان بالفيء والسبي وبضباء بعل ذا سهرت وأرض حمير ونجران.

---

(1) وهذا هو معنى وجود صحيفة إسرائيلية باسم معاريف ـ مغاريب (الغروب).

(2) أطلق عليها بطليموس اسم(نجراميتروبوليس Nagrametropolis، أي مدينة نجران. كما ورد ذكرها في النقوش اليمنية القديمة؛ وأقدم ذكر لها في نقوش المسند يعود إلى عصر المكارب السبئيين ـ دولة سبأ. كما ذكرت نجران في (نقش النمارة 328م) وقد نعتها بـ (نجران مدينة شمر) نسبة إلى أحد ملوكها شمر يهرعش؛ كما ورد ذكرها في نص أشار إلى حملة خرجت من نجران إلى نباطور (مدينة النبط) وتاريخها يمتد إلى ما قبل الميلاد بمئات السنين.

(3) تاريخ ابن المستبصر، المصدر نفسه.

ومعلوم لعلماء التاريخ القديم ومؤرخي اليمن، أن ممالك اليمن المتصارعة كانت تخوض حروبًا طاحنة في ما بينها، ويبدو أن نجران في عصر الشرح يحضب، كانت قد فقدت مكانتها التقليدية بين الممالك كقوة منافسة، وغدت أكثر خضوعًا لملكة سبأ وذي ريدان ـ نواة الدولة المركزية القديمة ـ . ولأن النصارى في نجران مع بدايات ظهور النصرانية العربية، قطعوا مع اليهودية في مسألة الختان ولم يختتنوا قط، فقد كان لا بد لهم أن يقطعوا مع اتجاه القبلة ـ . وكلمة نصارى لا علاقة لها بالناصرة والصحيح أن للقب نصارى علاقة بالجذر نصر بمعنى الأقلف غير المختون. وقد شرحت ذلك بالتفصيل في كتابي شقيقات قريش[1]. لكن المسيحية وهي تقطع مع اليهودية في مسألة الختان، لم تتمكن من القطع مع فكرة عبور الأردن، أو هي سعت، بالعكس من ذلك إلى تثبيتها لأسباب روحية عميقة، بوصفها فكرة مركزية في التطهّر الديني. ولذا كان أمرًا مألوفًا أن نرى الأناجيل وهي تعجّ بصور الطهارة في الأردن، بينما اكتفى الإسلام في وقت تالٍ بالتركيز على قدسية الماء في سائر الشعائر التي تتطلب تطهير البدن، ولكنه خلق معادلًا موضوعيًّا جديدًا هو التراب كبديل عن الماء، حين حثّ المسلمين على البحث عن تراب طاهر إنْ لم يجدوا ماء للوضوء في آية ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[2]، ذلك أن التراب والماء هما عنصران متلازمان في أسطورة الخلق الأولى. نخلص من هذا العرض لتأكيد الأفكار التالية:

1: إن نهر ها ـ يردن الوارد في التوراة يدلّ على اسم نهر أرضي (عرف بالاسم نفسه في اليمن باسم الأب الأعلى يرد ـ بن مهلئيل الذي حملته قبيلة

---

(1) **شقيقات قريش** ـ مصدر مذكور في قائمة المصادر والمراجع. ومن المؤلم والمؤسف أن بعض المواقع الإلكترونية المسيحية والإسلامية، نقلت ما كتبته في الكتاب دون الإشارة للمصدر، وبعضها نشره منسوبًا لقرّاء ولكتبة صغار وجهلة.

(2) ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾. (النساء: 43). صعيدًا طيِّبًا: تُرابًا ـ سورة: المائدة كذلك.

عرفت بالاسم نفسه وذكرها الهمداني وسواه من الإخباريين العرب والمسلمين) وهو الوادي الذي يعرف باسم وادي مور ميزاب تهامة العظيم.

2: وإن الأصل في التسمية له صلة بديانة ضاربة في القدم، يمكن اعتبارها الديانة المؤسسة لكل الأديان التالية هي ديانة عبور الماء (العبرانية) بمعنى التطهّرية، لا العبور بمعناه الدنيويّ الضيق؟ وهذه الديانة الكبرى والعظيمة قامت على أساس تقديس الماء الحيّ (السماوي) الذي تشكّل في صورته الأرضية بصورة ها ـ يردن.

3: وإن هذه الديانة سابقة على اليهودية التي ستقوم، تاليًا، باستعارة واقتراض فكرة العبور ذاتها، ولكن من خلال أنسْنَتِها، أي تحويلها إلى مادة ذات طابع إنساني، قابل بطبيعته لتحويل البطل (عابر) إلى شخص بشري له نسل وتفرعات أسرية.

4: وإن الاسم أخيرًا، لا يدلّ لا من قريب ولا من بعيد على اسم الأردن النهر والبلد العربي، مثلما أن عابر لا يدلّ على شخص تاريخي، بمقدار ما يدلّ على أثرٍ متبقٍ من عقيدة دينية ضاربة في القدم، هي عقيدة الغطس، التعميد، الصباغة بالماء. كل ذلك، يدعونا إلى ملاحظة الفكرة التالية: إن فكرة عبور ها ـ يردن في الديانة اليهودية فكرة دينية مركزية لا صلة لها على وجه الإطلاق، بما سوف يزعم أنه عبور لنهر الأردن.



الفصل الثالث

يوشع بن نون لم يفتح أريحا الفلسطينية

سنتوقف هنا أمام أسطورة سقوط أريحا من أجل فتح سجال علمي ضد اختراع التاريخ، إذ ما من كاتب في التاريخ الفلسطيني القديم ـ باستثناء عدد صغير ومحدود للغاية ـ وسواء أكانت رؤيته دينية أم تاريخية، إلا وردّد أكذوبة سقوط أريحا وقيام يشوع، تلميذ النبي موسى بتنفيذ مذبحة بحق الفلسطينيين بأمر الرّب. والمرء ليعجب حقًّا، كيف أن هذه الرواية التي لا أصل لها في النص العبري من التوراة، قد أخذت طريقها بسهولة إلى وجدان و(عقول) الملايين من العرب والمسلمين المعاصرين كحقيقة تاريخية مُسلَّم بها، مع أن العرب القدماء والمسلمين الأوائل لا يعرفون أي شيء عن هذا الحدث. ومن المؤسف أن التعامل معها كحدث واقعي في فلسطين، جرى دون أدنى تحقّق من صحّة ما كتب حولها، لا من جانب المؤرخين وحسب، وإنما من جانب علماء الآثار كذلك، وهو ما أدى إلى فوضى عارمة في التاريخ وتسلسل الأحداث والوقائع والعصور.لقد تمّ تداول هذا الزعم دون تساؤل عن مصدر الرواية، وهل ثمة نقوش وسجلات موثقة تؤكدها؟ وبالطبع دون أن يتجرأ أحد من المؤلفين والباحثين المحترفين والهواة وأساتذة الجامعات على طرح تساؤل مواز من قبيل: هل يكفي الاستناد إلى نص توراتي فقط، ودون أدلّة أثرية لقبول هذه الواقعة؟ ومن أين استمدّ المؤرخون التحريفيّون فكرتهم عن هذا الحدث؟ سوف أعطي القرّاء النص العبري الأصلي الذي يتحدث عن ما يدعى(فتح أريحا) لأبيّن بشكل موضوعي من خلال إعادة ترجمة أمينة، كيف أن المخيال الاستشراقي

(اخترع) سقوط أريحا واخترع معه تاريخًا لا وجود ولا أساس له، وكيف أن أساتذة الجامعات العربية ـ في أقسام التاريخ والآثار ـ ساهموا ربما دون قصد منهم، في الترويج لهذه الأكذوبة، مع ملاحظة أنني وضعت الفواصل للنص لتسهيل الاطلاع عليه بصورة صحيحة لمن يعرفون العبرية.

يقول النص العبري (7: 2، والعربي: 7: 7) ما يلي:

וישלח –יהושע- אנשים- מ-יריחו – העי- אשר- עם –און- מקדם- ל בית –אל- ויאמר- אליהם- לאמר- עלו- ורגלו- את- הארץ- ויעלו -הא נשים -היגלו –את- העי- וישבו –אל- יהושע - ויאמרו -אליו – אל- יעל- כל- העם- באלפים-איש –או- בשלשת -ואלפים – איש- יעלו- יבו- את- העי- אל –תינע- שמה –את- כל –העם- כי – מעט- והעם – ויעלו- מן -העם –שמה- בשלשת – אלפים- איש- ויגמו – לפני- אנשי - העי -ויבו – מהם- אנשי- העי – בשלשים- וששה- איש - וירדפום –לפני- השער- עד – השברים- ויבום- במורך

(وأرسل يشوع رجاله من يريخو ـ يريحو والعُيّ ـ التي ـ عند بيت أون، ومن قُدُم وبيت ءيل. وطلب إليهم أن يصعدوا ويتفقدوا الأرض. فصعد الرجال وتفقدوا العُي. ثم عادوا إلى يشوع قائلين: لا يصعد كل القوم، ولنصعد بألفين أو ثلاثة آلاف من الرجال، يصعدون ويمكثون في العُيّ، فلا نرهق بذلك كل القوم. وصعد نحو ثلاثة آلاف من القوم، لكنهم انكسروا أمام رجال العُيّ، وقتل منهم ستة وثلاثون رجلًا، فأردفوهم قبالة الشعر وعند شبريم، وعادوا بالجرحى).

يلاحظ من هذا النص أن المعركة دارت في مكان جبلي يدعى يريحو ـ يريخو، وأن رجال يشوع جاءوا من أماكن عدّة منها جبل العُي ـ العويّ ووادي أون والقُدم. كما يُفهم منه أن الهجوم لم يبدأ إلا بعد استطلاع المكان، حيث تسللت قوة صغيرة منهم وعادت بالخبر اليقين، بضرورة توخي الحذر وأن لا يبدأ الهجوم إلا بعدد محدود ـ نحو ثلاثة آلاف رجل ـ . ويُفهم من النص، أن جبل يريحو ـ يريخو هذا، يقع على مقربة من جبل الشعر، ووادي شبريم (الشبر). وعندما بدأ الهجوم وقعت خسائر فادحة في صفوف القوة المهاجمة، ولذا جرى نقل القتلى ودفنهم في هذين الموضعين القريبين،

بينما أخلي الجرحى إلى المكان الذي انطلقوا منه. والطريف في هذا النصّ ـ وهذا ما لم ينتبه إليه المترجمون ـ أنه يستخدم الكلمة الفريدة والخاصة في قاموس اللغة العربية: أردفوهم (أردف، يردفه، حمله خلفه ـ וירדפום) وهي كلمة اشتهر اليمنيون القدماء في استخدامها، ودخلت في تراتب الوظائف الملكية (أرداف الملوك) وهم الذين يسيرون خلف الملوك والأمراء في الموكب. برأينا، إن استخدام النص العبري لعبارة قاموسية من المخزون اللغوي للهجات جنوب الجزيرة العربية، يؤكد بصورة قاطعة نسبته إلى النسيج الثقافي والاجتماعي اليمني. والآن: هل ثمة منطق علمي في تخيّل وقوع الحدث في فلسطين؟ إن أريحا الفلسطينية ليست جبلًا ولا مدينة حصينة فوق جبل، وهي أرض منخفضة ـ بل أكثر المناطق في العالم انخفاضًا عن سطح البحر ـ ؟ ولا يوجد قربها جبل يدعى العُي ـ العويّ، أو وادي شبريم (الشبر) أو وادي أون أو جبل شعر أو حصن القدم؟ ولذلك، سنقوم بالتفتيش عن أسماء هذه المواضع في جغرافية صنعاء وذمار، وهذا هو الفضاء الجغرافي الذي يضمّ سلسلة جبلية وعرة، شبيهة ومطابقة للتوصيف التوراتي.

يقع جبل العُي ـ العويّ ـ كما ينطق اليوم ـ في محافظة صنعاء، ضمن مديرية مناخة وفي عزلة المغارب[1] العليا، حيث يوجد الجبل والقرية المسمّاة باسمه: قرية جبل العوي. إن قراءة نص يشوع عن فتح أريحا، يمكنها أن تكشف عن وصف دقيق لجبل شديد الارتفاع والتحصين، إذ تطلب الهجوم القيام باستكشاف المنطقة، كما أن الرواد الذين أرسلهم عادوا بمقترح عملي، أن لا يرهق الرجال كلهم بصعود جبل عظيم فيه حصون منيعة، وأن من الأفضل استخدام فرقة صغيرة مؤلفة من ألفين أو ثلاثة آلاف. وهذا كما نرى وصف دقيق يدلّل بقوة على أن المقصود من أريحا التوراة، الجبل العظيم والمنيع، لا أرضًا منخفضة عن سطح البحر. أما جبل العويّ القريب فهو لا يزال شامخًا في صنعاء باسمه التوراتي. هاكم وصف الجبل

(1) يمكن للمرء أن يتساءل عن مغزى استخدام اسم مغارب كاسم لصحيفة إسرائيلية (معاريف) التي تعني مغارب في التوراة؟ إن هذا الاسم ينطوي على دلالات دينية محددّة.

وموقعه: يقع جبل العويّ في مديرية مناخة ـ مناخ في التوراة، وهي تمثل من المنظور الجغرافي الجزء الغربي من مجموعة مديريات، تبدأ بمديرية بني مطر ـ مطرة في التوراة. وبوجه العموم، تشتهر كل هذه المديريات ومنذ القدم، بكثرة الحصون الجبلية والمرتفعات، وهي بجبالها الشامخة وأوديتها الكثيرة، تشكل منطقة فريدة من نوعها في العالم. وجبل العوي جبل عظيم يبلغ ارتفاعه 2400م عن مستوى سطح البحر، بينما تبدو جبال شبام ـ شبمة في التوراة ومسار ـ مسار في التوراة، والعر ـ العر في التوراة، ومعظمها يقع ضمن مديرية مناخة، أقل ارتفاعًا قياسًا لجبل العويّ. فأين تقع يريحو ـ يريخو اليمن والتي نقل المهاجرون اسمها إلى فلسطين وسورية (بلدة أريحا بإدلب)؟ لكن، وقبل ذلك، ما هو المعنى الحقيقي للاسم؟ تعني كلمة يريحو ـ يرخو (القمر). وهذا هو الاسم الذي أطلق على المعبود الذي كان بالنسبة لليمنيين إله التقويم أو الزمن. ومنه اشتقوا كلمة تارح ـ تاريخ، لأنهم كانوا يؤرخون طبقًا للتقويم القمري. وحتى اليوم، يعني اسم أريحا الفلسطينية مدينة (إله القمر). لقد استفاض علماء اللغة في تفسير كلمة يريح ـ يريخو، وهناك إجماع في أوساط علماء اللغة على أن لها صلة عضوية بكلمة التاريخ[1]. وحسب ما نقل لنا د. جواد علي، فقد فصّل (الأب أنستاس الكرملي خلاف القدامى حول اللفظ ـ ي و ح ـ حيث تجادلوا في صحة حروفه، بين من يقول ـ ب و ح ـ و ـ ي وح و ـ ي رح ـ . وفي المعنى بين الشمس أو القمر أو النفس). ثم يخلص إلى القول التالي (والذي عندنا أن الصواب هو يَرَح، بباء مثناةٍ تحتية مفتوحة، يليها راء مفتوحة، وفي الآخر حاء مهملة، وهي الشمس بلغة أهل تدْمُر، وكانت لغتهم تُشْبِه العربية كثيرًا، والكلمة نفسها تعني القمر بلغة الأشوريين. وقد تُمَدّ فيقال: يَرَاح كسَحَاب وصُحفت بَرَاح بباء موحدة تحتيَّة. وفي اللغة الإرمية: يَرَحْ ويَرْحَا الشهر أو التاريخ و ـ يَرْحُونا ـ مُدَّة الشَّهْر. فيحتمل معناه الأصلي: الشمس والقمر، لأن منهم من كان يؤرخ الحوادث باعتمادهِ على دوران الشمس كالمجوس، ومنهم من

(1) جواد، **المفصل**، ج1، 104.

كان يؤرخ باعتماده على القمر كاليهود). وقد استهوت فكرة تحليل دلالة (يرخ) هذه، كثرة من الدارسين اليمنيين المهتمّين بالنقوش المسندية، مثلًا، حميد العواضي[1] الذي قام بمراجعة علمية للنقوش، ولاحظ أن صيغة (ورخ هـ و) في النقوش اليمنية القديمة تعني ـ تاريخه ـ وشهره. وفي الأكادية والحبشية، يعني الاسم (ورخ) قمر، شهر. والملاحظ برأيه، القرب الصرفي والصوتي لهذا اللفظ في لغة اليمن، وما هو عليه في اللغة العربية، مما يجعل اللغة اليمنية هي المصدر الأقرب لأصل اللفظ العربي، حيث اكتسبت لفظة (ورخ) دلالة أخرى بمعنى سجل الأحداث والوقائع ـ من خلال تعاقب الزمن ـ وليس معنى شهر، فقط. وبرأي العواضي فقد ارتبطت اللفظة بمعنى القِدم والتدوين معًا، كما أن كلمة (ورخ) في نقوش المسند ولّدت عنها (أرخ) و(أأرخ) بمعنى حادثة أو حدوث، وهو ما يدل عليه تعريف التاريخ باعتباره وصفًا للحوادث. ويرجع ذِكر اللفظ في النقوش اليمنية القديمة إلى القرن الثامن قبل الميلاد، أي قبل عصر التوراة المفترض، إذ وردت الكلمة في نقش من منطقة (يلا) يعود إلى عهد المكربيين يدع إيل ذريح، ويثع أمربين اللذين حكما نحو القرن الثامن وبداية السابع قبل الميلاد (نقش إرياني 48 = *Y85y/3*) وكذلك في النقش المعروف باسم *Gl1000=Res3946* من القرن السابع قبل الميلاد، ثم النقش *al - Jawf 04.37A* من مدينة السوداء في الجوف من القرن الخامس قبل الميلاد ـ . وكل هذا يؤكد القرب الصرفي والصوتي والدلالي، بين اللفظ كما هو في العربية الفصحى وبين مثيله في اللغة اليمنية القديمة، ففي العربية يصحّ القول (أرّخ، تأريخ) و(ورّخ، توريخ). وهذا لا يمنع النظر في التقارب مع اللغات العربية الجنوبية والشمالية الأخرى. وبكل تأكيد؛ فإن هذا التلخيص السريع لدلالة الاسم وتاريخيته، يشير إلى حقيقة أن المدينة الجبلية المسمّاة يريحو ـ يريخو

(1) حميد العواضي: **الألفاظ اليمانية وبناء المعجم التاريخي العربي** ـ مصدر مذكور في قائمة المراجع والمصادر.

(2) العواضي، كذلك.

في التوراة، لا علاقة لها بأي صورة من الصور مع أريحا الفلسطينية، وأنّ وجوده في نصوص التوراة لا يمكن اعتباره دليلًا على صلة التوراة بفلسطين.

تقع أريحا اليمن في منطقة سنبان ضمن الحدود الإدارية لمحافظة ذمار الملاصقة لصنعاء، وتحديدًا في الشريط الضيّق الرابط بين صنعاء والبيضاء وذمار، حيث توجد حتى اليوم، مدينة كبيرة فيها آثار لمبانٍ حميرية ونقوش كتابية قديمة، وإلى جوارها جبل عظيم يسمى حتى اليوم باسمه القديم (يَرَخ). وفي محيط جبل يرخ ـ يرخو[1] الشامخ، توجد مواقع أثرية هامّة للغاية مثل حمة الضبع، وحمة الزعتر. واسم حمة هذا يرد في التوراة بالصيغة نفسها وقد توهم الاستشراقيون أنه يعني حماة السورية؟ كان سقوط جبل يريحو حسب النصّ التوراتي، نقطة تحول كبرى، مهدت الطريق أمام انتصار يشوع الديني والسياسي.

ولكن هذا الانتصار كان مكلفًا منذ البداية، فقد سقط قتلى وجرحى. وإذا ما دققنا في هذا الجزء من المشهد الذي صورته التوراة، فسوف نكتشف بعدًا جديدًا للتزوير والتلاعب بالتاريخ، فبعد فشل الهجوم الأول الذي أدّى لسقوط قتلى وجرحى، جرى نقل هؤلاء صوب جبل الشعر (**לפני- השער** مقابل الشعر). بيد أن مترجمي النص، قاموا بترجمة كلمة **השער** إلى (باب). أي إن القتلى والجرحى نقلوا إلى الباب؟ وهذا غير مفهوم ولا معنى له، بينما المقصود أنهم نقلوا إلى (جبل شعر) القريب. واليوم، يمكننا رؤية جبل الشعر هذا، وبالاسم نفسه في المكان نفسه. فهو من الناحية الإدارية يقع ضمن مديريات محافظة إب المجاورة ـ انظر الخريطة وبالطبع لم تكن هناك حدود إدارية ـ فالأراضي كانت متصلة بعضها ببعض. ومديرية الشعر التي أخذت اسمها من اسم الجبل التوراتي، تقع جنوب شرق مدينة إب وهي عاصمة المحافظة، ويحدها من الشمال مديرية السدّة ـ ءسدود في التوراة، وهذه زعم الاستشراقيون أنها أشدود فلسطين؟ ومن الجنوب مخلاف ـ مملكة العود ـ العود في التوراة.

(1) وفي أشكال التصويت المعروفة: أحمد ـ أحمدو، عبد ـ عبدو.

كما يمكن للمرء مشاهدة الحصون الأثرية العظيمة في المرتفعات الخضراء، وكأنها تنطق بالتاريخ وتروي قصصه وأحداثه المنسيّة. وقد ضبط اسم جبل الشعر ـ في هذه الصورة ـ القاضي المرحوم محمد أحمد الحجري في كتابه (مجموع بلدان اليمن وقبائلها) بكسر الشين والعين[1]. وهو ضبط غير صحيح ولا يوافق النطق العبري ولا الدلالة العربية، فهو برأينا بفتح حرف الشين(شَعر) بمعنى المكان كثيف الأشجار. ومديرية الشعر تبعد عن مدينة إب بمسافة تقدر بنحو 45 كم ومساحتها 145كم^2، وتتكون من 8 عزلات هي: (الأملوك ـ الإملوك في التوراة، بيت الصايدي ـ بيت صدا في التوراة، العبسي ـ عبس في التوراة، القابل الأسفل، القابل الأعلى ـ ها جبول في التوراة، المفتاح ـ يفتاح في التوراة). وقديمًا وجدت في الشعر محلات لحياكة البز الشعري ومعظم الذين كانوا يمتهنون هذه المهن كانوا من اليهود. كما يتضح من النص، أن القتلى دفنوا في موقع آخر، يدعى شبريم ـ الشبر (الياء والميم أداة تثنية أو جمع في العبرية: الشُّبر) وهو اليوم من الجبال العظيمة التي تتبع من الناحية الإدارية محافظة لحج، حيث يوجد في مديرية المفلحي الجبل نفسه باسمه القديم: شبريم ـ الشُّبر.أما بقية رجال يشوع الذين شاركوا في الهجوم، فقد جاءوا من حصن القُدم. وهذا الحصن لا يزال شامخًا في محافظة تعز، ضمن مديرية المواسط التي تضم مدينة السواء ـ سواء في التوراة (وهم بنو سوءة) وحصن القدم يقع على مقربة من حدود مديرية الشماتين ـ يُشمت وحصن جبل يمين. إن هذا الفضاء الجغرافي المتكامل من حيث الوصف والأسماء، يجب أن يلفت انتباهنا، فهو فضاء يختزن التاريخ الحقيقي الذي جرى تجاهله واستبداله بتاريخ مخترع. وإذا ما مضينا مع يشوع في حملته على يريحو ـ يريخو، فسوف نصل

---

(1) محمد بن محمد العرشي، دراسة منشورة في موقع **http://alarachi.maktoobblog.com** على شبكة الإنترنت (وذُكِر في الموسوعة اليمنية أن الشعر تنسب إلى الشعر بن عدي بن الحارث بن شرحبيل بن مثوب بن يريم ذي رعين، وهي تتصل بمدينة إب بثلاث طرق رئيسة، كما ذُكِر في كتاب **معجم البلدان والقبائل اليمنية** للمقحفي بأن من بلدانها ذي هزم الغنية بالآثار الحميرية).

معه إلى موضع جلجل (ولنتذكر أن يسوع المسيح مشى على طريق الجلجل ـ الجلجلة، ولاحظ العلاقة بين اسم يشوع ويسوع؟). يقول النصّ العبري، إن السكان في المخاليف(الممالك) المجاورة، وما أن سمعوا بأنباء سقوط يريحو ـ يريخو، حتى جاءوا ليشوع بثياب رثة، معلنين طاعتهم وطالبين منه أن يقطع لهم عهدًا بأن لا يهاجمهم، ومن بين هؤلاء جماعة يسميها النصّ التوراتي (ءل ـ ها ـ محنة). وهنا النصّ العبري (9:6):

וילבו-אל-יהושע-אל-המחנה-הגלגל

فذهب آل المحنه والجلاجل إلى يشوع

وهؤلاء من القبائل التي هالها تواتر أنباء انتصار يشوع في جبل أريحا، وارتأت أن تستبق الزحف نحو منازلها بالتفاوض معه مباشرة، ولذا شكلت وفدًا للقائه. ويمكننا اليوم أن نشاهد المواضع الجبلية والقبائل نفسها وبالصيغ التوراتية دون أدنى تحريف، فسكان الجلاجل (جلجل) في النص التوراتي، هم سكان الوادي المعروف باسم الجلاجل في عزلة الحوطة بمحافظة لحج، حيث توجد قرية تحتفظ بالاسم نفسه الجلاجل، وهي مستوطنة قديمة يعرفها علماء الآثار جيدًا، ضمن مديرية تبن ـ تبن في التوراة وإلى جوارها قبيلة آل المحلة (وتعرف قريتها بالاسم نفسه: المحنة، بقلب اللام نونًا مثل إسماعيل ـ إسماعين). بعد ذلك مباشرة، اتجه يشوع للاستيلاء على حصور ـ حضور(لأنها كانت من أقدم الممالك حسب النص الحرفي)[1]. ويبدو أن أنباء خطته راجت وشاعت بين القبائل، فسمع بها ملك حضور؛ ولذا قرر هذا طلب المعونة من حلفائه ملك مُدان، وسمرون وءكسف (وآخرون من بينهم جماعة يسميها النص الحويّين). وهنا النص باللغة العبرية (11: 1):

ויהי-כשמע-יבין- מלך-חצור-וישלח-אל-יובב-מלך-מדון
ואל-מלך-שמרון-ואל-מלך-אכשף

(1) النص العبري (11:10: **כי-חצור-לפנים-היא-ראש-כל-הממלכים** لأن حضور كانت بالنسبة لهم رأس الممالك).

وكان أن سمع يبْين ملك حضور، فأرسل إلى يوآب
ملك مُدان وإلى ملك سمرون وإلى ملك كساف

وقبل مناقشة وتحليل هذا النصّ، يجب أن يلفت انتباهنا اسم ملك حضور الذي يدعى يبين (الياء أول الاسم أو الفعل حرف صوتي لاصق، مثل يعرم في عرم ويكرب في كرب). ولذا يجب أن يقرأ اسمه في صورة بين، وهو اسم مشهور في قائمة أسماء ملوك اليمن مثل يأزل بين. كما وردت الصيغة ذاتها في نقش يحمل اسم الملك اليمني يدع إيل بين الذي ذكر اسمه في الكتابة الحضورية المعروفة بـ *SE 43* وهو ابن الملك سمه يفع. ويُفهم من هذا النص، أن مملكة ـ مخلاف حضور استعانت بحلفاء في الجوار القريب والبعيد. وحين نفتش عن حضور هذه، فسوف نكتشف أنها في الجوار القريب تمامًا في محيط صنعاء، بينما الجوار البعيد عنها، حيث يوجد هؤلاء الحلفاء، فهو محيط شبوة وإب. هاكم هذا الاكتشاف: يقع جبل ووادي حضور ـ حصور شمال غرب العاصمة صنعاء، ضمن ما يعرف بمرتفعات الأهنوم ـ هنوم في التوراة وعلى مقربة من حبل ظليمة ـ ظلم في التوراة بين دائرتي عرض (00 16 ـ 18 16 درجة) شمالًا، وبين خطي طول (36 43 ـ 47 43) شرقًا. وهذه المرتفعات تعدّ جزءًا من المرتفعات الشمالية الغربية لليمن، حيث يصل ارتفاع أعلى قمة فيها إلى (2620م) فوق مستوى سطح البحر، وهي تتوزع اليوم ـ من الناحية الإدارية ـ على أربع مديريات، منها مديرية المدان التي أخذت اسمها من اسم الجبل الشامخ مدان ـ مدن في التوراة وتسمى جميعها جبال الأهنوم. ومملكة (مخلاف حضور) من أقدم الممالك اليمنية، ويقال إنه منسوب لحضور بن عدي بن مالك، ومن ولده النبيّ شعيب. أما الوادي حضور ـ حصور فهو يسيل في أراضي مديرية بني مطر ـ مطرة في التوراة. ولأن المملكة التي حاصرها يشوع استعانت بحلفاء؛ فإن أقرب مكان يحتمل وجود هؤلاء فيه، هو ما يعرف في التقسيم الإداري الحالي بمحافظة إب. وتضمّ إب حتى اليوم جبلًا يحمل الاسم نفسه جبل سمارة (سمرون ـ الوزن العبري) الذي يبلغ ارتفاعة 2500 متر عن مستوى سطح البحر، ووجدت فيه آثار حميرية تمّ اكتشافها مؤخرًا من قبل هيئة الآثار. ومن أشهر

الأودية في إب وادي عنة ـ عنّة في التوراة، والعدين ـ العدين في التوراة (مديرية العدين) ووادي بنا ـ بنا في التوراة، والسدة ـ ءسدود في التوراة، ووادي الدور ءدور في التوراة، ووادي دمت ـ دمت في التوراة. وفي محافظة شبوة المجاورة (انظر خريطة اليمن) يقع جبل كساب ـ كساف (الباء بديل الفاء وحتى اليوم ينطق اليهود الغربيون حرف الباء فاء). والمثير للدهشة، أن سكان هذا الجبل هم من عشيرة السمارنة. ولمّا كنا نعلم أن محافظة شبوة تقع إلى الشرق من صنعاء، وتبعد عنها نحو474 كيلو مترًا، وتتصل بمحافظة مأرب من الشمال، فهذا يعني أنها ضمن الفضاء الجغرافي الذي وصفه النص العبري. ها هنا جبل حضور وجبل مدان شمال وغرب صنعاء،، تمامًا كما في نص يشوع أعلاه، وها هنا جبل كساب ـ كساف في محافظة شبوة شرق صنعاء، وجبل سمارة ـ سمرون في محافظة إب. أما الحويون الذين استعانت بهم حضور في مواجهة يشوع، فهم لا يزالون حتى اليوم في مكانهم القديم في عزلتهم الجبلية بمأرب (ضمن ما يعرف بمديرية مأرب وعزلة آل قزعة) حيث توجد قرية تسمّت باسم الجبل القديم الحوي والنسبة إليها الحويون. ومأرب تقع إلى الشمال الشرقي من العاصمة صنعاء، وتبعد عنها بحدود 173كيلو مترًا فقط.

كل هذا يعني أن معركة يشوع للاستيلاء على أريحا، لم تتوقف عند حدود هذا المكان، وهي استمرت حتى الاستيلاء على مملكة حضور، وأن ملك هذه المملكة الكبيرة، استعان بحلفائه في شرق وغرب صنعاء وليس شرق وغرب الأردن. لكن، كيف يتوجب علينا رؤية الأهداف الحقيقية لهذه المعارك؟ إن قراءة نزيهة وعلمية للنصّ، سوف تقدّم لنا صورة مختلفة ومغايرة للصورة الزائفة التي أشاعها المخيال الاستشراقي، ودفعت بعض الكتاب العرب إلى تسويق ترهات تسخر من (يشوع الجنرال الإلهي)[*] إذ كان جرهرها الاستيلاء على الأرض بدوافع دينية. وهذا سلوك تقليدي لجأت إليه كل الجماعات القبائلية القديمة. ولمّا كان يشوع يقود بني إسرائيل بوصفهم جماعة موحّدة، فقد اتخذ بُعد الاستيلاء على الأراضي طابعه الديني الكامل،

(*) انظر مثلًا: فراس سواح في معالجته لنص يشوع ـ مصدر مذكور.

خصوصًا وأن المخاليف اليمنية القوية كانت ممالك قبلية وثنية، وهذا ما يفسر لنا السبب الحقيقي لهجومه الذي انتهى بإخضاع السكان الوثنيين. وكما لاحظنا؛ فإن المسرح التاريخي لهذه الأحداث كان اليمن وليس فلسطين، حيث وجدت ممالك قبلية (مخاليف) وثنية. لكن يشوع لم يتمكن في النهاية من تحقيق كل أهداف حملاته وفتوحاته، إذ شاخ وطعن في السن، بينما ظلت مساحات شاسعة من الأرض تحت سيطرة الجماعات الوثنية (وهذا ما يذكرنا بتجربة الإسلام، فالفتوحات الكبرى تمّت بعد وفاة النبي محمد ﷺ).



أريحا ومدن الملجأ في اليمن القديم

سأتوقف الآن قليلًا أمام أحد أهم المقاطع في سفر يشوع، ويتعلق بتوزيع الأراضي و(تقديس) بعضها، واعتبارها مدنًا محرّمة لا يجوز فيها القتال، ويستطيع أن يلجأ إليها كل من يقتل نفسًا، سهوًا وبغير قصد. ويبدو لي إن السورة القرآنية التي أشارت إلى قيام موسى بقتل رجل كان يختصم مع أحد أنصاره، ذات صلة حميمة وحقيقية بهذه التقاليد. علمًا أن تاريخ بلاد الشام ـ وبشكل أخص تاريخ فلسطين ـ لا يعرف مثل هذا التقليد القبلي. ومن بين هذه المدن مدينة أريحا الجبلية.

يقول النص العبري (20: 1:8)

וידבר יהוה אל-יהושע לאמר דבר אל-בני ישראל לאמר תנו לכם את-ערי המקלט אשר-
דברתי אליכם ביד-משה לנוס שמה רוצח מכה-נפש בשגגה בבלי-דעת והיו לכם למקלט
מגאל הדם ונס אל-אחת מהערים האלה ועמד פתח שער העיר ודבר באזני זקני העיר-
ההיא את-דבריו ואספו אתו העירה אליהם ונתנו-לו מקום וישב עמם וכי ירדף גאל הדם
אחריו ולא-יסגרו את-הרצח בידו כי בבלי-דעת הכה את-רעהו ולא-שנא הוא לו מתמול
שלשום וישב בעיר ההיא עד-עמדו לפני העדה למשפט עד-מות הכהן הגדול אשר יהיה
בימים ההם אז ישוב הרוצח ובא אל-עירו ואל-ביתו אל-העיר אשר-נס משם

(وأمر الرّبُّ، يشوع فقال: كلّم بني إسرائيل وقل لهم، إنّي جاعلٌ لكم منازل أمان، تلك التي حدثكم موسى عنها، ليطمئن فيها كل قاتل نفسٍ بغير نفس أو سند من السنن، وللشريد نافل النسب، وهي تكون لكم ملجأ من الثأر، محرّم فيها سفك الدم، ويأوي إليها كل واحد في ـ جبل ـ شعر والمنازل في دبر، وبإذن الشيوخ يدخلون المنازل غير مرتاعين؛ فإذا جاء هارب فليدخل، وليحرّم تسليمه لطالبيه، ولأجل أن يطمئن، فليسكن في

المنازل حتى يُنظر في أمره؛ فإذا مات كبير الكهنة من الذين ينظرون في أمره، فلا يُنظر في أمره ويعاد مطمئنًا إلى منزله).

هذا التشريع الدينيّ واضح كل الوضوح، وهو يحدّد سلسلة من الأماكن الجبلية الحصينة والمنيعة، كمنازل إقامة وملجأ لكل مطلوب للعدالة القبلية، حيث يحقن دمه ويمنع تسليمه لطالبيه. ومن بين أهم هذه المنازل ـ الجبلية ـ التي قُدّست (حرّمت) وأصبحت ملجأ لكل من قتل نفسًا، بغير نفس أو قصد وخالف الشريعة هي: قدس **קדש**، جبل نفتلي ـ نفتل **בהר נפתלי** قريات الربع[1] **קרית ארבע** (حرفيًا: وهي حبرون في جبل يهوذا)[2] يريخو ـ يريحو **יריחו**، بصر **בצר**، جولان **גלון**. ومن الواضح أن ثقافة (حماية القاتل)، هي ثقافة قبلية قديمة ذات أسس دينية، تمّ تشريعها في دستور شامل هو دستور الحرام، فالقبائل لا تسلّم من يطلب منها الجوار. وحين يلجأ إليها طالبًا حقن دمه من طالبيه، فإنها تقوم بحمايته استنادًا إلى هذا التشريع. والنص الآنف يشير بما لا يقبل أي التباس إلى بيئة جبلية وعرة، فيها عزلات جبلية حصينة أصبحت بقوة التشريع الدينيّ منازل آمنة. وهذه بيئة يمنية خالصة لا مثيل لها لا في فلسطين ولا في جزيرة العرب. كما أن المنازل التي حدّدها يشوع لا وجود لها هناك. ولهذا، سوف نناقش النص ونقوم بتحليله من زاويتين:

الأولى:

تحديد المواضع المذكورة وبأسمائها دون أدنى تحريف أو تحوير.

سنبدأ من اسم قدس الجبل الذي قُدّس وحرّم وأصبح ـ بفضل قداسته هذه ـ مكانًا آمنًا لا يُسفك فيه دم، ولا يُسلم فيه هارب. وحتى اليوم لا يزال

---

(1) غالبًا ما يعرف اسم المكان بـ(قريات أربع) كما هو الحال مع اسم المستوطنة الإسرائيلية اليوم، والصحيح حسب التهجئة قريات «ربع (قريات الربع).

(2) النص العبري: **בהר-יהודה** (في جبل يهوذا) يتضمن تأكيدًا قاطعًا أن المقصود جبل بعينه (جبل هود).

هذا الجبل العظيم يحتفظ باسمه وبطرائق نطقه مع لازمة شعبية (جبل قَدَس المبارك) إلى الجنوب من تعز، وهو من أجمل الجبال وأكثرها خصوبة، ويعرف أحد أهم وديانه باسم وادي مفاليس (الفلس ـ الفلسة). أما قريات الربع (التي ترجمت خطأً إلى قريات أربع) فهو مجمّع قرى قديم في محافظة لحج، ويسمى ضمن التقسيم الإداري الجديد (مديرية المفلحي، عزلة المفلحي) حيث يقع جبل الشبر ـ شبريم الذي رأينا اسمه في قصة الهجوم على أريحا. ويضمّ الربع مدينة جبل الشبر، وبيت حرد ـ وادي حرد في التوراة وقرى الرشئة وحصن لعنوق ثمدة ودار السقاية وسواها. أما جولن ـ خولن(بما أن العبرية تفتقد لحرف الخاء المعجّم بنقطة من فوق فهي تستعيض عنه بحرف الجيم المصري: كَولن). فهي ليست الجولان السوري بكل تأكيد، واعتبارها كذلك من جانب الاستشراقيين خداع جغرافي لا مثيل له، فأين القدس من الجولان؟ ما قصده يشوع من هذا الاسم هو خولان، وهذه سلسلة جبال نسبت إليها القبيلة، وهي اليوم إحدى مديريات محافظة صنعاء. وقد ذكر الاسم (خولن) في النقوش اليمنية القديمة لأول مرة في حدود القرن السابع قبل الميلاد، وبطريقة الرسم العبري نفسها. والاسم (خولن) يطلق على ثلاث قبائل متفرقة، هي خولن ـ جددن (خولان ـ جد) أو ما يعرف بخولان الأجدود، وكانت أراضيها تقع في المنطقة الممتدة من جبل أم ليلى شمالاً، وحتى الجنوب الغربي لحقل صعدة. واليوم تعرف هذه القبيلة (بخولان بن عامر) ومساكنها تشمل منطقة واسعة من محافظة صعدة. كما يطلق الاسم نفسه على خولن (الجنوبية أو خولان ردمان) ثم خولن (خضلم) وهي القبيلة التي كانت أراضيها تقع في المنطقة المحيطة بصرواح خولان (وتعرف بخولان الطيال أو خولان العالية) في شرق وشمال شرق صنعاء.

ما يثير دهشتنا أن النص العبري الآنف، يقول ـ وفي سياق تحديد الأماكن المحرّمة ـ أنها تمر وسط منازل السبط جد وعلى وجه التحديد في وادي مسر.

وهنا النص العبري: **נתנו את-בצר במדבר במישר ממטה ראובן ואת-**

ראמת בגלעד ממטה גד

فأقطعهم بصر في سهل وادي ـ مِسور وسبط رءوبين، وريمة بصخورها من سبط جد

يقع وادي مِسور ـ مسور شمال غرب محافظة عمران (وهي جزء من صنعاء وانفصلت بالتقسيم الإداري الجديد) وفيها أودية شهيرة منها وادي العمشية وحرف سفيان ـ حرف في التوراة، ووادي مذاب ـ ميدبء في التوراة ووادي القفلة ـ مقفلة في قصة إبراهيم (سفر التكوين) والعشة ـ العشة في التوراة. أما ريمة بصخورها العظيمة ـ وهي من الجبال الساحرة بجمالها ـ فتقع وسط سلسلة جبال اليمن الغربية بين درجتي 14.36 و14.88 شمالًا وبين 43.50 و44 شرقًا. وبفضل طبيعتها الجغرافية الساحرة، حيث الأودية الخصبة والهضاب والمرتفعات الجبلية الشاهقة، فقد أصبحت قبلة السياح خلال السنوات الأخيرة. ويمكن للمرء أن يشاهد من قمة جبال ريمة الخلّابة، جبل برد ـ بردن في التوراة (في مديرية كسمة) والذي يبلغ ارتفاعه عن مستوى سطح البحر 2850 مترًا تقريبًا، وأن يشاهد من هناك أيضًا، كيف تكسو الخضرة الجبال الجميلة على مدار السنة. كما يمكنه أن يشاهد من قمة أي جبل في ريمة حين يجول ببصره غربًا، مدينة الحديدة والبحر الأحمر وبقية المدن والمناطق التهامية، وأن يستمتع بمنظر أرخبيل حُنيش والجزر الصغيرة والسفن وهي تمخر عباب البحر الأحمر وساحل المخا ـ مخا في التوراة، وجبل صبر في محافظة تعز. وأكثر من ذلك، أن يشاهد من بعيد أضواء العاصمة صنعاء وهي تتبعثر في الظلام. لقد أدّى التوسع في عمليات الاستيلاء على الأرض إلى نشر تلقائي لدستور الحرام، وبحيث شمل مناطق واسعة من اليمن، جرى خلاله، تحريم وتقديس أماكن بعينها لإخراجها من دائرة الصراع الديني والقبلي، وهو ما يعيد تذكيرنا بتقاليد الأشهر والأماكن الحرم في الإسلام.

أما الثانية:

فسوف نكرّسها للبرهنة على أن هذه التقاليد، هي في صلب ثقافة يمنية لها ما يسندها في التاريخ القديم والمتواصل. وفي الواقع يعرف المختصّون في

التاريخ اليمني القديم (وعلماء الآثار كذلك) أن تقاليد تقديم الحماية للمطلوبين من القبائل، كانت وما تزال معروفة في المحافظات اليمنية. وقد بزغت هذه التقاليد بالتوازي مع ظهور (مدن ملجأ) في طول اليمن وعرضه، ففي يافع، مثلًا توجد حتى اليوم مدن كثيرة منها مدينة خيلة في مركز الحد، وهي مدينة مقدسة حُرم فيها القتال، وأصبحت أرضًا محرّمة يمتنع فيها رجال القبائل عن القيام بأعمال حربية أو معارك قبلية، ويقال إن أهل يافع يمتنعون عن تصويب بنادقهم أو إشهار خناجرهم وأسلحتهم بوجه أحد، وكل من يلجأ إليهم يكون آمنًا على حياته لا يُعتدى عليه مادام فيها ومهما كان الثمن.

وقديمًا قال امرؤ القيس (الكندي، اليمني) قصيدته التي يصف فيها هذه التقاليد:

أبت أجأ أن تسلم العام جارها ... فمن شاء فلينهض لها من مقاتِلِ
تَبِيتُ لَبُونِي بِالقُرَيّةِ أُمّنًا ... وأسرحنا غبًّا بأكناف حائل
بَنُو ثُعَلٍ جِيرَانُهَا وَحُمَاتُهَا ... وتمنع من رماةٍ سعد ونائل

كما توجد مدينة أخرى (مقدّسة) في يافع تدعى (خلاقة) وتقع في أراضي قبيلة الخلاقي، وهي من قبائل الموسطة، وتعتبر ثاني أكبر مدينة فيها، فضلًا عن مدينة بني بكر ومدينة الهجر (التي تسمى هجر الأبعوس نسبة إلى قبائل الأبعوس في يافع). كل هذا يمكن أن يعيدنا إلى الآيات القرآنية التي أشارت إلى تقاليد حماية اللاجئين في سورة (القصص)[1] حين قتل موسى النبي عن غير قصد، شخصًا شاهده يتشاجر مع أحد أنصاره. قال تعالى ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾. وفي آية أخرى من السورة، ثمة إشارة دقيقة ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ

(1) سورة القصص ـ الآيات 15 ـ 20

فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ۞ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ۞ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ . واخيرًا، يتجلى هذا التقليد الدينيّ القديم في آية: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

إن فحوى الآيات، وبيت الشعر الجاهلي، ووجود (مدن ملجأ) في مناطق اليمن المعاصر، تشير كلها إلى ثقافة دينية واجتماعية راسخة الجذور ومستمرة، قوامها حماية الفارين والهاربين من مطارديهم، وهذه تقاليد ترتبط بوجود (مدن) خاصة، مقدّسة - محرّمة - لا يجوز فيها القتال، ويحترم رجال القبائل قدسيتها فيمتنعون عن مهاجمتها. وبكل تأكيد لا وجود لمثل هذه المدن في فلسطين أو شرق الأردن، كما لا يعرف قط، أن أريحا الفلسطينية مدينة جبلية محرّمة أو مقدّسة يحرّم فيها القتال، أو يلجأ إليها الفارون.

الفصل الرابع

سقوط أريحا واختراع التاريخ

يَنْبَني هذا الجزء الحيويّ من مساهمتي الجديدة في تصحيح تاريخ فلسطين على أساس الحاجة لطرح نظرية تعيد النظر بشكل موضوعي وعلميّ شامل، بروايتين زائفتين تبدوان مترابطتين، وجرى تكريسهما في الثقافة الدينية والتاريخية في المنطقة والعالم بأسره، أولاهما رواية سقوط أريحا الفلسطينية في قبضة الإسرائيليين بقيادة يشوع. وهذا حادث لم يقع قط، ومسرحه الحقيقي لا يتطابق بأيّ صورة من الصور مع جغرافية فلسطين كما شرحنا ذلك آنفًا. وثانيهما، رواية وجود الأسباط الإسرائيلية الكبيرة غرب وشرق النهر، وهي رواية لا أساس لها.إن أهمية هذا كله، تكمن في الفكرة التالية: أن توزيع الأرض غرب ها ـ يردن، أي غرب وادي مور، يؤكد بشكل قاطع أن أريحا ـ يريحو الجبلية الحصينة التي أصبحت مقدّسة (بمعنى يحرّم فيها القتال) لا صلة لها بفلسطين. وبالتالي، إعادة وضع الحدثين في إطارهما الجغرافي الصحيح، والتخلص نهائيًا من هذا التزييف الفظيع، وهذا سوف يؤدي إلى تحطيم كل أساس قام عليه التلاعب بالتاريخ. إن مقاصد النصّ التوراتي من الإشارة إلى أن الأسباط الإسرائيلية أقامت غربي ها ـ يردن، يجب أن تنصرف إلى غرب وادي مور اليمني في سهل محافظة الحديدة، فهذا هو الفضاء الجغرافي الذي دارت فيه قصص التوراة عن فتح أريحا (يريحو إله القمر عند اليمنيين). ورد اسم وادي مور في سفر التكوين بالصورة ذاتها (مور). وتنبع مياهه من غرب بلد حاشد وجبل يزيد، ومن غرب جبل ضلاع والطويلة، ومن شمال المحويت والخبت ومن جبل مسور وحجة وكحلان وساقين وكشر، ويلتقي في

الواعظات ليسقي منطقة الزَّهرة، ثم يصب في البحر الأحمر جنوب اللّحية وهو من أكبر الأودية في تهامة. وفي هذه المحافظة سوف نشاهد وادي اللّاوية - لاحظ العلاقة مع اسم السبط الإسرائيلي لاوي - الذي يأتي من غرب جبال ريمة. هذا هو الوادي الذي يشق الأراضي إلى غرب وشرق، ويفصل بينها.

وسوف نقدّم في هذا الفصل وصفًا مستندًا لأدلة أثرية وجغرافية وميدانية، لأريحا اليمن وسائر المواضع الأخرى التي شهدت الحادث. ولعل الوصف الذي تركه لنا يشوع (النص العبري، يشوع: 12: 22: 13: 16) و(النص العربي: 13: 8: 23) يدعم بقوة نظرية هذا الكتاب، فهو يقول عن ها - يردن ما يلي:

ويتن - مشه - ل - مطه - بني - رءوبن - ل - مشفحتم - ويهي - لهم - ها - جبول - م - عروعر - ءشر - عل - شفت - نحل - ءرنون - وها - عير - ءشر - بتوك - ها - نحل - وكل - ها - ميسر - عل - ميدبء - .

ויתן-משה-ל-מטה-בני-ראובין -ל-משפחתם- ויהי-להם-ה-גבול-מ-ערועיר-אשר-על-שפת- נחל-ארנון- וה-עיר- אשר- בתוך-הנחל- וכל-ה-מישר-על-מידבא

وأَقْطَعَ موسى، لبني رءوبين ولعشائره، فكانت لهم وأنت مقبل من عروعر التي على شفا وادي أرنون، المنازل التي في وسط الوادي إلى كل - وادي - الميسر، فأعلى - وادي - مِذاب

هذا المقطع المقتضب من النص، يتحدث بوضوح تام عن منازل سبط رءوبين أحد أكبر أسباط بني إسرائيل، داخل فضاء جغرافي لا صلة له البتّة بشرق وغرب الأردن. وكما يتضح من فحوى التوصيف، فقد أقام السبط داخل أراضٍ خصبة تقع غربي مور (ها - يردن) أقطعها لهم النبي موسى بنفسه، إذ نلاحظ أنها تشير إلى سلسلة من الوديان (ها - نحليم) وسلسلة من الأغوار التي تشكل بمجموعها فضاء جغرافيًا شديد الخصوصية. وإذا ما تأملنا هذا التوصيف وتقبّلناه كما هو، فسوف يتبادر إلى أذهاننا جوهر الخطأ في المطابقة بين الأردن البلد العربي وبين هذا الوادي. وهل يمكن، مثلًا تخيّل وجود مثل هذه الجغرافيا حقًا؟ إذا ما تخيّلنا، مجرد تخيّل، أن هذا النهر الذي يفصل بين الوديان والجبال، هو

نهر الأردن المعروف، ففي هذه الحالة يجب أن يكون بوسعنا اليوم، رؤية سلسلة جبلية متشابكة مع سلسلة من الوديان والأغوار؟ فأين ولماذا اختفت؟ لكن نهر الأردن لا يفصل بين وديان وجبال، كما لا يعرف الأسماء الواردة في النص أعلاه. ولا نظن أن أحدًا من الجغرافيين اليونانيين القدماء شاهد هذه السلسلة، أو سمع بها أو قرأ أي شيء يخصّها، وبحيث أيقن أن هذه الجبال هي ممّا يفصل نهر الأردن؟ وبطبيعة الحال؛ فإن شرق الأردن لا يعرف مثل هذا النهر العظيم الذي يشق طريقه وسط الجبال والوديان طولًا وعرضًا.

ونظرًا لاستطرادات النص الطويلة فسوف نكتفي بالمقاطع التي تُذكر فيها أسماء المواضع.

قائمة يشوع بمنازل أسباط غربي اليردن:

الضبط العبري	الضبط العربي
حشبون	الحُشب
ديبون	دبين
قديموت	قُدم
ميفعه	ميفعة
قريتيم	القري
شبمه	شبم
صرة سحر	صيرة وسحر
عوي	أوي
بيت يشموت	يشمات (الشماتين)
حور	حور
ربع	ربع
ميسر	ميسر
ميدبء	مذاب
عروعر	عرُعر
بموت ـ بعل	موث وبعل
ضور	ضور

هذه هي أسماء معظم المواضع والأماكن التي ذكرها يشوع (يهوشع) غربيّ اليردن، أي غربي وادي مور أو كما كان سمّي في وقت ما (ها ـ يردن **הירדן**). والملاحظة الأولية التي تتبادر إلى الذهن في سياق هذا التوصيف، هي التالية: هل أخطأ يشوع في وصفه؟ أم إن النص الذي كتبه تعرض للتلاعب والتصحيف؟ أم إن كل هذه الجبال والوديان اختفت فجأة من جغرافية الضفة الغربية؟ ألا يعني هذا الوضع الشاذ ـ في حال تقبّله كاحتمال حقيقي ـ أن يشوع كان يصف جغرافيا أخرى؟ وأين نجدها؟

هذا هو جوهر الاكتشاف الذي توصلت إليه.

من المهم ـ في سياق فهم نصوص يوشع ـ أن يفهم اسم وادي ها ـ يردن في صورته الدينية التي شرحناها، فهو مياه مقدسة جارية، متدفقة، تشق الأراضي المارة بها إلى شرق وغرب. ويبدو أن اليمنيين أطلقوا عليه اسم (مور) الذي يتضمن كل العناصر الفونيطيقية لتدفق المياه، فهي تمور فيه لشدّة جريانها.

وسنبدأ أولًا من الاسم أرن (وفي البناء العبري للأسماء أرنون). ولنلاحظ أن النصّ يقول بوضوح: وأنت مقبل من عروعر التي على شفا وادي أرنون. أي إن سارد النص استخدم المكان كنقطة دالة نسترشد بها للوصول إلى المكان المقصود، ولم يقل إنها كانت من مواضع سكنى السبط[1]. وهذا الأمر ينطبق على اسم الموضع الآخر عروعر ـ عرُعير (على الطريق من نجران باتجاه خولان نحو 150 كم). والنقوش المسندية ذكرته كاسم إله يمني قديم، كان عبّاده يقدمون له القرابين، ففي نقش *RES 3945* نقرأ ما يلي[2] أن الملك المنتصر أقام:

(وليمة دينية خاصة للمقة ولسبأ وانتقم من أوسان وملكهو ولدعم ـ ولد

(1) أعطى الهمداني وصفًا مقتضبًا لوادٍ في تهامة يحمل الاسم نفسه إرن على مقربة من منازل قبيلة بني سليم.وهذا يوضح أن عبادة هذا الإله بلغت عمق الجزيرة العربية.

(2) د. عبد الله علي الغش عطبشوش: الصراع بين الممالك اليمنية القديمة أسبابه ونتائجه ـ رسالة دكتوراه ـ جامعة دمشق: 2008.

عم - ودمر أرض ومناطق (بلو) وأوسان ذونمي - ذنم - ؟ قتبان وولى (سمه وتار) (ذو شمر) على تمنع الذي تحالف مع المقة وسبأ وملك يخم ردمان والذين تحالفوا مع المقة وسبأ وبم - يام - كحد منشيم؟ وهاجم ودمر وملك كل أراضي ولدعم لعبيده.

ودمر (كمنه) وحاصر وأنتقم من (نشان) ودمر مناطق (ارن يدع) و(نشان) من (كمنه) واعطى ارأضي زراعية مسقية).

كما نجد الاسم في نقش نشان:

(عمي سمع بن شعذو من ذي وافر أهدى (هذا النصب) إلى الإله أرن يدع عندما قدم قربانًا إلى ذي نعض للمرة الثانية، وخاض الحرب في أوسان مع (سمهو) يفع ملك (نشان)عندما خاض الحرب في نجران(مع) ذي دوران بناءً على أمر أرن يدع وود وذي جراب وعثتر نشق).

وفي ختام النقش - :وردت العبارة التالية: - كتب - في أيام يدع أب وآل منبط ومغفرة ربة البيت (سيدة المعبد).

تحليل النقش:

أريد التوقف قليلًا - هنا - لتحليل المضمون الحقيقي للنقش، فهو يتضمن إشارات لم يتمكن من قاموا بتحليله - ويا للأسف - من رؤيتها بعمق كافٍ، وأولى هذه الإشارات ورود اسم المعبود (أرن/يدع) الذي تمّ تدمير مناطق عبادته خلال المعركتين، سوية مع اسم يدع - أب. وهنا أودّ التنبيه أن يدع الحميرية هي ذاتها يدع العبرية بمعنى المعرفة، العارف. ويبدو أن الملك اليمني تلقّب بلقب إلهه العارف. فمن هو يدع - أب؟ يتبيّن من نقوش كثيرة أنه كان ملكًا على مملكة نشن التي تشتهر ببيوت عبادة الإله أرن (أرنون). وهناك نقش معروف عند علماء الآثار باسم كربوس37/ الموجود في متحف برلين بألمانيا، ويعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، أي إلى العصر الافتراضي لكتابة التوراة، يذكر فيه اسم نشن هذه سوية مع اسم ملكها يدع - أب، ونص النقش يقول حرفيًا (يدع أب ملك نشن). ومملكة نشن - لسن هذه وردت في التوراة في صورة لسن (بقلب النون لامًا مثل

إسماعين ـ إسماعيل). ومعلوم لعلماء الآثار والمؤرخين العرب أن الملك السبئي كرب إيل، تحدث مطولًا في نقوشه الكثيرة عن نشن ـ لسن التي تمرّدت على سلطانه، وناصبته العداء. ويذكر ملك سبأ في نصوصه كيف أنه ألحق بها هزيمة منكرة، فاستولت جيوشه عليها وأحرقت كل مدنها ونواحيها وتوابعها، ونهبت آلهتها عشر وبيحان وكل ما يخصها من أملاك وأرضين[1]. كما يذكر في نصوص أخرى أن نشن عادت فرفعت راية العصيان للمرة الثانية، لذلك هاجمها السبئيون وحاصروها وحاصروا مدينة نشق ـ نشق في التوراة ثلاثة أعوام، كانت نتيجتها ضم نشق وتوابعها إلى دولة سبأ. وبذلك، تكون هذه المملكة المتمرّدة قد ضمّت لأملاك سبأ في هذا الوقت من التاريخ اليمني. ومن أهم أملاكها وادي مذاب ـ مدبء وحرمت ـ حرم، كما فرض على سكان نشن ـ لسن عبادة إلّه سبأ الإله المقه، وتمّ بناء معبد له وسط المدينة. وكما لاحظنا، فإن نص يشوع الآنف يقول حرفيًّا أن أرن ضمن الفضاء الجغرافي لوادي مذاب وليس مأدبا (وأَقْطَعَ موسى، لبني رءوبين ولعشائره، فكانت لهم وأنت مقبل من عروعر التي على شفا وادي أرنون، المنازل التي في وسط الوادي إلى كل ـ وادي ـ الميسر، فأعلى ـ وادي ـ مِذاب). ها هنا، إذن وديان أرن ـ أرنون إله مملكة نشن ـ لسن وها هنا وادي مذاب وهذا تطابق مذهل بين نقوش المسند ونصوص التوراة.

إن المقطع الأول من الاسم (أرن) في النقوش يجب أن ينصرف إلى اسم الوادي أرنون في التوراة، وهو البناء العبري من الاسم (أرن ـ أرنون مثل حصر ـ حصرون). والتوراة تسجل اسمه في مواضع عدّة سنأتي على ذكرها تاليًا. أمّا المقطع الثاني من النقش فيجب أن ينصرف إلى الكلمة العبرية (يدع) بمعنى المعرفة، ومنها كلمة الودع العربية (ضاربوا الودع): أي الحظ، السعد، الطالع. العارف. وبهذا المعنى، يصبح أرن/ يدع هو إله السعد اليمني القديم الخاص بمملكة نشن ـ لسن. وثاني هذه الإشارات المهمة التي أهملها محللو النقش، أن في اسم أرن كل العناصر الفونيطيقية

(1) جواد علي: المصدر نفسه.

لاسم تابوت العهد بالعبرية والذي يسمّى أرون ארון فماذا يعني ذلك؟ إنه يعني دون مواربة أو شك، أن تقاليد حمل تابوت العهد خلال المعارك، وهي ترتبط بمعتقدات روحية عميقة، تتصل بمعتقد قديم بأنه جالب النصر والحظ والسعد، وأنها ذات أصل سابق على الشرعة الموسوية. وكل هذا يعني، أن موسى أقطع بعض الأسباط غربي ها ـ يردن، وليس الأردن البلد العربي، أراضي تمتد من وديان أرنون (التي ستقوم فيها تاليًا مملكة نشن) حتى وادي مذاب.

ولسوف يقدّم لنا تحليل ـ النقشين ـ النتائج التالية:

1: إن السبئية (الصنعانية) هي العبرية الأصلية القديمة. وليس دون معنى أن العبرية في إسرائيل تسمّى اليوم العبرية الصنعانية *Sananite Hebrew*

2: إن كثرة من أسماء المواضع في هذين النقشين ترد في التوراة في الصيغ ذاتها مثل: بلو ـ بلو، كمنه ـ كمنه ـ نشق ـ نشق. وهذا أمر يستحيل تجاهل أهميته العلمية، فهو ينسف كل أساس قامت عليه أسطورة عبور الأردن وفتح أريحا. كما أن اللهجات اليمنية القديمة تعرف البناء العبري القديم للأسماء، مثل حور ـ حورون. وقد وردت في نقوش المسند مثل هذه الأبنية، وهي لا تزال موجودة في أسماء مواضع كثيرة في حضرموت ومحافظة المهرة، مثل: قرية ضبوت، حيروت، ميناء خلفوت، ميناء نشطون، مستوطنة حبروت الأثرية، مستوطنة دمقوت. إن قائمة قرى ومدن حضرموت تتضمن أسماء لا نجدها إلّا في النص العبري، خذوا مثلًا هذا المثال: هنا جزء من قائمة طويلة جدًا بأسماء القرى والمدن (نشطوت، ضبوت، هروت، روضة بني إسرائيل، ميفع، ميفعه، حجر). وكما يُلاحظ فبعضها يتضمن الوزن العربي القديم (الواو والتاء).

3: وأخيرًا، يتعيّن علينا في ضوء ذلك، أن نعيد قراءة النصّ التوراتي بوصفه نصًا دينيًا ـ إخباريًا، ينتمي في الأصل والجذور لثقافة دينية يمنية قديمة. وسوف نرى عند تحليل ما يدعى نقش ميشع (المعروف خطأ بهذا الاسم والأدق نقش اليشع لأن الميم في أول الاسم هي ألف ولام التعريف) أن الاسم ينصرف إلى إله يمني يدعى اليشع (يشوع ـ والياء اليمنية في أول

الاسم أداة تعريف أخرى منقرضة مثل يعرب/ العرب، يعرم/ العرم، يكرب/ الكرب) وأن دلالة ذلك وروده سوية مع أسماء وادي ميدبء ـ مذاب وسواها. وهذا من شأنه أن ينسف كل أساس قام عليه تحليل ما يسمى خطأ نقش ميشع (اليشع ـ يشوع) بوصفه نقشًا فلسطينيًا أو إسرائيليًا أو أن له صلة بفلسطين. وهذا ما سنقوم به في مناسبة قادمة، ضمن كتاب مستقل يجادل ضد تفسير نقش ميشع.

وهكذا، فالوقائع والنتائج الآنفة تؤكد لنا أن وادي أرنون لا وجود له غرب الأردن، وأنه سمّي باسم إله يمني قديم هو الإله أرن. لكن يبدو، وحسب التوصيف الوارد في النص، أنه كان ذات يوم اسمًا لوادٍ بعينه قرب حجة التي يوجد فيها جبل حرم (والنص يقول إن أرن قرب حرمون ـ البناء العبري من حرم). قد يعني هذا من بين ما يعنيه، أن الأرض وزعت على الأسباط في عصر موسى، ابتداء من صنعاء حتى حجة. وفي هذا الفضاء الجغرافي، يمكن لنا رؤية كل المنازل التي سجلتها التوراة.

وهاكم البرهان على ما نقول:

يقع جبل حرم ضمن سلسلة جبلية في صعدة ـ مديرية زراح ـ زارح في التوراة ـ ويعتبر أعلى قمة فيها. وحجة وصعدة ترتبطان جغرافيًا بهذه السلسلة الجبلية العظيمة. وعند سفح حرم بنى اليمنيون القدماء ما يعرف بسدّ الزربية، وهو معلمٌ أثري يرجع تاريخه إلى القرن الخامس الميلادي، حسب ما يشير نقش بخط المسند وجد في أعلى السد. ومدينة صعدة التاريخية وردت في النقوش اليمنية القديمة بهذه التسمية في النقش الموسوم بـ *CH 31* باسم (ص ع د ت م ـ صعدتم) كما وردت في التوراة بالصيغة ذاتها (صعدت).مثلما ورد اسم زارح في صورة زراح ـ بالقلب وهو تقليد عربي قديم مستمر حتى اليوم مثل: زوج، جوز في العامية ـ . وهذا أمر مذهل يصعب تخيّل حدوثه مصادفة. وهكذا، يتضح من خلال بعض النصوص أن اسمها يرتبط بأحداث تاريخية تخص عصر الملك شمر يهرعش أحد ملوك التبابعة، ومنها نقش (جام 2109) ونقش (جام 258). وصعدة مدينة تقع شمال العاصمة صنعاء بمسافة (242 كم) تقريبًا. ولأن أهم المواضع الواردة

في نص النقش ونص يشوع، تقع في حجة على الطريق إلى صنعاء، وأنت قادم من صعدة، فسوف نتتبع الجغرافيا الموصوفة والممتدّة من شمال صنعاء حتى جنوبها (وذلك هو المغزى الحقيقي لعبارة: شرق وغرب ها ـ يردن وهو فعليًّا غرب وشرق وادي مور وفي الآن نفسه هو شمال وجنوب صنعاء). تبعد حجة عن صنعاء بنحو (123) كيلو مترًا، وتضمّ سلاسل من المرتفعات الجبلية مثل جبال حجور وسلسلة جبال كحلان وسلسلة جبال وشحة وكشر وغيرها، وسلسلة سهول ساحلية واسعة تطلّ على منازل بني قيس (لنتذكر أن اسم والد شاول مؤسس الملكية في إسرائيل هو شاول بن قيس) حيث جبل الطور. وهذا هو الجبل الذي قصده القرآن وفهم خطأ أن المقصود به جبل في سيناء المصرية؟ وهذا ما يتوجب ربطه بقصص الطور في التوراة. كما توجد سلسلة من الهضاب تتصل بهضاب حجور والمناطق السهلية في ميدي ـ مدي في التوراة ـ وهذه فهمت بطريقة تحريفية على أنها تعني ميديا في فارس؟ ـ وعبس ـ عبس في التوراة، وسلسلة جبال أخرى مثل قارة ـ قارة في التوراة، وأخيرًا جبل حرم. وهذه الأسماء، ويا للعجب ترد كلها في التوراة! ويبدو ان اسم وادي أرن انتقل في وقت ما من انتشار عبادة إله الحظ اليمني إلى داخل الحدود السعودية، حيث يوجد مسيل مياه تستمر في التدفق حتى صعدة. وضبط علماء اللغة الاسم (بكسر الألف وكسر الراء على وزن إِبِل) وهو يصب في واحدة من أشهر وأكبر السبخات في الجزيرة العربية التي سميت باسمه ـ سبخة إرن ـ ويصل طولها من الشمال إلى الجنوب نحو عشرين كم. ووادي إِرِن كثير النخل من ديار بني سليم جنوب محافظة مهد الذهب (معدن بني سليم).



أطراف وادي إرن في منطقة عسير السعودية



قلعة جبل حرم في صعدة

ولأجل رسم جغرافية دقيقة نتتبع من خلالها الأماكن والمواضع التي توصلنا إليها، فقد يتطلب الأمر من القارئ غير المتخصّص، قدرًا من الصبر والقدرة على تتبّع المسار ليتعرّف بنفسه على الحقيقة. ولذلك، سنقدم توصيفًا عامًّا لموضع آخر من المواضع الواردة في النص، ويعرف باسم حشبون، لننطلق منه حتى العثور على كل المواضع المذكورة. إن أهمية هذا المكان، تنبع من حقيقة أنه يظهر في مواضع مختلفة من نصوص التوراة، بوصفه موطن قبائل مقاتلة.واستنادًا الى الشعر العربي القديم والهمداني والنقوش المكتشفة في معابد اليمن، وجباله ووديانه الكثيرة، فسوف نفتش عنه في جغرافية هذا البلد التي تعرفه جيدًا كموطن قبائل مقاتلة بالفعل. وهذا أمر مدهش يستحيل تجاهل قيمته العلمية. ومن المؤكد، استنادًا لتحليل لغوي وجغرافي يرتكز إلى النقوش، أن جذر الاسم هو حشب. (البناء العبري القديم للأسماء يعتمد الواو والنون، مثل صيد ـ صيدون، حبر ـ حبرون.أرن ـ أرنون. أما البناء العربي فيعتمد الألف والنون عدن ـ عدنان)[1] ويقصد به موطن جماعة بشرية بعينها. وهؤلاء حسب الهمداني هم سكان بلاد الحواشب. وهي بلاد واسعة وخصبة تقع في منطقة يافع في السرو المعروف باسم سرو حِمْيَر. وهذا يعني أن الحشبونيين في التوراة، قصد بهم سكان بلاد الحواشب في يافع.

تقع يافع شمال شرق محافظة عدن بين خطي طول 45 ـ 46 درجة، وخطي عرض 13 ـ 14 درجة، ويحدّها من الجنوب ساحل البحر ومن الشمال محافظة البيضاء، ومن الشرق بلدة لودر (المعروفة باسم مكيراس). أما من الغرب فتحدّها الضالع التي تسجل التوراة اسمها في صورة صلع ـ صالع (لافتقاد العبرية لحرف الضاد العربي צילע). وقد تسنى لي في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي، التجول في هذه المنطقة ورؤية معالمها رأي العين. ثم قادتني جولتي في هذه المناطق إلى محافظة لحج وأبين، وهما تشكلان من المنظور الجغرافي، فضاء طبيعيًّا خلابًا، يتكامل مع جغرافية يافع حيث الجهة الغربية لمحافظة أبين، والجهة الشمالية الشرقية لمحافظة

(1) لايزال هذا البناء للأسماء شائعًا في حضرموت ومحافظة المهرة.

لحج، تصبحان جزءًا من جغرافية شديدة الوعورة، وتغلب عليها التضاريس الصخرية التي يشمخ فيها جبل العرّ (جبل عدن) الوارد ذكره في التوراة والنقوش المسندية في الصورة ذاتها، وبالوصف ذاته ع ـ ر **ער**. وحسب النقوش التي عثر عليها في منطقة يافع، وتعود إلى القرن السابع قبل الميلاد، أي قبل قرنين من العصر الافتراضي لكتابة التوراة، فقد قاد المكرب السبئي كرب آل وتر ـ من ذمار ـ حملة حربية لتوحيد اليمن (ويعرف باسم نقش النصر *Res.3945* ضد موضع يرد في التوراة باسم تبن (وتبن ودهس اليوم من الناحية الإدارية ضمن منطقة يافع العليا). لقد انتهت حملة هذا الملك إلى الاستيلاء على جبل عرّ. وقد ورد اسم هذا الجبل ضمن أخبار الحملة في صورة عر، تمامًا كما في العبرية والعربية. وضمن جغرافية يافع هذه قامت ذات يوم سلطنة العقارب (عقربيم في التوراة) وكانت أراضيها تقع إلى الغرب من عدن. أما سلطنة الحواشب، فكانت عاصمتها التاريخية منطقة المسيمير. ولاتزال تحمل اسمها التوراتي هذا (حشبون) وهي تشكل العمق الاستراتيجي الأهم في هذا الجزء من اليمن، إذ بحكم موقعها المميز المطل على مناطق من تعز والضالع، فقد اكتسبت العاصمة العظيمة مكانة كبرى طوال مراحل التاريخ، لأنها كانت مفترق طرق القوافل التجارية بين الجنوب والشمال. ولعل زيارة عالم الآثار اليهودي الشهير هاليفي لليمن عام 1870 (الذي اعتمد جواد علي على نقوشه التي جمعها من رحلته في بلاد الحواشب) هي من بين أكثر الأدلة التي تؤكد على هذا التماثل الجغرافي الحقيقي بين اليمن وأرض التوراة، فقد وصل هاليفي إلى عدن بعد أن تمكن ـ بفضل صلاته السياسية والشخصية وحتى الدينية كيهودي ـ من الحصول على التوصيات الضرورية لضمان سلامته في هذه الرحلة الخطرة، ومع ذلك اضطرّ ـ ويا للمصادفة ـ أن يرتدي ثياب اليهود التقليدية، وأن يطلق شعر رأسه حتى تدلت منهما نواستان، مثل نواستي اليهود المتدينين، فدخل عدن وسار متجهًا نحو لحج برفقة يهودي صنعاني يدعى حاييم حبشوش. لكن قبيلة الحواشب سارعت إلى عرقلة رحلته، وسعت بكل الوسائل لإحباطها، فاضطرّ مرة أخرى إلى سلوك الطريق البري، ثم ليستأجر مركبًا ويتجه إلى

الحديدة ومن هناك إلى صنعاء. وفي صنعاء شاهد هاليفي بقايا (كنيسة) القليس ثم تسلق جبل نقم (المطل على ساحة السبعين اليوم في قلب العاصمة صنعاء وفي التوراة جبل لقم ـ والنون واللام تتبادلان الوظيفة). لقد تجاوزت قيمة وأهمية النقوش الكثيرة التي جمعها هاليفي (وفي الواقع سرقها) من الناحية الإجرائية، هذا النطاق الجغرافي المحدود، فقد تمكن من زيارة جبل يام (يام في التوراة) قبل أن يتجه صوب الجوف مستعينًا بأدلاء يهود من صعدة، وليتمكن من جمع عدد آخر من النقوش المهمة للغاية التي يروى فيها التاريخ التوراتي كتاريخ يمني، وبشكل أخص تاريخ الحواشب. لكن أهم النقوش التي ترد فيها أسماء المواضع اختفت إلى الأبد. وهذا مفهوم تمامًا، فقد سعى التوراتيون (الاستشراقيون) إلى اختراع تاريخ المنطقة من خلال التلاعب المخزي بحقائقه وعبر إخفاء النقوش الأصلية.

هذا التحديد الدقيق لجغرافية حشبون (بلاد الحواشب) يتوافق مع ما سجله الهمداني والتوراة والشعر العربي القديم وما تركه اليمنيون في نقوش المسند.

أما الموضع الآخر ديبون ـ جبل ذَيْبن فيقع في بلد همدان الى الشمال من صنعاء، بينما إلى الغرب من همدان يقع بلد قُدم ـ قدموت. وديبان ـ ديبون هذا، جبل عظيم يشكل جزءًا من معالم مدينة كانط المقدسة (التابعة لمحافظة تعز) وهي أكانط في التوراة، حيث أقيمت المعابد فيها بكثرة، وهو ما يدلل عليه وجود النقوش الخاصة بالآلهة (في إطار عبادة الثالوث الكوكبي المقدس القمر والشمس والزهرة). ومن بين أهم المعابد المقامة في المدينة، معبد حدثم والمكرّس للإله تالب ريام، وهو يعد المعبد الرئيس ويقع في أعلى قمة جبل ذيبان من بلاد أرحب، حيث تنتشر معابد أخرى للإله تالب ريام إله القمر في نطاق اتحاد قبائل سُمعي. ويستدلّ من النقوش أنه بني في القرن الثالث قبل الميلاد تقريبًا واستمر حتى القرن الخامس قبل الميلاد. ولنبدأ الآن من وادي ميفعة ـ راجع القائمة أعلاه للتدقيق ومتابعة المسار الجغرافي ـ.

إن النص التوراتي لا يعطي أي توصيف لهذا الموضع، ولا يشير إليه

بوصفه جبلًا أو واديًا أو عين ماء، وبدلًا من ذلك، يكتفي بذكر اسمه. ولكنه ـ حسب التسلسل المُعطى ـ يقع على مقربة من شبمة ـ وشبمة قرب جبل ديبون، وغير بعيد عن وادي ميدبـ ـ مذب. وبالطبع فلا وجود لميفعة فلسطينية قرب هذه المواضع الى الغرب من نهر الأردن كما أن البحث الأثري وعمليات التنقيب المحموم في طول فلسطين وعرضها، لم تُسفر عن دليل على وجود مكان بهذا الاسم. ولكن؛ لما كانت ميفعة التوراتية تقع إلى الغرب من وادي ها ـ يردن، فإننا نستطيع الوصول إليها بسهولة لنجدها هناك وبالاسم القديم نفسه؟ ها هنا شهادة الهمداني الذي يؤكد فيها حرفيًا (الإكليل: 1: 414) أن ميفعة في حقل صنعاء، وهي لا تُعرف اليوم؛ إذ اندثرت وضاعت ولم يتبق منها سوى الأطلال. لقد ظهرت بعد اندثارها نحوًا من أربعة مواضع على التوالي وقرب بعضها البعض، وتحمل الاسم نفسه تمامًا؛ فهناك ميفعة في مخلاف حضُور ـ حصور الى الغرب من صنعاء، وأخرى في مخلاف مُقْري إلى الشمال الغربي من ذمار، وميفعة ثالثة في حضرموت، وأخيرًا ميفعة الى الشرق من ذمار. والبكري (معجم: 1285) يؤيد تحديد ميفعة في بلد همدان، وأنها كانت وطنًا قديمًا واسمًا لقبيلة يمنية، ينتسب إليها صاحب كتاب صفة جزيرة العرب، ما بين نجد إلى السراة شمالي صنعاء فتهامة وما بينها وبين صعدة وخولان. وهذا يعني أننا نتحدث عن موضع معلوم وليس مكانًا خياليًا. وإذا ما قرأنا نص يشوع بدقة، وفهمنا منه أن المقصود ميفعة ذمار؛ ففي هذه الحالة تكون (م ي ف ع ت) الواردة في النقوش هي ذاتها ميفعة التوراتية **מיפעה** وهو الاسم الذي أطلق مؤخرًا على الوادي بأكمله. وافترض *Bretion.J.F* في سياق النقاش حول هذا الموضع، أن ميفعة هذه لم تكن في العصر الذي أشارت إليه النقوش، وأن من المحتمل المقصود بها موضعًا آخر. وبالفعل، دار نقاش مستفيض بين علماء الآثار حول ميفعة أخرى ظهرت في حضرموت، وورد اسمها في نقش حميري. وذهب بعضهم أنها قد لا تكون عُرفت في القرن السابع قبل الميلاد، مستدلًا على فرضيته هذه، بأن ملك سبأ كرب آل وتر بن ذمار علي لم يذكرها في نقشه المشهور بنقش النصر *RES 3945*، وهذه فرضية لا تتبنى

على أسس علمية صحيحة، لأن وجودها في نص يشوع وبالوصف نفسه للوديان والجبال المحيطة بها، يجعل من حضورها في المسرح التاريخي القديم أمرًا مرجحًا. لقد حيرتني مشكلة ميفعة هذه أثناء عملي الشاق في مؤلفي الضخم (فلسطين المتخيّلة) وافترضت خطأ، أن المقصود بها ميفعة حضرموت، وأود هنا تصحيح الخطأ، فهي ميفعة ذمار غربي ها ـ يردن. كان وادي ميفعة من الوديان التابعة لمملكة أوسان التي مدّت نفوذها من المعافر (اليوم تسمى محافظة تعز) حيث جبل قدس ـ قَدَس (إلى الجنوب وفي التوراة קדש) حتى وادي جردان، مرورًا بأراضي لحج وأبين. ويبدو من نقش الملك السبئي الذي دوّن أسماء بعض المواضع، أن معارك قاسية دارت في هذا المكان وبحيث زالت معالمه العمرانية. ثم وفي وقتٍ تالٍ عاد وادي ميفعة إلى الازدهار في حدود القرن الثالث الهجري، كأحد الأودية الخاصة بالأسرة اليزنية التي اتخذت من وادي ومدينة عبدان ـ عبدان في التوراة عاصمة جديدة. ويلاحظ من التوصيفات والأسماء التي ذكرتها النقوش، أن ميفعة عرفت أسماء أودية مثل وادي عماقين (عمق في التوراة) الذي تنحدر مياهها إلى الجنوب من عتق، قبل أن تنحدر سيوله شمالًا إلى رملة السبعتين عبر وادي جردان.[1] وفي النقوش المسندية توصف هذه الأراضي بأنها إلى الشرق من الوادي (أرض ضيفتن ومشرقن ـ ض ي ف ت ن و م ش رق ن) أي بلاد الشرق. كما يشار إليها في بعض النقوش، بأنها المكان الذي بُني فيه قصر الملك اليهودي ذي يزن الحميري.

والمدهش أن تعبير بلاد الشرق (م/ش/ر/ق/ن) يرد في التوراة بالصيغة نفسها! أما ميفعة الجديدة عاصمة مملكة حضرموت ـ قبل انتقالها الى مدينة

---

(1) في النقوش المسندية ورد أن ملك سبأ هاجم جردان (وخرب أوديتها وخرب نسم ـ نشم في التوراة، ووادي رشاي وجردان، وغلبه ـ غلب ملكها ـ بدثينة وأحرق كل مدنه وغلب تفيض وخربها وأحرقها وخرب أوديته وقهره حتى بلغ البحر، وأحرق كل مدنه التي على البحر، وأخضع أوسان وحكم) أي بلاد حكم في ساحل كنانة على البحر الأحمر. وسائر الأسماء في هذا النص هي أسماء جبال ووديان وقرى.

شبوة في البلاد العربية الجنوبية وارتبط اسمها في الذاكرة العربية التاريخية باسم سيف بن ذي يزن، فهو ابنها وبطلها الأسطوري ـ فهي اسم حديث نسبيًا، وهذا ما تسبّب في تفجر السجال بين العلماء حول اسمها. وكما نعلم فقد حدثت التباسات فظيعة بشأن شخصية سيف وتاريخيته واسمه الحقيقي، واجتهد الكثير من المؤرخين ـ غالبًا دون علم ـ في تقديم معلومات خاطئة عنه، زعموا فيها الكثير من المزاعم. والمؤكد أن اسم الملك سيف بن ذي يزن الحقيقي[1]، هو السميفع بن معد كرب بن يعفر بن الملك السميفع أشوع الثاني، ولنلاحظ هنا، كيف أن اسم يشوع يتردد بكثرة كاسم إله. وهذا ما يجب أن يدفعنا للتساؤل عن صلته بشخصية يشوع المسيح المنتظر في التوراة.إن يشوع ـ يسوع التوراة (بن نون) هو برأينا المسيح الأول الذي جسّد الفكرة الخلاصية، وانتظر بنو إسرائيل ظهوره بعد تلاشي وانهيار مملكتي إسرائيل ويهوذا. وتكشف لنا ـ سائر هذه الأحداث وبجلاء ـ الدور الذي لعبته ميفعة كمكان حقيقي ظل عبر التاريخ موطن قبائل وممالك يمنية مقاتلة. وإذا ما قمنا بمُطابقة توصيف الهمداني والبكري مع وصف يشوع والنقوش المسندية؛ فإننا سوف نتعرف على ميفعة التوراتية هذه.

في هذا السياق، سأعطي نصًا يكشف عن حجم التزوير في التوراة العربية المترجمة:

وها ـ عير ـ ءشر ـ بتوك ـ نحل ـ وكل ـ ها ـ ميسر
ـ عل ـ ميدبء

---

(1) كان سيف صهرًا للملك اليهودي ذي نواس الحميري(يوسف أسار يثار الذي ارتبط اسمه بالحرب على نجران المسيحية وبحادث الأخدود). لقد تمكن سيف بمساعدة مباشرة من الفرس من دحر صهره الملك اليهودي مغتصب العرش ذي نؤاس الحميري، ومن ثم تفرّغ انطلاقًا من موطنه في وادي ميفعة، للقضاء نهائيًا على طموحات خصمه ذي الشناتر الذي فصل العربية السعيدة، أي الشمال اليمني عن العربية الجنوبية ـ عدن وحضرموت ـ وبذلك تمكن من تحرير صنعاء من الاحتلال الحبشي، كما حرر تهامة وظفار ـ وهما بوابتا اليمن ـ .

וה-עיר- אשר-בתוך-הנחל-וכל-ה-מישר-על-מידבא

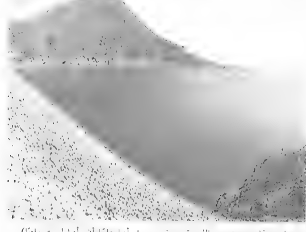
(والمنازل التي وسط الوادي، وكل ـ النجد ـ وأعلى مأدبا)

يكمن الخطأ الجوهري في ترجمة وفهم النص الآنف فهمًا صحيحًا، أن المترجمين توهموا أن صيغة الاسم (ميسر) تنصرف إلى معنى مرتفع، أو نجد، وقاموا بإعطاء مكافئ غير صحيح هو (نجد). وهذا قد يكون مقبولًا من الناحية المبدئية لكنه يخالف المقصود من الجملة. كما افترضوا أن ميدبء هي مأدبا! في الواقع نجمت عن سوء الفهم لمسألة (كل ـ ها ـ ميسر) مشكلتان، الأولى: إن الكلمة التي تؤدي معنى نجد في العبرية هي شدة ـ سده **שדה** (والسدة حتى اليوم في العامية العراقية تعني المكان العالي) أي إنها ليست مؤنث سدّ؛ بل هي بالضبط سدة العبرية. العربية القديمة وهي كل ما ارتفع من الأرض. أما اسم ميسر فهو لا يُعرف، إذ لا توجد كلمة بالعبرية تعطي أي معنى مقبول. ويبدو أن المترجمين خلطوا بين هذا الاسم وبين كلمة (ميشور **מישור** بمعنى: السهل ـ ميسور العربية). ولذلك قاموا بترجمة الكلمة إلى (نجد) أيضًا، أي إلى مرتفع. وبذلك أصبح لدينا مفردتان لهما معنيين مختلفين ولكنهما صارتا مترادفين، ودون أن يكون لهما أساس لغوي صحيح في القاموس العبري؟ أما المشكلة الثانية، فهي أن النجد لا تعني المكان المرتفع فقط، وإنما تعني كذلك اسم موضع بعينه. والنجد في وصف العرب يُطلق عامة على الأرض المرتفعة (ما يعرف بنجد المملكة العربية السعودية مثلًا، وهو طويل عريض فيه وادي الرمة إلى ما دون العراق). وإذا ما قبلنا ترجمة كلمة ميسر على أنها نجد، ففي هذه الحالة يجب التفكير مليًا بمدى منطقية القول، إن قبيلة واحدة يمكن أن تقطن منفردة في مكان، تضاهي مساحته مساحة دولة بحجم تونس. بل إن نمط الاستيطان القبائلي القديم في اليمن، لا يعرف مثل هذا التفرد في (كل ـ ها ـ ميسر) بمعنى(كل النجد). ولذا؛ فإن ضبط الاسم ضبطًا عربيًا صحيحًا في صورة كل وادي ميسر، سوف يوضح المكان المقصود ويزيل اللبس، فالقبيلة حصلت على منازلها من النبي موسى غرب ها ـ يردن وليس الأردن، ثم أقامت في وادٍ بعينه، وليس في (كل المرتفعات أو كل النجد).وثمة فارق هائل بين القصدين. ووادي ميسر هذا، لايزال موجودًا باسمه التوراتي هذا في منطقة برذعة قرب

حيد سمر في محافظة أبين، وتسكنه قبائل المياسر وهم من قبائل دثينة ـ قبائل مذحج ـ أي في الفضاء الجغرافي نفسه لسائر الأماكن الأخرى الواردة في نص يشوع. ومعلوم أن أبين تبعد عن العاصمة اليمنية المركزية صنعاء، مسافة (427) كيلو مترًا وتتصل بمحافظتي شبوة والبيضاء من الشمال، بينما يشكل البحر العربي حدودها من الجنوب، ولحج وعدن من الغرب. ولتوضيح هذا الأمر، يمكن للقارئ أن يمعن النظر في خريطة اليمن، ليتبيّن له نوع وطبيعة سكن السبط الإسرائيلي رءوبين، فهو أقام داخل منطقة جغرافية محددة تعرف اليوم باسم أبين والبيضاء وتعز ولحج. فهل دون معنى أن سكان هذه المدن يعرفون تاريخيًا وحتى اليوم باسم الربعيين ـ رءوبين؟ ونعرف أن اليمنيين مثل كثرة من قبائل عرب الجنوب، يخففون العين فتنطق همزة (والعكس كما في لهجات جنوب العراق الذين يقولون في القرآن ـ القرعان، وفي سؤال ـ سعال)



خريطة اليمن. ويمكن رؤية الشريط الحدودي الطويل بين حجة والمحويت وصنعاء وذمار والحديدة ـ فوق ـ والبيضاء وإب من تحت، حيث صادفت الجماعة المهاجرة مياه وادي الأردم.



وادي مذاب ـ ميدبء والذي قرىء في صورة مأدبا علمًا أن مأدبا ليست واديًا)

أما ميدبء التي قرئت خطأ في صورة مأدبا، فهي وادي ميذب ـ مذاب الذي تصبّ مياهه في سد مأرب مع وادي أذنة (إذنت في النقوش المسندية وأزنت في التوراة: إذنت אזנת). يرسم اسم وادي مذاب ويكتب في النقوش المسندية في صورة ميذب. وهو ينبع من منطقة المصينعة مع أودية أخرى (سرع، خمار) وتعد هذه المنطقة واحدة من أكبر مناطق محافظة شبوة. أما أهم أودية شبوة التي تسيل باتجاه الصحراء، وتصبّ في صنعاء فهما واديا أذنة ومذاب. وعلى ضفاف وادي أذنة قامت مدينة مأرب عاصمة السبئيين.

في هذا الإطار، توهم التوراتيون أن اسم الموضع الآخر صور ـ صور، ينصرف إلى صور اللبنانية، مع أنهم يعلمون جيدًا، أن هذا من الأمور المستحيلة، إذ لم يعرف التاريخ قبيلة واحدة، قادرة على شغل مساحة جغرافية تمتد من صور لبنان حتى مأدبا الأردن كما يعلمون افتقاد العبرية لحرف الضاد

أو الظاء العربي، وهي تستبدله بالصاد المهملة (مثل «رص - أرض). علمًا أن صور اللبنانية لا تعرف أي مكان من الأماكن المذكورة. وكنا رأينا أن النقوش تضع ميفعة التوراتية في محيط صنعاء - حقل صنعاء (الإكليل: 1: 414)! أفلا يعني هذا أن المسرح الجغرافي لقصة العبور، مختلف كلية عن جغرافية الأردن؟ سنتحقّق من ذلك، حين نقرأ في جملة تالية في النص، تقول إن منازل السبط الإسرائيلي كانت في (حشبون - وكل - عربه - ء شر - ب - ميشر - وديبن). ولا توجد عربة كموضع إلا في مهرة عاصمة شبوة. والترجمة الدقيقة لهذا الجزء من النص تقول، إن السبط أقام في (بلاد - حشبون وكل منازله التي في كل عربة ووادي ميسر وجبل دَيبنٌ). ولنلاحظ هنا، أن النص التوراتي يستخدم صيغة ديبن דיבון (بدلًا من صيغة ديبون דיבן - البناء العبري التقليدي - بما يقرب هذا الرسم من شكله العربي).وثمة ما يشير بوضوح الى أنّ منازل الحشبونيين - الحواشب كانت في مكان معلوم. وبكل يقين فليس ثمة من جبل أو وادٍ إلى الغرب من نهر الأردن أقامت فيه قبيلة تدعى الحشبونيين.

وفضلًا عن ذلك؛ فإن الموضع الآخر شبمه - يشبم موجود في المكان نفسه، إذ يصف الهمداني وادي شبمة (صفة: 188) وفي معرض كلامه عن سرو مَذْحِج، وصفًا دقيقًا ويضبطه في صورة يشبم[1]. وهذا كله، سنقوم بتفصيله موضعًا موضعًا، وبما يساعد القارئ غير المتخصّص على تتبّع المسار.

قال زهير بن أبي سُلمى واصفًا وادي يشبم - شبمه:

شَجّ السُّقاةُ على ناجودها شبما من ماء لينة لا طرقًا ولا رَنَقا

مازلتُ أرمقهم حتى إذا هبطت أيدي الركاب بهم من راكسٍ فَلَقا

يقع وادي يشبم في مديرية الصعيد (محافظة شبوة الملاصقة لمأرب) وهي بالضبط إلى الغرب من ها - يردن - انظر خريطة اليمن - . ويعدّ يشبم

---

(1) يقول الهمداني: جَردان وادٍ عظيم فيه قرى كثيرة، يشبم وادٍ عظيم للإيزون من حِمْيَر. وحجر ابن وهب. ولاحظ في القصيدة اسم لبنة لبنة وهي لبنة في التوراة وترسم في النقوش لبنن - لبنان.

من أكبر وديانها، ويقال إنه سمّي نسبة للملك يشبم. ويزعم بعض المؤرخين وعلماء الآثار، أنها أقدم مدينة في شبه جزيرة العرب. كما أن الوادي يعدّ من الوديان العظيمة، فهو بطول يزيد عن (22كم)، ويبدأ من مدينة الصعيد حتى يصب في وادي حبان عند مدينة حبان، ليشكل مع وادي هدى أهم روافد وادي حبان. وهذا بدوره يشكل أهم روافد وادي ميفعة، ويصب في البحر العربي. ويشمل الوادي ما يعرف بأودية (يشبم وحبان وميفعة) وهو يتميز بعمقه الشديد وشدة انحداره، وتصب فيه طوال مجراه عند الشعاب الفرعية، مياه كل هذه الوديان. كما يتميز بشدة تعقيد تراكيب صخوره التي تشمل كامل المنطقة، فضلًا عن أنها تضمّ مواقع أثرية ومخربشات وقبور وبقايا مستوطنات بدائية. لقد ورد اسم يشبم في نقش مسندي قديم[1] في صورة (ي ش ب م ت ن) وهذه صيغة تحيلنا على البناء العبري للأسماء(يشمت ـ يشموت، مثلًا). ويرجح بعض علماء الآثار أن يكون النقش من فترة أواخر عصر ما قبل الميلاد، وهو يتحدث عن تحالف أهل يشبم مع قبائل (خولان جدد) بما يؤكد لنا، أن الأسباط الإسرائيلية التي أقامت جوار بعضها البعض، كانت متحالفة ومتخاصمة في آن واحد، مثلها مثل قبائل العرب العاربة. ويبدو أن الإرياني اشتبه في صحة النقش، نظرًا للمسافة البعيدة التي تفصل موقع العثور عليه عن وادي يشبم، ولكن ذلك لا يقلل لا من صحة الجغرافيا ولا من قيمة النقش. كما ورد ذكر يشبم في نقش محفوظ في متحف بيحان تحت رقم (م.ب 659) وفيه يشير صاحب النقش (هوفيعم بن مقنعم بن ثجر) إلى توليه الإشراف على بوابة يشبم (خ ل ف ن / ي ش ب م). ويبدو أن المقصود من (بوابة يشبم) الإشارة إلى مكانة الوادي في الحياة الاقتصادية والتجارية، فهي منصوبة على قمم جبلية إلى يمين ويسار الوادي (تعني بوابة هنا: مركز ضريبي). وممّا يدفع إلى الاعتقاد أن البوابة المؤلفة من أربعة أبراج، كانت تشير إلى ما يعرف بأبواب اليمن والشام (أ ر ب ع ن / ك س و ت ن / ذ ت ي / ش أ م / و ي

(1) إرياني 76.

م ن). وكانت تلعب دور مراقبة الخطوط التجارية والضريبية، وأن وجودها في مكان مرتفع أعلى قمة الجبل لا يبدو مفهومًا إلَّا في نطاق فهم طبيعة الوادي كمركز تجاري. وبذلك، نعلم من يشوع والهمداني والشعر الجاهلي والنقوش المسندية على حدّ سواء، أن سبط رءوبين أقام في فضاء جغرافي يمتد بالفعل من ميفعة حتى شبوة. في هذا السياق، وبالمعنى المحدد هنا فقط، ورد اسم صور (ضور). وليس ثمة موضع بهذا الاسم، لا قرب مأدبا ولا في جغرافية الأردن كلها. لكن ضور هذه، ليست سوى ضور/ ان / كما يرسم اسمها في نقوش المسند، وهي من حصون اليمن التي تشتهر بغزارة المياه، وتقع الى جوار سلسلة من المواضع الواردة في النص التوراتي. ومثلما رأينا من قبل، فهي النطق اليمني التقليدي للاسم ضور(ضورن،مثل صنعا ـ صنعن، عدن ـ عدنن).واسم ضوران ـ ضور(ن) حميري قديم، وهي اليوم إحدى مديريات محافظة ذمار وتقع في الجزء الشمالي الغربي منها، يحدّها من الشمال محافظة صنعاء(مديرية بلاد الروس،ومديرية بني مطر، وهما روس ومطرة في التوراة). وفي الواقع لم يبق من المدينة القديمة أثر، إذ تهدمت في زلزال عام 1982م وقد بنيت خارج موقعها، مدينة جديدة بالاسم نفسه في منطقة بكيل. لكن جبل ضوران ـ ويدعى اليوم ضوران أنس، لا يزال شامخًا هناك، يحفظ مجد المدينة.

والآن لنفتش عن ضور في نقوش المسند:

في نقش هام للغاية[1] نقرأ النص التالي: ويسبأو/ وستغرن/ هجر(ن)/ صوأرن/ ويتقدمو/ بعم/همُ / أبعل/ صوأرن/ بخلف/ هجر(ن)/ صوأر/ ويسبطو/ ذجدن(م) / وجيشو/ بنهمو/ مهرجة (م)/ وأخيذة(م) / وسبي(م) / وغنم(م)/ وهغرو/ عدى/ عر/أهلن/ فهغروا/ عدى/ دمن

لنلاحظ، أن النقش يستخدم حرف (ص) المهمل تمامًا كما في العبرية.

(1) نقش إرياني 32: زيد علي 87.

وقد فهم محللو النص ما يلي: ويسَبَأوا (أي قاموا بغزو، بسبي) فأغاروا على هَجَر ـ مخلاف ـ صوران، وتقدموا واشتبكوا مع (أبعل ـ أصحاب) صوران في ضواحي ـ مخلاف ـ هَجَر صوأر ـ ن، فضربوا ذا جدن وجيشه (الملك الأسطوري ذا جدن، مهرجة ـ مقتلة، مصرعة وفي الحديث النبويّ الشريف: يحدث هرج وقتل) وأخذوا منهم أسرى (أخايذة، غنائم، أسرى) ثم أغاروا على (منطقة) عر وأهلها، حتى بلغوا دمون.

لقد حظي هذا النقش وسواه من النقوش التي تمّ العثور عليها في منطقة الكسر بحضرموت، بعناية خاصة من علماء الآثار وحتى من طلاب الدراسات العليا في الجامعات اليمنية، ولعل دراسة علمية لهذه المنطقة الغنية بالنقوش، يمكن أن تبرهن بشكل قاطع على أهمية المقاربة التي نقوم بها، ذلك أن الأحداث التي يسردها نص يشوع، تبدو نوعًا من تواصل لأحداث تالية في المكان نفسه. ومن المؤسف أن معظم هذه الدراسات[1] توقفت، أو اقتصرت على فترة واحدة، تمتد من القرن السابع قبل الميلاد حتى منتصف القرن السادس الميلادي. ومع أنها فترة تكثر فيها الإشارات عن المنطقة من خلال ذكر أسماء قبائل، وبعضها مايزال يحتفظ بالأسماء الواردة في نقوش ما قبل الميلاد، مثل قبائل[2]: حضرموت، سيبان، اللو، ريبن ـ إلَّا أن مقتضيات البحث التاريخي، تستدعي القيام بدراسة الفترات الأسبق. ولنلاحظ في أسماء القبائل في هذا النص، العلاقة بين الاسم العبري رءوبين وريبن ـ . وإلى جانب ذكر هذه القبائل، جاء ذكر بعض قرى وأودية الكسر، ومنها قرية أنف ـ ألف في التوراة، وهو جبل شهير، ووادي نسم، وقرية مذاب ـ التي تدعى اليوم وادي حريضة وهذا غير وادي مذاب الذي تحدثنا عنه مطولًا. أما في فترة القرون اللاحقة للميلاد؛ فإن النقوش تكف عن ذكر المنطقة كما يبدو، أو أن النقوش التي تذكرها سرقها الرحالة

(1) مرعي مبارك عانض بن ربّاع، رسالة جامعية ـ جامعة عدن ـ 2006.

(2) كذلك أسماء قبائل أخرى مثل، الصدف، جدعم، يهبئر وذو هجرم، رمي ـ أي إرم، جعشم، القشم.

والمنقّبون وأخفوها. وفي العقد الثاني من القرن الثالث الميلادي، بحسب ما جاء في نقوش المعسال، عاد اسم مدينة ضوران إلى الظهور مجددًا، حيث دارت فيها أحداث تمرد، قامت به قبائل حضرموت بزعامة الزعيم القبلي يهبئر ضد الملك الحضرميّ العز ـ يلط، وما تلا ذلك من أحداث أدت إلى أسره وتدمير وإحراق العاصمة شبوة، واستيلاء أنصار يهبئر على عرش مملكة حضرموت[1]. واليوم، لم يبق من اسم ضوران ـ إلا وادٍ فرعيّ يسمى وادي ضوران ـ وهو واد تسيل مياهه حتى وادي دوعن ـ دوعن في التوراة. وما يمكن ملاحظته في هذا النقش، أنه يرسم اسم صور/ان كما عند يشوع، بحرف الصاد المهمل (صوران) وهو ما سوف نراه في نصوص تالية ـ . وكنا رأينا أن ميفعة التي بدأنا بها تحليل نص يشوع هي في حقل صنعاء، وها هنا ضوران في ذمار.

والآن إلى الموضع التالي (صرة ـ شحر).

في الطبعة العربية من التوراة، يُرسم الاسم بحرف الشين: شحر كاسم مركب، وهذا وهم لأن النص التوراتي يخلو من الفواصل، ولذا فهما موضعان: صرة وسحر. والسحر واد قديم مندثر من أودية اليمن التي سجلها الهمداني. إن الصيغة اللغوية اليمنية ذو سحر، ذي سحر ملفتة للانتباه، ذلك أن اليمنيين أرّخوا به وجعلوه شهرًا، وهو أمر قد يعني من بين ما يعنيه، أنه كان في الأصل معبودًا (إلهًا) عرف باسم ذي سحر، وبه تسمّى الوادي والقبيلة والشهر وأحد ملوك اليمن القديم كذلك، وهذا مشهود ومألوف في سلوك القبائل، فهي تترك أسماء معبوداتها في مواضع وأماكن وتنتسب إليها، كما أنه مألوف في تاريخ الحضارات، فأسماء أشهر السنة الرومانية كانت أسماء ملوكهم. وقد انتبه العلّامة د. جواد علي لهذا الأمر عندما كتب ما يلي: وترد التواريخ في الكتابات العربية الجنوبية، ولا سيما الكتابات القتبانية، على هذه الصورة: (ورخس ذو سحر خرف)،أي كتب، أرّخ في

---

(1) مرعي مبارك عائض بن رباع، رسالة جامعية ـ جامعة عدن ـ 2006.

شهر سحر، أو (ورخس) أي: (وأرخ في شهر سحر من سنة). ويلاحظ أن (ورخ وتوريخ) مثل (أرخ وتاريخًا) هما قريبتان من اسم يريخو ـ يريحو (أريحا) في التوراة وتأتي كاسم لإله القمر الذي كان مصدر التقويم القمري. كما أن لهجة يرخو ـ يرحو أقرب إلى لغة تميم؛ إذ هي تقول: (ورخت الكتاب توريخًا) أي (أرخت الكتاب تأريخًا). وأما حرف السين اللاحق بكلمة (ورخ) فهو أداة التنكير. ويلي التاريخ اسم الشهر، مثل شهر (ذو تمنع وذو سحر). ثم تلي الشهور في العادة كلمة (خرف) أي (خريف) وهي في العربية الجنوبية، السنة أو العام أو الحول. وعندئذ يذكر اسم الملك أو الرجل الذي أرخ به، يقال (خرف شهر يكل) أي سنة (شهر يكول) وهو ملك من ملوك قتبان. وهكذا بالنسبة إلى الملوك أو غيرهم[1]. وهذا ما سوف يعيدنا إلى جوهر الفكرة التي سجلناها عن عابر، فالهدف أو الغرض العملي من تخيّله في صورة شخص، وتسلسل نسله من بعده، قد يكون استخدم في إطار طقوس التقرّب إليه كمعبود قديم، ارتبطت عبادته بطقوسية الماء المقدس، أي بالتعميد القديم. ويمكن اليوم الوصول إلى وادي سحر[2] ـ في مديرية عنس التابعة لذمار ـ عبر عزلة وادي الحار الجبلية،حيث توجد قرية أثرية قديمة تحمل اسم الوادي (ذي سحر). علمًا أن اسم عنس ورد حرفيًا في التوراة وفي نصوص الحملات المصرية (معبد الكرنك). وقبيلة عَنس ـ بفتح العين ثم سين مهملة ـ قبيلة ومخلاف واسع من أعمال محافظة ذمار شمال اليمن (ما يعرف بعنس ومغرب عنس وميفعة عنس غرب مدينة ذمار جنوب صنعاء بمسافة 95 ميلًا). وذمار مدينة قديمة وكبيرة، ويقال إنها سميت نسبة لذمار علي يهبر ملك سبأ وذو ريدان (15 ـ 35م). ومن بين القرى التاريخية التي أحيطت بأسوار دفاعية فيها، هناك قرى وادي ذي سحر عيشان ـ الذي يعرف بعيشان الوارد اسمه في التوراة بهذه الصورة: عيشان، ورخمة

(1) علي: 1/ 46.

(2) ذي سحر ـ ذي، وذا، وذو هي في الأصل البعيد لتطور العربية أدوات تعريف منقرضة تؤدي وظيفة صاحب، مالك (ألف ولام).

ـ رخمة ومعبر ـ عبر، وذي خولان[1] ـ كولان (الذي توهم المستشرقون أن المقصود به الجولان السوري) وخربة أفيق. أفيق في نشيد الإنشاد المنسوب خطأ لسليمان النبي، وحلقة ـ حلقة. أي إنها في فضاء جغرافي ولغوي متناسق تمامًا مع نصوص التوراة[2]. وقد تغيّر الكثير من النقوش الحميرية التي عثر عليها مؤخرًا، بما في ذلك النقوش البدائية المكتوبة بما يعرف بخط المحراث، الكثير من معارفنا عن تاريخ اليمن القديم، مثل نقش *Moretti mariya* الموجود حاليًا على جدار أحد منازل ماريا الحديثة (مدينة سمعان القديمة) ومثل نقش *Masna'at Mariya* وهما من النقوش التي عثر عليها في ماريا الأثرية. وبرأينا إن اكتشاف مصنعة ماريا، يجب أن يشجع الباحثين العرب على إعادة بناء تصور جديد عن مملكة ماري السورية على الفرات، والتخلص من ترهات علماء الآثار من التيار التوراتي. يعود النقش الأول الخاص بماريا هذه إلى عهد الملك الحميري شمر يمحمد (يهحمد ـ ملك سبأ وذي ريدان الذي حكم المناطق الحميرية في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي). وفي عهده واجه الحميريون هجمات متكررة من ملكين منافسين في سبأ وذي ريدان، هما إل شرح يخصب الثاني وأخيه يازل بين،

(1) أشهر جبال خولان جبل اللوز ـ لوزة في التوراة، وجبال الطيال وجبل الخضراء وجبل عضية، وهي تشكل سلسلة جبلية ممتدة من الشرق إلى الغرب، ثم جبل كنن ـ كنن في التوراة في الجنوب الغربي ويبعد عن العاصمة صنعاء (نحو 50 كيلو مترًا). وتشتهر مديرية خولان بزراعة اللوز خاصة في جبل اللوز والأعناب في وادي مسور ـ مسور في التوراة. وفي الكبس ـ الكيس في التوراة والأعروش ـ العرش في التوراة. وفي النواحي الشرقية من خولان يعيش البدو الرُّحل الذين ينتمون قبليًا لخولان. وخولان إحدى مديريات محافظة صنعاء وجحانة مركزها. وخولان اسم يطلق على القبيلة والمخلاف ـ المملكة، وقد ذكر الاسم (خولن) في النقوش اليمنية القديمة لأول مرة في حدود (القرن السابع قبل الميلاد فترة مكربيّي سبأ) كاسم لقبيلة. وفي فترة ملوك سبأ وذي ريدان الممتدة من القرن الأول حتى الثالث الميلادي، أطلق عليها اسم (خولن/ جد/د/ن).

(2) كما توجد قرية أخرى بالاسم نفسه شرق صنعاء (نحو 5 كم) ضمن حصن عفاش الأثري. ويزعم بعض أهل اليمن أن مولد بلقيس الملكة كان في قرية ذي سحر.

بينما يعود النقش الثاني إلى عهد الملك ثاران يهنعم بن ذمار علي يهبر (434م)ـ حسب التقويم الحميري وهو ما يقابل 319م ـ .وأودّ هنا أن أعيد التأكيد مرة أخرى على أن اسم الملك بين (يازل بين) ورد في التوراة كاسم ملك في حصور ـ حضور، ولم يفهم المترجمون أنه اسم ملك، وظنوه اسم مكان. ولا يزال سكان مصنعة ماريا وقرية ذي سحر الأثرية، يتناقلون حتى اليوم الكثير من الأساطير عن أسرار المدينة وكنوزها. وبعض الشيوخ في قرية ذي سحر يؤمنون أن هناك دفائن ملكية ثمينة لم تكتشف في ذي سحر. أما صرة[1] ـ صيرة حسب الضبط العربي فهي تشير إلى مكان جبلي. ويبدو أن القدماء من العرب كانوا يألفون رسمًا للاسم قد يبدو غريبًا بالنسبة لنا نحن المعاصرين، فهم يرسمونها بالتاء المفتوحة: صارت، ويرسمونها كذلك في صورة صيرة، قال زهير بن أبي سلمى:

لِمَنْ طَلَلٌ كالوحيِ عافٍ منازله عفا الرّسُّ منه فالرسيس فعاقلهُ
فرقد فصارتٍ فأكناف مَنْعِجٍ فشرقي سلمى حوضهُ فأجاولهُ

ولمّا كان وادي سحر ضمن ذمار، فهذا يعني أن وادي صرة ـ صيرة يجب أن يكون في المكان نفسه. وها هنا صرة ـ صيرة.

يقع وادي الصيرة في وصاب العالي ـ بني شعيب ضمن ذمار.وتنقسم وصاب إلى مديريتين، وصاب العالي ووصاب السافل، وهما من مديريات محافظة ذمار الأساسية، فهي سلسلة مناطق جبلية مترامية الأطراف تتخللها مجموعة من الأودية الزراعية والسهول الساحلية. وهناك جبل آخر باسم جبل صيرة يتبع عدن.والمثير للاهتمام، أن بعض سكان وادي سحر يدعون (الربعيين) وهو ما يدعونا لمقارنته من جديد مع رءوبين، بتحول العين إلى همزة (وفي شعر ذي الرّمة ورد: أعن ترسمت ـ أأن ترسمت) ومع أنها اسم قبيلة يمنية ورد اسمها في النقوش المسندية في صورة ربين ـ ربان، ولا تزال

---

(1) وفي القرآن ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ رسمت (نعمت) بالتاء المفتوحة، ومثل ﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ في القرآن، ومثل رحمت في رحمة في النقوش التي تركها اليمنيون بخط المسند.

بقاياها موجودة في اليمن. وكنا رأينا في نقش سابق، أن سكان وادي يشبم العظيم كانوا حلفاء لخولان. ـ انظر ما كتبناه عن يشبم في الصفحات السابقة ـ وبرأينا، فمثل هذا الأمر يمكن أن يوضح وبصورة لا لبس فيها، حقيقة أن اسم السبط الإسرائيلي رءوبين، هو النطق القديم لاسم ربعيين ـ ريبين[1]، تمامًا مثلما هو الحال مع اسم السبط الآخر جد/د (جد) الذي حملته شعوب خولان، أو اسم السبط أشير، وهو أشعر(شير في العبرية تعني شعر) وهم الأشعريون من أقوى قبائل اليمن، وكانوا يقيمون مع قبيلة عك وكنانة في الساحل الطويل للبحر الأحمر[2]. وهذا ما يؤكده الهمداني الذي كتب في مؤلفه ما يلي:(فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة ـ التي نزلوا بها وتوالدوا

(1) في وصف الهمداني ـ لمحافظة ـ أبين نقرأ التالي عن الربعيين ومساكنهم (أبين أولها شوكان قرية كبيرة لها أودية وهي للأصبحيين، والمدينة الكبيرة خنفر وهي أيضًا للأصبحيين وقوم من بني مجيد يدعون الحرمبين وقوم من مذحج يدعون الزفريين، المضري قرية يسكنها الأصبحيون، الرواع يسكنها بنو مجيد، الملحة يسكنها بنو مجيد، والمصنعة يسكنها الأصبحيون، الجشير يسكنها الأصبحيون أيضًا، الطرية يسكنها العامريون من ولد الأشرس، البادرة يسكنها قوم يقال لهم الربعيون من كهلان، الجثوة يسكنها الربعيون أيضًا). ويلاحظ في هذا النص أن اسم خنفر ـ الأسرة الفلسطينية ـ له صلة باسم المكان اليمني خنفر.

(2) يبدو أن الربعيين افترقوا، فأقامت بطون منهم في أبين، بينما ظلت أخرى بين صعدة ومأرب، وذلك مع تفرق بطون قبيلة قضاعة. كما يجب التمييز هنا بين خولان المخلاف وخولان العالية (القبيلة). النص التالي من ياقوت الحموي يوضح هذا الأمر بدقة، **معجم البلدان** ـ الحموي ـ ج 5 ـ الصفحة 69: مخلاف ذي جرة وخولان: أما مشرف صنعاء الذي يقع بينها وبين مأرب فإنه مخلاف خولان بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد، وهم خولان العالية التي ذكرها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وفرق بينها وبين خولان قضاعة فقال: اللهم صل على السكاسك والسكون وعلى الأملوك أملوك ردمان وعلى خولان خولان العالية، ويتصل بمخلاف خولان مخلاف إخوتهم ذي جرة بن ركلان ابن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن جنوبيه إلى ما يحاذي بلد عبس، والحذاء من مراد ومخلاف ذي جرة وخولان يسمى خزانة اليمن وذمار ورعين والسحول مصر اليمن لأن الذرة والشعير والبر تبقى في هذه المواضع المدة الكثيرة، قال: ورأيت بجبل مسور برًّا أتى عليه ثلاثون سنة لم يتغير وهو مخلاف واسع وبه أودية وقرى كثيرة.

فيها ـ على خمسة أقسام عند العرب وفي أشعارها: تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن، وذلك أن جبل السراة وهو أعظم جبال العرب وأذكرها ـ أي أشهرها ذكرًا ـ أقبل من قعرة اليمن، حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمته العرب حجازًا لأنه حجز بين الغور وهو هابط، وبين نجد وهو ظاهر، فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيّه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وعكّ وحكم وكنانة وغيرها ودونها إلى ذات عرق والجحفة وما صاقبها وغار من أرضها ـ الغور غور تهامة وتهامة تجمع ذلك كله.). وما يثير اهتمامنا بصدد هذه النقطة، أن التوراة وفي نصوص عدّة، تتحدث ـ حرفيًّا ـ عن القبائل ذاتها: الأشيريين (الأشعريين) وعك (عك) وبني كنعن (بني كنانة) كقبائل كانت تقيم في أراضٍ ساحلية متجاورة. ولذلك، فلابد من التساؤل عن المكان الحقيقي للمواضع التي يسمّيها يشوع (حجور،وبوهن ـ ورءوبين) باعتبارها الحد الفاصل بين أراضي هذا السبط، وأراضي الأسباط الأخرى.

يقول يشوع ما يلي: (وتصعد الى مقابل حجور وبوهن، و ـ بني ـ رؤبين) بصدد هذا المقطع من النص، يزعم المترجمون والمحققون، وواضعو (قاموس الكتاب المقدس) كذلك، أن هذا الموضع في فلسطين! يقول القاموس: حجر ـ بوهن ـ رءوبين اسم عبري معناه (ابهام) وهو رجل رأوبيني (يش 15: 6 و 18: 17). حَجَر بوهَن: كان عبارة عن علامة الحدود بين يهوذا وبنيامين، ولم يكن يبعد كثيرًا عن الأردن (يش 15: 6 و 18: 17). لنلاحظ أن واضعي القاموس الديني لم ينتبهوا إلى أن النص العبري يخلو من الفواصل، وأن ما يتحدث عنه هو ثلاثة مواضع لا موضعًا واحدًا؟ فماذا يفهم من هذا الكلام؟[1]

(1) واسم بوهن، يطلق على منطقه أثرية في النوبة جنوب مصر، وبوجه أخص على البر الغربي للنيل، ناحية وادي حلفا. ويقال إن فيه بقايا معبد لملكي مصر حتشبسوت وتحوتمس الثالث، كما توجد فيه بقايا معبد من الدولة الحديثة. فهل يجوز الزعم، أن رءوبين أقام في منازل امتدت حتى مصر؟ في الواقع، يعود الأصل التاريخي للاسم إلى شجرة من أغرب أشجار اليمن في جزيرة سقطرى ـ ولا يوجد ما يماثلها ـ تدعى شجرة (بوهن) واسمها =

كل ما يهتمّ به مثل هذا التحديد غير الحصيف (غير العلمي) للمواضع والأماكن الواردة في التوراة، والإلحاح بطريقة تعسفية وعشوائية على وجودها في فلسطين، هو البرهنة على وجود إمكانية للمطابقة بين جغرافية التوراة وشرق الأردن، وذلك من خلال الزعم أن حجر ـ بوهن مكان حقيقي يفصل أراضي يهوذا عن بن ـ يامين شرق الأردن البلد العربي؟ وهذا أمر خيالي إلى النهاية، لأن النص يتحدث صراحة عن سراة نجب ووادي حجلة ووادي مذاب وهنوم وكتاف وبيت بوس. وهذه كلها أماكن موجودة حتى اليوم في صعدة ومحيط صنعاء وذمار وبالتجاور ذاته. يقول يشوع حرفيًا ـ النص مختصرًا ـ : (15: 7: 28):

وتصعد إلى بيت حجلة وتمر من شمال بيت العربه، وتصعد إلى حجور، وبوهن، وبني رءوبين (..) وهنوم إلى كتاف إلى يبوس من جنب، وتكون أورشليم.

والآن لنقارن النص أعلاه بنص الهمداني التالي:

(صفة 127 ـ 130) ثم يتصل بهذه السراة سراة عذر وهنوم (...)ثم يتصل بها سراة خولان(..) وعد بوه (ن) ثم يتلوها سراة جنب.

= العلمي STERCULIACEAE: Sterculia africana وهي شجرة ضخمة معمّرة ذات جذع عريض أملس وفروع متشعبة تمتد عاليًا في السماء، كما تتفرع عنها أغصان بورق أخضر لين، وجذعها يميل إلى الزرقة. ومن بين مزايا هذه الشجرة أن لها طلعًا طيب المذاق، وأوراقها غالبًا ما تستخدم كغذاء للإبل والبقر. ويستخرج من جوفها سائل مذاقه حلو شبيه بالعسل. وعلى الأرجح جاء اسم بوهن هذا (بوه بمعنى المياه الغزيرة ـ بإضافة النون الكلاعية بوهن) من أساس لغوي متين في المنطقة، وبالطبع لا يوجد مثل هذا الأساس إلّا في أركيولوجيا لغوية لها خصائصها ومميزاتها.إن المكان الوحيد والأكثر قربًا لسقطرى، هو سراة خولان التي تعرف اسم موضع يدعى عد ـ بوه. فهل يفسر لنا ذلك المعنى الحقيقي لقول يشوع إن منازل القبيلة الإسرائيلية تقع عند تخوم منطقة حجور؟ وبكل تأكيد ليس ثمة في جغرافية نهر الأردن، مكان يحمل مثل هذا الاسم، بينما تعرفه جغرافية مملكة ـ مخلاف خولان في صيغة حجور، وعد بوه (بوهن).

والسؤال الذي يتوجب طرحه لمناقشة نصّ يشوع هو التالي: أين نجد في شمال وادي عربة الأردني، كل هذه الأسماء؟ وهل يمكننا أن نصل من شمال هذا الوادي عبر حجور وهنوم وبيت بوس إلى أورشليم؟ بالطبع لا يوجد في الأردن البلد طريق يؤدي إلى (أورشليم) عبر بيت بوس وجبل هنوم ووادي حجور وسراة جنب؟ لكن هاكم أولًا سراة جنب في جغرافية اليمن، وهي تتصل بسراة هنوم (عذر وهنوم) بالفعل، ومعها مياه بوه (ن). والمكان هو إلى الغرب من وادي يرد ـ ن (أي وادي مور) وأقامت عنده ذات يوم قبيلة يرد/ن/ بن مهلئيل. وهذا ما يؤيد فهمنا لمعنى الكلمة العبرية المُلتبسة جبول **גבול** والتي نرى أنها تعني حجور، مرتفعات، أو(قابل) كما في لغة الهمداني الجغرافية، ولا تعني (حدود، أو تخوم) حسب الترجمة السائدة. وسراة جنب هذه، هي منقطع سراة خولان، أي نهايته كمرتفعات. وتدعى اليوم سراة عبيدة ـ عبيده في التوراة. وفي النصوص الخاصة بالسبي، يرد اسم هذه الجماعة مع اسم سلمة ـ شلمة في صورة عبيد ـ شلمة. وقد توهم المحققون أنها تعني عبيد ـ الملك سليمان ـ . وحجور هذه هي حجور ـ تمامًا كما في الرسم العبري ـ. إليكم هذا الوصف المدهش:

عُرفت محافظة حجة ـ حجة في التوراة ومنها جاء اسم السفر حجة ـ قديمًا باسم (حجور) وتتوزع تضاريسها بين سلاسل من المرتفعات الجبلية، مثل سلسلة جبال الشرفين، وجبال حجور وسلسلة جبال كحلان وسلسلة جبال وشحة وكشر وغيرها، وبين سهول ساحلية واسعة في بني قيس ـ ونحن نعلم من التوراة أن مؤسس الملكية في إسرائيل يدعى شاول بن قيس ـ وهذه الجبال تطلّ على ما يدعى الطور، حيث مسيل وادي لاعة ومنطقة عبس ـ عبس في السجلات المصرية، وهي منطقة سهلية خصبة تمتد إلى البحر بمسافة (50 كم) وإلى الشرق منها توجد سلسلة من الهضاب تتصل بهضاب حجور، ثم تتصل بميدي ـ ميدي في التوراة (وهذه فهمت أن المقصود بها ميديا الفارسية).

وإليكم وصف عربة من الشمال (لاحظ نص يشوع: شمال عربة):

إن القسم الثاني من أودية محافظة مهرة يصبّ شمالًا إلى صحراء الربع الخالي. وهناك عدد كبير من الوديان، هي ـ من الغرب إلى الشرق ـ وادي المناهيل ووادي أرمة، وهما الواديان اللذان تتجمع مياههما من سلسلة جبل بن كشيت الشمالي، فوادي ضحية ووادي تهوف. وهذان الواديان تتجمع مياههما في مياه جبل بن كشيت الشمالي، ثم واديا مراخية وعربة، وهما اللذان تتجمع إليهما مياه جبل بن كشيت فيصبان في الربع الخالي في طوق شحر.

إن العودة إلى خريطة اليمن، والتأمل في الوديان والجبال في المحافظات المتصلة بعضها ببعض، كفيل بتوضيح هذا الوصف بدقة. ولنلاحظ أن النص يشير إلى كتاف، وهذا هو أهم وأشهر وديان صعدة وقد ورد في التوراة بالصيغة ذاتها: كتاف. لكن المقصود من النص برأينا جبل كتاف في صنعاء على الطريق إلى بيت بوس، أو ما يعرف بـ(بلاد حاشد) فأما أول بلد حاشد، فأولها لاعة وهي داخلة نحو الجنوب في غربي صنعاء، فجبلا لاعة، الجنوبي فهما بينها وبين سردد،وهو جبل معروف اليوم بالاسم نفسه جبل أكتاف. وهو غير وادي كتاف في صعدة. أما هنوم فهو سلسلة جبلية تقع في شهارة بمنطقة عمران قرب صنعاء. وتعتبر مدينة شهارة من ناحية التركيب الطبيعي سلسلة جبلية تعرف تاريخيًّا بسلسلة جبال الأهنوم ـ الهنوم، نسبة إلى قبائل الأهنوم التي تسكنها، وتضمّ هذه السلسلة ما يلي: جبل ذري ـ ءذرا في التوراة وجبل المدان ـ مدان في التوراة، وجبال القفلة ـ مقفيلة في التوراة، وعيشان ـ عيشان في التوراة، ثم جبال ظليمة ـ ظلمة في التوراة، وبني سوط ـ سوط في التوراة، ثم جنوبًا وغربًا وادي مور النازل من أخرف والبطنة ـ بطونيم في التوراة، وشرقًا سهل العصيمات ـ عصم في التوراة وعذر ـ عذر في التوراة

ويمكن لكل قارئ أن يتتبّع بنفسه هذه الأماكن الواردة في نص يشوع باستخدام خريطة اليمن ـ انظر الصفحات التالية ـ وأن يشاهد صعدة وعمران وحجة كمحافظات متلاصقة.أما بيت بوس فهي حصن منيع يقع في أقصى جنوب غرب مدينة صنعاء ـ انظر الخريطة ـ وتنتصب فوق مرتفع صخري جميل، حيث شُيدت البيوت على قمته من أحجار الجبل على هيئة تاج

صخري مهيب يعيد تذكير زواره بقدمه. وفي خولان، إحدى مديريات صنعاء، توجد عراعر/ان/. وتقول المصادر التاريخية إن حملة أوليوس غالوس (125م) على جنوب جزيرة العرب وصلت أقصى الجنوب مرورًا بنجران وخولان، وإنها أخفقت بسبب مقاومة القبائل اليمنية. لكن أحد زعماء نجران - قبيلة بني الحارث بن كعب - رحب بالغزاة، ربما لاعتبارات دينية، فقد كانت القبيلة مسيحية، وسعى لمساعدتهم على الوصول إلى أرض خولان، حيث وصلوا إلى (عرارين). لكنهم لم يتمكنوا من بلوغها إلَّا بشق الأنفس (نحو 150 ميلًا غرب نجران) والراجح أن الحملة بلغت مخلاف خولان ووادي مذاب، ثم وادي دماج شرق المنطقة ناحية صعدة. هذا الطريق من وادي حجلة في الضالع إلى وادي كتاف في صعدة أقصى جنوب غرب مدينة صنعاء، لا يزال سالكًا حتى اليوم. وإذا ما سرنا بين الوديان والجبال المذكورة في وصف يشوع، فسوف نشاهد الجبال والوديان والمياه نفسها، كما سنصل بسهولة إلى حصن بيت بَوس الذي ينتصب بشموخ فوق الجبل. وما يدهشنا في وصف يشوع أنه يستعمل عبارة (حصن) في توصيف بيت بوس! ولا يوجد مكان آخر في العالم، يمكن أن يتطابق فيه الوصف والجغرافيا، سوى هذا الجزء من العالم، حيث بيت بوس على مقربة من صنعاء، حصن منيع فوق قمة جبل. وهذا هو الطريق الذي سلكه داود في طريقه إلى أورشليم اليمنية. وكنا رأينا أن بعض منازل سبط رءوبين حسب نص التوراة، تقع قرب وادي هنوم - محافظة عمران المجاورة لصنعاء - . لقد فتش التوراتيون دون جدوى في طول فلسطين وعرضها عن أي أثر لاسم، أو بقايا لغوية أو جغرافية يمكن أن يفهم منها أنها تعني (هنوم) أو بيت بوس. بينما نجد جبال هنوم شامخة في هذا الفضاء الجغرافي. كما يشمخ الحصن الجميل بيت بوس.

تقع سلسلة جبال هنوم (سراة عذر وهنوم) من الناحية الإدارية ضمن مدينة شهارة على بعد 140 كيلو متر إلى الشمال الغربي من العاصمة صنعاء و90 كيلو متر إلى الشمال من مدينة عمران عاصمة المحافظة. ويمكن الوصول إلى المدينة عبر طريق يمر بمدينة حوث - حوث في التوراة. فضلًا

عن وجود مجموعة من الجبال الأخرى، مثل جبل شهارة الذي يبلغ ارتفاعه حوالي /3000/ متر عن مستوى سطح البحر، وكذلك جبل سيران الغربي والشرقي. ولقد لاحظت دراسة أجريت قبل سنوات قليلة، للأشكال الجيومورفولوجية في سلسلة هنوم، قام بها طالب دراسات عليا في جامعة صنعاء[1]، بهدف التعرّف إلى العوامل التي أثرت على شكل السطح والتكوين الصخري للمنطقة، ودراسة طبيعة الانهيارات الصخرية والتساقط الصخري،أن هذه السراة لا تزال تتمتع بالأهمية التاريخية نفسها التي اكتسبتها قديمًا. ومرتفعات الأهنوم تقع شمال غرب صنعاء بين دائرتي عرض (00 16 ـ 18 16 درجة) شمالًا، وبين خطي طول(36 43 ـ 47 43 درجة) شرقًا، وتعد جزءًا من المرتفعات الشمالية الغربية لليمن. لكن ماذا عن عروعير التوراتية الواردة في قائمة يشوع؟ لقد رسم مترجمو النص العبري الاسم في صورة عروعير؛ بينما يرسمها الهمداني في صورة عرعر. والصحيح عراعر كما تنطق اليوم. وهي مسيل مياه غزيرة تقع ضمن الحدود الإدارية لمحافظة الضالع ـ مديرية الشعيب ـ (ما يعرف بعزلة الشعيب) وتدعى بلد عراعر. وإذا ما سار المرء في هذه السراة فسوف يدخل سراة جنب فبلد العراعر ـ عروعر (انظر القائمة). وأخيرًا يستطيع المسافر عبر هذه السراة، أن يمر في منقل سفرن ـ سفر الذي أقام فيه سبط كلب (لاحظ النون القديمة التي دخلت على الاسم سفر). ولسوف تكشف مراجعة دقيقة لنص الهمداني عن تطابق مذهل وتام مع نص يشوع؛ فهو يعطينا الأسماء ذاتها، مثلًا وادي العرب ويبوس (وهذه هي أورشليم القديمة التي دخلها داود). أما الربوع في قائمة يشوع، فهي وادي الربوع ـ كما يسمى اليوم ـ ويقع إداريًّا ضمن مديرية بني مطر إحدى مديريات محافظة صنعاء، وقديمًا كانت هذه الناحية تندرج في مخاليف (حراز، هوزن، حضور). وهوزن وحراز مختلطة من جهة الغرب بأرض لعسان من عك، وفيها وادي حمض في سراة الكلاع. كما يسمى وادي ماذخ (وادي الربوع) أيضًا، وهو وادٍ يشتهر بزراعة البن

(1) محمد ناصر قاسم البكري، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء 2005.

اليمني. هذا هو وادي ربع ـ ربوع حسب ضبطنا في المكان نفسه الذي وصفه يشوع لمنازل رءوبين ـ ربعيين. ومن المحتمل أنهم إما تركوا اسمهم في الوادي، أو أخذوه من اسم الوادي (ربوع ـ رب/ءُ/ي/ن/ ربوءين). ولما كنا رأينا من نص التوراة أن منازل السبط قرب وادي الحجلة ـ انظر النص الآنف عن حجر بوهن ـ فهذا يعني أن بقية المنازل ستكون هناك.

يقول الهمداني[1] في وصف أودية مخلاف ردمان الى الشرق من مدينة ذمار، ما يلي:

البُضع أودية منها حوران ورُواف وقاينة (..) وسبعة أودية كبار منها الحِجلة. رجع ـ رجعنا ـ إلى صفات الميمنة: طريق السرو بنو أرض وهم من عُلة، وذو الذويب وادٍ كبير ليافع (..) يشبم وادٍ عظيم للإيزون من حمير وحجر بن وهب.

ها هنا منطقة حجر بن وهب ـ وهو مكان آخر غير حجور، ولكنه يحمل كل عناصره الفونيطيقية والدلالية. وها هنا الوادي العظيم الذي ذكره يشوع باسم يشبمه ـ يشبم، وهو يقع بالضبط قرب وادي حجلة. وها هنا وادي رواف ـ روفئيم في التوراة. تقع مدينة يشبم التاريخية في الجهة اليمنى للوادي الذي تسمت باسمه في مدينة الصعيد بمحافظة شبوة. وقد ورد ذكرها في النقوش القديمة، وتمتاز بمبانيها الطينية ذات الخمسة والستة طوابق. وتعتبر يشبم من أهم مديريات محافظة شبوة، وعاصمتها مدينة الصعيد الواقعة في أعلى الوادي، وتبعد حوالي 45كم من مدينة عتق جنوبًا، وهي مدينة جميلة بمبانيها المشيّدة من الطين. والمدينة الحديثة محاطة بعرائش العنب المنتشرة على ضفتي الوادي، حيث القرى والبيوت والقصور والمواقع الأثرية. ولا تزال هناك قبائل قديمة وعريقة تسكن هذه المنطقة ويسمون بالعوالق. وها هنا (وادي حورن) الوارد ذكره في القائمة في صورة حور. يقع وادي حور التوراتي ـ حورن، مثلما رأينا في نص يشوع على مقربة من

---

(1) صفة: 186 ـ 188.

وادي حجلة. وبمراجعة بسيطة للنص التوراتي سنجد أن هذا الوصف يتوافق تمامًا مع توصيف الهمداني للمكان نفسه، ولجغرافية الأرض التي أقام فيها السبط الإسرائيلي. فضلًا عن عُلة وبنو أرَض ـ بنو ءرص في التوراة ووادي رُواف ـ رفئيم.

والآن دعونا نعود قليلًا إلى حشبون لمزيد من التفاصيل الضرورية.

يعطي النص العبري (يشوع: 13: 17: 14: 4) الجملة التالية:

(وحشبون ـ وكل ـ عريه ـ ء شر ـ ب ـ ميشر ـ ديبن ـ وب ـ موة ـ بعل)

وفي النص العربي من التوراة ترجمت على النحو التالي:

(وحشبون وكل منازلها التي في ميسر وديبن وفي موة بعل)

لقد ترجمت هذه الجملة البسيطة بطريقة شاذة وغرائبية، جعلت من فهم النص برمته مستحيلًا؛ إذ رُسِمَ الاسم (موة) في صورة (بموت) بعد دمج حرف الجر مع الاسم. ولذلك ظل فهم الجملة عصيًّا على كل مُقاربة ممكنة، وأثار حيرة وارتباك الباحثين عن أرض الميعاد في فلسطين؛ إذ ماذا تعني كلمة (بموت) هنا؟ في الواقع ليس ثمة مكان يدعى باموت أو(بموت بعل) بل هناك جملة تقول(ب ـ موت ـ بعل) وترجمتها الصحيحة (في ـ وادي ـ موث بعل) لأن العبرية تفتقد لحرف الثاء المثلثة. وهذا موضع واحد (وبعل صفته أي الغزير) ويدعى موث. ونحن نجده اليوم باسمه التوراتي (وادي موث) في عزلة حجاج التابعة لمديرية جبن التابعة إداريًّا لمحافظة الضالع. ولشدّة غزارة مياهه، فقد جرى مؤخرًا إنشاء سد للسيطرة عليها. وللمرء أن يتخيّل مغزى الوصف فهو بعل لشدّة غزارة مياهه المستمرة كل هذه القرون. وفي هذا الوادي توجد قرية قديمة تحمل الاسم نفسه وتبلغ مساحتها 1250 كم^2 ـ وعدد سكانها يزيد عن ستين ألف نسمة ـ ولذلك فهي تشكل ثلث المحافظة وتتوزع على ست عزل رئيسة، يحدها من الشمال رداع، ومن الجنوب الشعيب ويافع، ومن الشرق البيضاء، ومن الغرب دمت ـ دمت في التوراة. وبرأينا إن اسم الإله بعل يشير إلى المياه الغزيرة بعامّة.

وقد ورد في النقوش كاسم إله يخصّ خولان القبيلة، ففي نقوش المسند، وارتباطًا برواية طقوس عبادة الإله القومي اليمني الكبير(المقه) في أراضي مأرب، والجوف، وصنعاء وعمران وضواحيها، هناك ما يؤكد أنه إله المياه عند سائر الجماعات القديمة. وفي هذه الحالة تصبح جملة (ب ـ موث ـ بعل) بمعنى (وفي موث بمياهها الغزيرة).

وفي نقوش (أ و ع ل / ص ر و ح) معبد صرواح خولان CIH.398 CIH.397 CIH.579 Fa.9 RES.3649 RES.4191 Robin Sirwah. 7.

سوف نجد إشارات هامّة إلى بعل في الصورة التالية: (أ ل م ق هـ / ب ع ل / أ و ع ل / ص ر و ح). وبقايا هذا المعبد لا تزال شاخصة للناظر في المكان نفسه الذي وصفه يشوع. كما ورد الاسم في نقوش أخرى عثرت عليها البعثة الأميركية، المتخصصة بموقع معبد أوام في مأرب ـ ما يطلق عليه حاليًا اسم محرم بلقيس، حيث أجرت تنقيباتها فيه بشكل منتظم ـ Ja.560 جام Ja.735 جام Ja.565 Ir.9 ets وكذلك Ja.534 ; CIH.400 جام، نجد الصيغة ذاتها (أ ل م ق هـ / ب ع ل / أ و م). أي إن الاسم بعل يرتبط باسم المكان المقدس(المحرم). وإلى هذا كله، يمكننا إمعان النظر في نقش معبد (ب ر أ ن) في مأرب، إذ يسجل الاسم بعل في صورة (أ ل م ق هـ / ب ع ل / ب ر أ ن) أي الإله بعل ـ المقه البارئ، الشافي. أما في معبدي (ي ث / و م س ك ت) وهما يقعان في مأرب وبالقرب من معبد برأن، فقد ورد ذكر بعل في النقشين CIH.314; CIH.954 في صيغة: (أ ل م ق هـ / ب ع ل / م س ك ت / و ي ث و / ب ر أ ن). كما عثر علماء الآثار على نقش في معبد (ج ب ل م) بوادي أذنة ـ ءزنت في التوراة (أذنت) ارتباطًا باسم قبيلة (م ي د ع م / وع ل ت / أ ذ ن ت) Ja.560; Gl.1732 يظهر فيه اسم بعل، وكذلك في نقش متآخر من معبد (س ب ع م) في صرواح خولان CIH.405 / 4,5,6 في صورة (أ ل م ق هـ / ب ع ل / س ب ع م) وإلى جانبها عبارة: (ح و ر / هـ ج ر ن / ص ر و ح) التي تؤكد أن المعبد يقع في حور ـ قارن مع حور عند يشوع ـ وهذه ليست مصادفة لغوية بكل تأكيد. وثمة صيغة أخرى مثيرة للاسم بعل تظهر في نقوش المسند الدينية، هي صيغة

(بعل حرونم) من معبد (ح ر و ن م) في صرواح خولان، *Ir.31*. ونصها هو التالي: (أ ل م ق هـ / ث هـ و ن / ب ع ل / ح ر و ن م). إن كل هذه الصيغ التي يظهر فيها الإله بعل، تؤكد أنه كان يشترك مع الإله المقه اشتراكًا فعليًا. ولما كنا نرى أن الإله المقه هو نفسه الإله المخا ـ مكا في التوراة، وإن اسم مكة جاء من المخا ـ المكا، أي إله العقل(ومنه ميخائيل) فإن لمن اللافت حقًا، أن إله المياه يشترك مع إله العقل في طقوس موحّدة. وهو ما يعيد تذكيرنا بعبادة هبل ـ ها ـ بعل في الكعبة، فهو إله العقل والمياه (القداح السبعة في جوف مكة عند هبل تختص بالعقل والمياه إلخ)[1] وهذا ما يؤكده وجود نقشين آخرين[2]، وردت فيهما صيغة (أ ل م ق هـ / و ث و ر / بـ ع ل م / بـ ع ل ي / أ و م / و ح ر و ن م. ذلك هو بعل الإله، وتلك هي قرية موث، حيث منازل الحواشب ـ الحشبونيين في خولان. إذا ما عدنا إلى قائمة أسماء منازل السبط الإسرائيلي رءوبين، فسوف نلاحظ أنه يورد اسم جبل ديبون ـ ديبن[3]، بوصفه مكان إقامة للسبط. هاكم أولًا تحديد الهمداني الدقيق للعلاقة بين المواضع الواردة في القائمة (217 ـ 218):

> أما بلد همدان؛ فإنه آخذ لما بين الغائط وتهامة بين نجد والسراة(..) وجبل ذَيْبان إلى يام (..) وقد تشترك في شرقي وادي محصم وأسفله لصُبارة مع جبل ذَيْبان فمِذاب.

في هذا الوصف المقتضب ـ الذي كان في الأصل مسهبًا وقمنا باختصاره لتسهيل الأمر على القارئ ـ يتضح أن جبل ديبون يتصل مع وادي مِذاب ـ مدبء، تمامًا كما عند يشوع. وهذا أمر يجب أن يلفت انتباهنا، فهل من المنطقي إهمال هذا التوافق المذهل: أن جبل ديبن يتصل بوادي ميدبء، عند

---

(1) القداح هي عيدان يضرب بها الكاهن وفيها عبارات (العقل، ملصق ـ أي لا ينتسب للقبيلة ـ الشفاء من المرض، المياه، إلخ).

(2) RES.3950 Ja.563 ; Ir.9 - : (أ ل م ق هـ / ب ع ل / م ع ر ب م).

(3) هذا الجبل الشامخ يقع على مقربة من حرم ـ حرمة في التوراة، وفج المولدة ـ فج المولدة في التوراة، وهما معًا من منازل سبط يهوده ـ هود في المرويات التاريخية العربية.

يشوع، بينما يتصل جبل ذيبان مع وادي مذاب عند الهمداني وفي جغرافية اليمن المعاصر؟ هنا مُقاربة أخرى بين النصين القديمين:

مقاربة

الهمداني: 217 ـ 218	يشوع: 13: 18: 23
صُبرة مع جبل ذيبان ومذاب	جبل صبر (...) كل النجد عند مدبء والمنازل التي في نجد ديبون.

يقع جبل ذيبان ـ ديبن شمال صنعاء في بلاد أرحب (همدان). وهي وطن وقبيلة، تعدّ من أكبر القبائل البكيلية ـ من بكيل ـ وأشهرها ـ وشقيقتها التاريخية قبيلة حاشد ـ حشد في التوراة. وفي بلاد أرحب هذه تقع مدينة تاريخية ورد ذكرها في التوراة بالصيغة ذاتها كانط. وفي رأس جبل ذيبان من بلاد أرحب تنتشر معابد الإله تالب ريام، إله القمر، مثل معبد حدثم (في منطقة كانط)[1]. وكانطُ منطقة مشهورة غنية بالآثار القديمة تتبع من الناحية الإدارية مديرية خارف ـ حارف في التوراة من بلاد الصيد ـ صيدون في التوراة في خميس القايفي ـ محافظة عمران ـ وتبعد (60) كيلو متر تقريبًا شمال شرق صنعاء، ويبلغ ارتفاعها عن مستوى سطح البحر نحو (2320) متر تقريبًا. وإذا ما قمنا بُمطابقة الأسماء، وكذلك التوصيفات والتحديدات الجغرافية الواردة في نصي يشوع والهمداني؛ فإن فكرة عبور الأسباط الإسرائيلية نهر الأردن ـ البلد العربي، ووجود منازل الى الغرب منه أقامت فيها في عصر موسى، ستبدو إلى النهاية، فكرة غير منطقية وتلفيقًا استشراقيًّا نموذجيًّا، لأن من

(1) عرفت منطقة كانط السكن والاستيطان منذ آلاف السنين وأقيمت فيها المعابد واعتبرت المدينة منطقة مقدسة لكثرة معابدها التي كانت مبنية داخل أسوار المدينة، ومما يدّلل على ذلك كثرة النقوش التي تسجل طقوس عبادة الآلهة (الثالوث الكوكبي المقدس القمر والشمس والزهرة). ومن بين تلك المعابد التي أقيمت في مدينة كانط معبد حدثم المكرس للإله تالب ريام.

المستحيل العثور على موضع واحد مما ورد في نص يشوع. أما جبل صبرة ـ صبر (حيث توجد عزلة يمين الحصينة) فيقع في محافظة تعز، ويعدّ ثاني أعلى الجبال 3070م بعد جبل النبي شعيب ـ في صنعاء ـ ويمتاز بجمال المدرجات الزراعية والعيون والينابيع. ويبعد عن العاصمة نحو(256) كيلو مترًا. في هذا الإطار وحده، يمكن النظر بجدية أكبر الى مغزى تلفيق مأدبا الأردنية والزج بها في نصوص التوراة. لقد جرى الزج باسم المدينة الأردنية الرائعة ـ وغالبية سكانها من المسيحيين اليوم ـ فقط من أجل إتمام المطابقة بين فلسطين وأرض التوراة، مع أن مأدبا اسم لا صلة له باسم وادي ميدبء ـ مدبء. إن الرسم الشائع في الطبعات العربية من التوراة، نتاج مُطابقة أخرى زائفة بين الاسم في رسمه العبري مدبء، واسم الوادي اليمني مِذاب؛ إذ تخيّلت القراءة الأوروبية أن مدينة مأدبا إلى الغرب من نهر الأردن، هي ذاتها مدبء التوراة. والغريب أن هذه المطابقة لم تلاحظ، أن مأدبا الأردنية جنوب الأردن وليست إلى الغرب منه. وهذا أمر عجيب يكشف نوع التلاعب في الجغرافيا، فهم يطابقون موضعًا غرب اليردن مع موضع آخر جنوب الأردن لمجرد وجود تشابه شكلي في بناء الاسم، فلماذا حدث ذلك؟



ميدب التوراة ليست مأدبا الأردن

لمّا كنا رأينا كيف تخيّلت القراءة الأوروبية، أن بني إسرائيل عبروا نهر الأردن، فمن الطبيعي أن تكون مدبء في هذه الحالة هي مدينة مأدبا الأردنية على مقربة من البحر الميت في منطقة الغور حتى وإنْ كانت إلى الجنوب وليس إلى الغرب من النهر. لقد قلب التوراتيون خريطة الأردن رأسًا على عقب، ليطابقوا بشكل تعسفي بين مدبء ومأدبا، ذلك أن وادي مدبء هو إلى الغرب من وادي ها ـ يردن (ومما يزعم أنه البحر الميت في التوراة: يم ـ ها ـ ملح وهذه جملة تشير إلى جبلين أحدهما جبل يام والآخر جبل الملح؟) بينما تقع مأدبا الأردنية جنوب نهر الأردن. وليس ثمة أثر، مهما كان تافهًا، يمكن أن يشير إلى بقية المواضع الواردة في وصف يشوع؛ فليس هناك ـ مثلًا ـ حشبونيون أو جبل يدعى ديبون، كما لا وجود لوادي حجلة أو يهص أو يشبم ـ شبمه. وفي سياق هذا التلفيق جرى وضع يشموت ـ الشّمات (الشماتين بإضافة الياء والنون) في الفضاء الجغرافي ذاته. فهل ارتكب كاتب النص العبري خطأ جغرافيًا آخر أثناء وصف المنازل التي أقام فيها السبط الإسرائيلي، أم أن ثمة خطأ في قراءة الأسماء من جانب محقّقي التوراة؟ لكن، بينما لا نستطيع البرهنة على وجود هذه المواضع في فلسطين؛ فإننا في المقابل نستطيع وبسهولة العثور عليها في الفضاء الجغرافي لنجد اليمن، عند خروجنا من همدان متجهين صوب شماتين. تعدّ مديرية الشّماتين من أكبر مديريات محافظة تعز، إذ يبلغ عدد سكانها 152486 نسمة ـ حسب إحصائية 2004 ـ وتبعد عن مركز المحافظة بنحو 45 كيلومتر وعاصمتها مدينة التربة، وتنتشر فيها مناطق أثرية وتاريخية مهمة مثل شرجب وذبحان والحضارم وأديم ـ أديم في التوراة. وتعتبر من أكبر مديريات اليمن.

لكن ما يميزها عن سائر المديريات الأخرى، طيب الهواء وثقافة السكان. وبالنسبة لنا؛ فإن أهمية يشموت ـ الشماتين (الياء أول الاسم أداة تعريف منقرضة) تكمن في الجانب المتعلق بصلته العضوية مع التاريخ اليمني القديم، فهي تضمّ العديد من المواقع الأثرية والحصون، مثل حصن جبل يمين. إن وجود اسم يمين، يدلّل على أن أبناء هذا الحصن والجبل عرفوا بأنهم بني ـ يمين (بنيامين). وهذا أمر يسهل التأكد منه بواسطة النقوش، فهناك وادي الحجرية (انظر في القائمة حجر ـ رءوبين). وجبل يمين محاط بسلسلة من الحصون والمواضع الجبلية. لقد عرفت الشماتين ومنطقة الحجرية قديمًا باسم المعافر، وهو مخلاف وقبيلة ورد اسمهما في النقوش في صورة (معفرن)[1] ويعود تاريخها إلى القرن السابع قبل الميلاد.

قال عَلقَمة بن عَبْدة ـ الفحل ـ (معجم: 1179):

وقلتُ لها يومًا بوادي مُبايضٍ أرى كلَّ عانٍ غيرَ عانيكِ يُعتَقُ

وذكرتها بعدما قد نسيتُها ديار علاها وابل مُتَبعِّق

بأكناف شماتٍ كأن رسومها قضيم صناعٍ في أديمٍ مُنَمّق

ها هنا يمين، وهاهنا يشموت ـ الشماتين. أما بصدد وادي الحجلة الوارد في القائمة، ضمن مجموعة أسماء (جبل ديبون، وادي أرنون، مذاب الخ) فسوف نتتبع أثره، فهو يدعى اليوم وادي الحجلية ويقع شرق مدينة الحديدة، ويصب في وادي سهام. كما تصبّ مياهه من جبال حراز ومناخه ـ مناح في التوراة شرقًا، وتتجه إلى جنوب غرب مدينة (مديرية) الحجيلة، لتصل في النهاية إلى وادي سهام. والمدينة التي أخذت اسم الوادي القديم تقع على الضفة الشمالية، وتبعد نحو 5 كم عن منطقة حراز. ومحافظة الحديدة من أجمل محافظات اليمن وهي عروس الساحل، وتقع في منتصف الساحل اليمني تقريبًا على الضفة الشرقية للبحر الأحمر. أما وادي ءوي (انظر النص والقائمة). وضبطه الصحيح حسب التهجئة العبرية: أوي، فهو وادي أون.

(1) نقش النصر RES.3945.

بزيادة النون الكلاعية (صنعا ـ صنعن). وهذا الوادي من الأودية القادمة من أوطان بلحارث في الجوف اليمني التي تصب في الخارد ما بين اليمن ونجد.واليوم يعرف الوادي والجبل باسم دخان، وهو جبل شاهق الارتفاع يفصل الحدود بين السعودية واليمن (من جهة صعدة). وفي الأعوام الأخيرة دارت معارك ضارية بين القوات الحكومية السعودية والحوثيين في جبل دخان، وتردد اسمه القديم أوان.

والآن إلى بقية المواضع، ولنأخذ قُدموت. هاكم وصف الهمداني لبلد قُدُم ـ قدموت ومياه معين (صفة: 134 ـ 135) في السراة اليمنية:

> ثم يتلوه وادي مَوْر وهو ميزاب تهامة الأعظم. ومساقي مَوْر تأخذُ غربي همدان فبلد صُحار فبلد بني حارثة، وحماد ويَرد ويمد حجور، فعيان، فنمل، وشرس، فبلد عذر وهنوم وما أخذَ من بلد قُدُم بن قادم (..) فيه أراب ثم حرض وهو وسط من الأودية (..) إلى معين[1].

إذا قمنا بتفكيك وحدات هذا النص الجغرافي الدقيق إلى وحدات أصغر فأصغر، قصدَ إعادة تركيبها من جديد، فسوف نحصل على النتائج التالية: إن ها ـ يردن (أي مور) أعظم وديان اليمن يشق الأراضي شرقًا وغربًا، وبعض روافده تتجه غرب همدان. كما نلاحظ أن وادي معين التوراة ـ معين اليوم ضمن محافظة مأرب في مديرية الرحبة ـ رحبة في التوراة، وفي هذه المديرية تسيل مياه وادي أذنة ـ أذنت (عزنت) في التوراة. وها هنا قدموت التوراتية وهي ـ قُدُم ـ البناء العربي للاسم ـ على مقربة من المنازل التي أقام فيها سبط يهوذه ـ (هود) مثل عذر وهنوم وشرس. وها هنا إلى الغرب وادي قبيلة يرد

---

(1) تعتبر معين من المدن العظيمة في اليمن القديم. ولا تزال بقايا معابدها شاهدًا حيًّا على ازدهار عبادات دينية كثيرة. ويستفاد من مجموعة نقوش تركها المعينيون أن نحوًا من 22 ملكًا، تحدروا من خمس أسر حكموا معين في منطقة الجوف. خاضت معين حروبًا طاحنة مع مملكة سبأ انتهى بعضها باستسلام معين. أول من كتب بخط المسند ـ على ما يرى علماء الآثار ـ هم المعينيون في القرن الثاني عشر ق. م.

ابن مهلئيل (يردن). وهناك في أسفل الجوف معين اليمن. يعني هذا أن يشوع والهمداني وشعراء الجاهلية، إنما كانوا يصفون لنا المكان نفسه الذي دونت التوراة اسمه في قصصها عن منازل القبائل. وليس ثمة مأدبا أردنية هنا، ولا وجود (للبحر الميت).

قال عمرو بن معد يكرب ـ كرب الزبيدي:

يُـنـادي بـراقـشَ أو مُـعـيـنٍ فـاسْـمـعَ واتـلأبَ بـنـا مـلـيـعُ

تقع محافظة مأرب إلى الشمال الشرقي من العاصمة صنعاء، وتبعد عنها بحدود (173) كيلو مترًا ومن أهم معالمها السياحية سد مأرب القديم ومعبد الشمس ـ (قرى شمس في التوراة) ومحرم بلقيس، وأهم مدنها صرواح وحريب ـ حريب في قصة موسى التوراتية وسفر الخروج، وأشهر وديانها معين وأذنة. ويجب التمييز هنا بين وادي معين، ومملكة معين في الجوف. ولتعميق هذا التمايز بين المملكة القديمة وعاصمتها (قرناو ـ قرن) والوادي، فسوف أورد بشكل موجز بعض المعطيات الهامة عنها، لتأكيد عظمة الأدوار التي لعبتها مخاليف ـ ممالك اليمن في الحياة التجارية والسياسية في العالم القديم.

وأهمية هذه المعطيات أنها تؤكد على الأسماء التاريخية للقبائل مثل خولان. لقد توفرت لدينا، بفضل الكشوفات الأثرية الكثير من المعلومات الثمينة عن مملكة معين، وسنكتفي بالإشارة إلى نقش واحد بخط المسند ورد فيه الاسم معن ـ معين. يقول نص النقش[1] ما يلي:

[بن أضبأ ضبأسم وأقنيسم وبعرسم سبأ وخولن، بمسبأ بين معن(م) ورجمة(م)]

[من أضبأ ضبأسم (وأخذ من الممتلكات ـ بن هنا بمعنى من ـ، أضبأ، أخذ كما يقول أهل الشام في عاميتهم ضب بمعنى اجمع الحاجيات) وأقنيسم

(1) csai.humnet.unipi.it SAI: Corpus of South Arabian Inscriptions بافقيه 81: ريرتوار رقم3022.

وبعرسم (والمقتنيات والأباعر ـ أقنى أي المقتنيات) سبأ وخولن بِمَسْبَأ (في سبية) سبأ وخولان في طريق بين معين ورجمة.

كما يتحدث النص عن الآلهة المعينية التي حمت قافلة الجمال أثناء عودتها إلى موطنها معين، بعد غزوة ناجحة ومباغتة قام بها مهاجمون من سبأ وخولان. ومملكة معين القديمة ظهرت قبل نحو 700 عام ق.م، ولكن علماء الآثار يزعمون دون وجه حقّ أنها ظهرت بين 700 ـ 50 ق.م. وهذا غير صحيح. ومعين ـ المملكة وليس الوادي ـ من بين أقدم الممالك اليمنية، وعرفت باسم عاصمتها قرناو (القرن ـ شرق صنعاء). ولا تزال أطلال معبد الإلهة عثتر (عشتار) فيها، تقف شاخصة على عظمة هذه المملكة التي اشتهرت بالتجارة مع مصر وبلاد الرافدين، وارتكز اقتصادها على الزراعةِ وتصديرِ اللّبانِ والتوابل. ثم اتسع نطاق سيطرتها على المنطقة حتى شملت الحجاز كله ويثرب والعلا وفدك وتيماء والحجر، كما هو مدوّن في النقوش المعينية، كما سيطرت على معظم طرقِ التجارة في جنوب الجزيرة العربية. وفي عام 2007م تم اكتشاف كتابات وآثار معينية في منطقة الجوف، يعود تاريخها إلى 3700 ق.م، وقد ورد اسم قبيلة ثمد/ثمود/ ثمادي سوية مع اسم معين، بما يحمل على الاعتقاد أن المعينيين ينتمون إلى ثمود. وهكذا، فكل ما تبقى من منازل سبط رءوبين وكما وردت في قائمة يشوع؛ موضع قرتئيم ـ القريتين ـ قريتئيم الذي ورد في نقش شمر يهرعش بالاسم نفسه.

وفي ما يأتي نص النقش (جام 649):

ب/ذ/ت/ ه/و/ف/ي/ه/ م/و/ ب/م/ل/أ/ه/و/ ب/ك/ل/ س/ب/
أ/ت/ س/ب/أ/و/ و/ش/و/ع/ن/ م/ر/أ/ه/م/و/ شمر/ي/ه/ر/ع/ش/
م/ل/ك/س/ب/أ/و/ذ/ر/ي/د/ن/ع/د/ى/ س/ه/رة/ ـ ن ـ ن/ ل/ي/ة/
و/خ/ي/و/ن/ و/ض/د/خ/ن/ و/ت/ن/ع/م /و/ن/ب/ع/ة/ و/ه/ر/
ج/ ب/ذ/ت/ س/ب/أ/ة ـ (ن ـ خ/م/س/ة/ أ/س/د/ ـ م ـ ب/ض/ع/
ـ م ـ و/أ/ح/د/أ/خ/ذ/ ـ م ـ م/ه/ر/ج/ة/ص/د/ق/ ـ م ـ و/ذ/ف/ر/
ع/ ـ م ـ ب/ق/د/م/ج/ي/ش/و/ح/م/د/م/ب/س/ب/أ/ة/و/ز/أ/و/

س/ب/أ/و/و/ش/و/ع/ن/م/ر/أ/ه/م/و/ ش/م/ر/ي/ه/ر/ع/ش/م/ل/
ك/س/ب/أ/و/ذ/ري/د/ن/ع/د/ى/س/ر/ ـ ن ـ /ذ/ض/م/د/ ـ م ـ و/
ح/م/د/ ـ م ـ س/ب/أ/و/ و/ش/و/ع/ن/م/ر/أ/ه/م/و/ ش/م/ر/ي/
ه/ر/ع/ش/ م/ل/ك/ س/ب/أ/ و/ذ/ر/ي/د/ن/ س/ر/ ـ ن/ ح/ر/ب/
ع/د/ى/ ق/ر/ي/ت/ن

ترجمة النقش:

بمددٍ منه ـ بعونه ـ سبوا وناصروا وليّ أمرهم شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان، فساروا نحو السهرة وخيوان وضدحان وتناغم ونبعة، فقتلوا في هذه الغزوة خمسة أسود قتلًا بالسيف، وأخذوا أسيرًا واحدًا وجندلوا صدق وذي فرع مقدم الجيش. وفي هذه الحملة غزوا وساروا ـ مع ـ ولي أمرهم شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان، وساروا نحو السر وذي ضمد، وغزوا وساروا ـ مع ـ ولي أمرهم شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان ـ من ـ السر ووادي حريب نحو القريتين.

واليوم، يمكننا أن نشاهد (القريتين ـ قريتنم) في محافظة حجة، مديرية كحلان عفار، حيث عزلة قيدان والقرية المسمّاة (القريتين).

في ختام هذا الجزء من الفصل، يتضح لنا أن سبط رءوبين أقام في أراضٍ تمتد من ضواحي صنعاء وذمار وحجة وتعز والضالع، وأنه أقام إلى جوار سبط شقيق هو سبط جد (خولان جد/ د/ ن). وأن بطون هذا السبط توزعت في أماكن ومواضع معلومة، تمتد بامتداد مخاليف اليمن القديم، وهذا سلوك استيطاني مألوف، إذ يمكن لنا أن نجد ـ حتى اللحظة ـ بطونًا من شمّر مثلًا في البادية السورية وفي تخوم النجف العراقية في الآن ذاته. وفي هذا الفضاء الجغرافي الواسع لا يمكن لنا أن نجد أي أثر لمأدبا مزعومة قيل إنها وردت في التوراة.

جرش اليمن وما حولها

ورد اسم جرش في التوراة في صيغة اسم النسبة (الجرشونيين). وهم من بني لاوي(لؤي) الكهنة. ويتضح من وصف المواضع وأسماء العشائر أن لا علاقة بين جرش اليمنية، وبين جرش الأردن. علمًا أن هناك جرش أخرى جنوب غرب المملكة العربية السعودية قرب صعدة[1]. لقد سجلت نصوص سفر العدد، اسم الجرشونيين في سياق رواية عن قيام موسى النبيّ بإحصاء العشائر والأسباط الإسرائيلية. وفي سفر العدد (النص العبري 3: 17) نقرأ ما يلي:

בני-גרשון למשפחתם לבני ושמעי ובני קהת למשפחת עמרם ויצהר חברון ועזיאל ובני מרר

بنو جرشون ولعشائرهم (بطونهم) لبنى وسُمعي وبني قهات ولعشائرهم (بطونهم) يصحر وعزءيل وبني مرار

إن الجماعة التي تُعرف بالجرشونيين، قد تكون أخذت اسمها من اسم مكان بعينه هو جرش - وهؤلاء يعرّفون أنفسهم بأنهم من بني لاوي(لؤي) وهم اللاويون كهنة بني إسرائيل - ولا يقولون عن أنفسهم إنهم ينتسبون إلى أب يدعى جرش؟ وهذا مهم للغاية في إطار التمييز بين الانتساب إلى المكان والانتساب لأب أعلى. كما يفهم من هذه النصوص أن الجرشيين يرتبطون بوشائج قرابة دموية - من دم - مع بطون لبنى - لبنه وسُمعي - سمعي في النقوش الآشورية، وهو اتحاد قبائل يمنية معروفة بأنها أنشأت معبد الإله المقه.

(1) جرش في المملكة العربية السعودية هي على الطريق إلى صعدة من الجنوب الغربي. وقد كشفت التنقيبات الأثرية التي أجريت مؤخرًا عن آثار هامة تؤكد مكانتها في التاريخية. وهناك موضع باسم الجرشة في مديرية ميفعة عنس في الجزء الشرقي من محافظة ذمار، وهو موقع أثري من العصر الحميري، لا يزال مسكونًا حتى الآن ويتميز بطابعه الريفي.

وهناك فضلًا عنهم يصحر وقهات وعزءيل (العزي) وبنو المرار (ملوك كندة). وبالطبع، فقد حصل هؤلاء على أماكن إقامة ومنازل خاصة بهم أسوةً ببقية البطون العشائرية. ولمّا كانت جرش الأردن لا تعرف أيًا من هذه العشائر، ولا يوجد ما يدلّ على وجود أسماء المواضع المذكورة، فمن الصعب التخيّل أن للرواية علاقة بالتاريخ الفلسطيني القديم. إن المكان الذي انتسبت إليه هذه الجماعة هو جرش، واليوم تنطق في صورة جرش وتقع في محافظة لحج في قطاع كبير يعرف تاريخيًا بـ(النعماني وفي التوراة نعمان). وأهم الأماكن في عموم هذه المحافظة جبل الشبر ـ شبريم، وبيت حرد ـ حرد في التوراة. أما أهمّ الأماكن في قطاع النعماني فهي جرش. كما توجد جرش أخرى في مديرية ميفعة عنس ـ في الجزء الشرقي من محافظة ذمار ـ . وهذه المديرية منطقة سهلية باستثناء عزلتين جبليتين فيها، هما يعر ـ يعر في التوراة، ووادي زبيد، وأجزاء من عزلتي إسبيل وجبل الدار ـ ءلدار في التوراة، حيث تنتشر مناطق جبلية وعرة فيها العديد من المرتفعات، منها جبل اللسي ـ وكان ينطق في عصر الهمداني في صورة لس (لسن) في عزلة الأثلاء، وهو جبل بركاني لا يزال في طور نشط، وجبل إسبيل في عزلة إسبيل، ومن اسم هذا الجبل جاء اسم إشبيلية في الأندلس الذي نقله المقاتلون من أصول حميرية، ثم جبل مثوة في عزلة جبل زبيد. وترتبط المديرية بمركز المحافظة من خلال طريق إسفلتي يمرّ وسطها ممتدًا إلى محافظة البيضاء، ويتفرع منه طريق إسفلتي آخر عبر منطقة ـ لا تزال تحمل صيغة موازية من الاسم نفسه: الجرشة ـ ويمر إلى مديرية الحدأ ـ حدا في التوراة. ونحن نعلم من التاريخ، أن بني المرار هم ملوك كندة (الذين ينتسب إليهم شاعر قديم هو امرؤ القيس اليمني) أما سُمعي، فهي ذاتها القبيلة ـ اتحاد قبائل يمنية ورد اسمها في نقوش المسند، وكانت تعرف بأنها قبيلة متشدّدة في الدين، ولها معابد خاصة، ففي النقش الموسوم بـ RES.4176 حيث يظهر أول نوع من طقوس الحج القديم في مأرب للإله السبئي (المقة) في معبد (أ و ا م) وهو محرم بلقيس، يذكر اسم القبيلة سُمعي في هذه الصورة. وكان طقس الحج هذا يقام في شهر محدد من السنة هو شهر (ذ / أ / ب/ هـ/ ي ـ ذا أبهي) ويستمر أكثر من تسعة أيام، يؤدي خلاله الحجاج مراسم وشعائر

الحج رجالًا ونساءً وأطفالًا وبشكل جماعي. وفي هذا النقش يخاطب الإله قبيلة سُمعي على النحو التالي (أمر تألب ريام ـ يهرخم، الرحم، الرحمن ـ أن لا تسهو ـ سمعي ـ عن الحج إلى معبد الإله المقة في مأرب بشهر أبهي في نفس الأيام المقدسة التي يحجون إليه) أي إلى الإله تألب. وقد اصطدم الآشوريون بقبيلة سُمعي مرات كثيرة خلال تسع حملات متواصلة في اليمن، وتذكر النقوش اسمها في الصورة ذاتها (سُمعي). ولأن جرش التوراة ترتبط بجيرانها من القبائل والمواضع، فسوف أتوقف عند بعضها. وفي هذا المقطع من الفصل أرغب في تبيان صلة هذا النص، بنص يشوع الذي يسجل فيه أسماء المواضع الأخرى التي أقامت فيها بعض الأسباط، ومنها موضع يدعي صين ـ صن. يُرسمُ اسم صن ـ صن في صورة صين، وهذا رسم مُضلل لأنه يؤدي إلى اختلاق موضع لا وجود له في فلسطين، بينما يجب أن يرسم في صورة ضن (بالضاد المعجمة)[1]، وهنا أودّ أن ألفت نظر القرّاء إلى أمر هام يتعلق بالعبرية الصنعانية *Sananite Hebrew* التي تعتبر اللغة الرسمية في إسرائيل، فاليهود من أصول يمنية يتكلمون بها كما يتكلمون اللغة العربية بإضافة الأحرف العربية مثل الثاء والجيم والطاء والظاء والصاد والضاد والذال والغين، كما يضيفون أثناء الكتابة النقطة فوق وتحت الحرف.

يقول النص العبري ما يلي في وصف منازل السبط:

(ـ مدبر ـ صن ـ جنبه ـ م ـ قصه ـ تيمن ـ ويهيه ـ لهم ـ جبول ـ نجب)

وهذه الجملة تُرجم تقليديًّا إلى:

(من برية صين إلى النقب جهة تيمان)

ترى ماذا يفهم المؤمن اليهودي والمسيحي وحتى القارئ العادي من هذه الآية في النص المقدّس: هل هناك صين أخرى في فلسطين يمكن الوصول

---

(1) تفتقد بعض لهجات اليمن القديمة لحرف الضاد. فالأبجدية الثمودية مثلًا وهي الأبجدية العربية القديمة نفسها، تفتقد إلى هذا الحرف.

إليها من النقب الصحراوي؟ تكمن مشكلة هذه الترجمة في تحريفيتها، وتلاعبها بالمقاصد المباشرة والواضحة واضطرارها الى إضافة كلمات من خارج النص. كما تكمن في عدم استيعابها لمعنى جبول ـ نجب واضطرارها إلى تقديم موضع على آخر في تسلسل النص، فهي وضعت النقب المزعوم قبل تيمن. كما أنهم ترجموا جملة (م ـ دبر) إلى (برية) بما أن دبر تعني في اللغة العبرية بالفعل برية، ولم يلاحظوا أن حرف الجر يجعل ممّا تخيلوه وصفًا، مكانًا بعينه هو وادي دبر(من ـ دبر). وكل هذا يجعل النص المترجم مصدرًا من مصادر الفوضى الجغرافية الراهنة. وفضلا عن هذا كله، يفتقد النصّ إلى ضبط عربي صحيح. ما يقوله هذا النص ببساطة هو التالي:

(من ـ وادي ـ دبر، ضين، وجنبا، ومن أقصاها تيمن وهي لهم قابل النجب)

وهذه مواضع معروفة أراد سارد النص من تسجيلها، التدليل على وجود طرق ومسالك تؤدي إلى منازل السبط من جهات عدّة. إن (جنبه ـ جنبا وعين رجل ـ رجله) هي مياه وعيون ماء ووديان على مقربة من جُرش اليمن. وكنا في ما سلف حددنا موضع جبل ضين شمال صنعاء، وهو من الجبال المباركة، ويقال إن النبيّ محمدًا ﷺ أوصى بأن يبنى مسجد صنعاء في هذا المكان. كما يروى في هذا السياق أنه أرسل إلى أهل اليمن رسلًا يعلمونهم أصول الدين، وكان من بينهم الصحابي وبر بن يوحنس الخزاعي، وأمره أن يبني مسجدًا في مكان محدد هو جبل ضين، وتحديدًا داخل بستان مواجه للصخرة التي في أصل ما يعرف بقصر غمدان الأثري. وهكذا، يمكن لنا أن نبلغ قدس اليمن؛ إذا ما سرنا من وادي دبر في مديرية سنحان شرق صنعاء، ثم اتجهنا شمالًا صوب جبل ضين المقدّس؛ حيث يلوح وادي التيم ـ التيمن من أقصاه في محافظة الضالع. وهذا هو بالضبط الطريق المؤدي إلى تعز. وتيمن ـ بإلحاق النون الكلاعية ـ هي التي قال فيها الشاعر الحكم الحَضري (حضَر محارب، ياقوت: 2: 79):

أباكِ والعينُ يَذْري دمعها الجزعُ بنعف تيمن مُصطاف ومرتبعُ

فهل تؤدي جرش الأردن إلى النقب؟ وهل هناك جبل ضين أو صين؟

الفصل الخامس

تأملات في وصف اليردن

دعونا الآن نقوم بتأملات أخرى في وصف التوراة لنهر ها ـ يردن، بهدف الكشف عن طبيعة التلاعب الاستشراقي بتاريخنا الذي لم يروَ بعد، ويا للأسف بصوتنا وظل يروى دون توقف بصوت الآخر؛ إذ تكشف لنا مقاربة مُتَحَسِّبَة لأسماء المواضع والأماكن التي أقام فيها السبط الإسرائيلي جد ـ جاد (أي قبيلة خولان جد) عن حقيقة هامة، مفادها أن هذه المواضع كانت تمتد من شرق صنعاء حتى عدن وحضرموت ومنطقة الجوف اليمني، أي شرق وغرب وادي مور وليس فلسطين. ولأن هذا السبط حصل على أرض إقامته من النبي موسى، كما تقول التوراة، فهذا يعني أنه أقام منذ وقت طويل سابق على عصر يوشع بن نون في ها ـ يردن. وهذا أمر في غاية الأهمية، لأنه يؤكد الوقائع الواردة في النص عن نمط الإقامة والسكن وعادات الاستقرار، وهو نمط يرتبط ببدايات انزياح القبائل البدوية العاربة عن العالم اللاعضوي(الصحراء) واتجاهها نحو الاستقرار في عالم عضوي، أي في أوطان جديدة خصبة في الجبال والأودية الساحرة الغنية بالخيرات. إن معاصر الزيتون وشبكات المناحل التي طوّرت صناعة العسل اليمني الشهير، كانت موضع فخر العرب واليمنيين في الجاهلية، وهي شاهد حيّ حتى اليوم على أهمية نمط الإقامة هذا. يقول النص العبري عن سبط جد ـ جاد (يشوع 13: 24) إنه حصل من النبي موسى على أراضٍ لسكنه وعشائره (أي بطون جد) تمتد فوق رقعة جغرافية واسعة ومعلومة. وسوف نفصّل كل ذلك في سياق تحليل النص:

ויתן משה למטה גד לבני גד למשפחותם ויהי להם הגבול יעזר וכל-עיר הגלעד וחצי ארץ בני עמון עד-ערוער אשר על-פני רבה ומחשבון עד-רמת המצפה ובטנים וממחנים עד-גבול לדבר ובעק בית הרם ובית נמרה וסכות וצפון יהר ממקבנות סיחון מלך חשבון הירדן וגבל עד-קצה ים-כנרת עבר הירדן מזרחה ואת נחלת בני-גד למשפחתם הערים וחצריהם

(ويتن ـ مسه ـ ل ـ مطه ـ ل ـ بني ـ جد ـ ل ـ مشفحتم ـ ويهي ـ لهم ـ ها ـ جبول ـ يعزر ـ وكل ـ ها ـ عري ـ ها ـ جلعد ـ وحصي ـ ء رص ـ بني ـ عمون ـ عد ـ عروعر ـ ءشر ـ عل ـ فني ـ ربه ـ وم ـ حشبون ـ عد ـ رمة ـ ها ـ مصفه ـ وبطونيم ـ وم ـ محنيم ـ عد ـ ها ـ جبول ـ ل ـ دبر ـ وب ـ عمق ـ بيت ـ هرم ـ وبيت ـ نمره ـ وصكت ـ وصفن ـ ويهر ـ م ـ ملكوت ـ سيحون ـ ملك ـ حشبون ـ ها ـ يردن ـ وجبول[1] ـ عد ـ قصه ـ يم ـ كنروت ـ عبر ـ ها ـ يردن ـ م ـ مزرحه ـ وءت ـ نحلت ـ بني ـ جد ـ ل ـ مشفحتم ـ ه ـ عريم و ـ حصريم) (وأَقْطَعَ موسى سبط بني جد ـ جاد؛ ولعشائرهم من بني جد ـ جاد، فكانت لهم القبَل من يعزر وجميع منازل جلعد ونصف ما مع أرض بني عمون، حتى عرعر التي مقابل ربه، ومن حشبون إلى رمة الصفا فالبطنات، ومن محنيم عند قابل ـ وادي ـ الدبر. وفي الجوف. و ـ في ـ بيت هرم وبيت نمره وسكوت وصفون ويتر. ومن السيح الكبير، وملك حشبون اليردن، والقابل حتى أقصى كنروت ويام عبر اليردن شرقًا غورهم وعزلاتهم بني جد وعشائرهم شرقًا)

إن أسماء الأماكن والمواضع الواردة هنا، لا تشير بأي صورة من الصور إلى جغرافية فلسطين أو الأردن قط، وليس هناك مكان أو موضع أو جبل واحد، يمكن تخيّل وجوده في الضفة الغربية، يتطابق أو يُفهم من مبناه أنه يشبه الأسماء والتوصيفات الواردة هنا، حتى ولو كان ذلك شكليًا، أو بصورة عرضية. لقد توخينا في ضبط أسماء المواضع وإلى أقصى حد ممكن، الدقة والحذر من أجل أن تبدو منسجمة ومتطابقة مع الرسم العبري،

(1) راجع في النصوص السابقة عن مدن الملجأ كيف أن اسم الموضع (القابل ـ جبول).

دون تحريف أو تلاعب لغوي. كما توخينا إنشاء النص بلغة هي الأقرب إلى ثقافة الجماعات القديمة التي كانت تحصل على الأرض كإقْطاع ديني. وهذا هو برأينا مغزى العبارة التقليدية في نصوص التوراة (ويتن - مسهٌ - ل - مطه **ויתן–משה-ל-מטה**) التي تعني برأينا: وأَقْطَعَ موسى لسبط، وليس (أعطى، وهب). وثمة، بكل تأكيد دلالة دينية أعمق تكمن في كلمة أقطع، ممّا هو عليه الحال في كلمة أعطى. وفي تاريخ الإسلام شواهد كثيرة عن إقطاع النبي محمّد ﷺ لرجال القبائل، الأرض والمياه والجبال، بوصف ذلك تقليدًا ثقافيًا، راسبًا ومستمرًا من تقاليد المِلكية الخاصة في عالم انتقال الجماعات من البداوة الأولى إلى الاستقرار، وظهور المواطن القبائلية وتشكّلها، أو ما يُعرف بالبلدان والأوطان - مثلما يُقال: بلاد طيّىء وبلاد تميم. ووطن أرحب، ووطن حاشد.الخ - . بكلام ثانٍ فإن كلمة أقطع لا تدل على العطاء بمقدار ما تشير إلى نوع من التّوافق الديني على امتلاك الجماعات أوطانًا معلومة ومعترفًا بها.

والقائمة أدناه هي خلاصة النص - وفيه نماذج من أسماء المواضع - :

الاسم بالعبرية	الضبط العربي
يعزر	العزُر
عرُعَرْ	عرُعر
رمة - المصفاه	رامة والمصفه
بطنونيم	البطنة - البطنات
محنئيم	المحن
لدبُر	الدبرة
يام	يام

سنبدأ بحثنا عن منازل السبط الإسرائيلي جد ـ جاد من اسم يعزور ـ العُزر في هذه القائمة ـ . وهو السبط الذي رأينا أن المقصود به قبيلة خولان جد (سبط جد).

ولمّا كنا رأينا أن سبط رءوبين أقام في مناطق قريبة من تعز وصنعاء وحجة، فهذا يعني أن بعض بطون سبط جد ـ جاد أقامت بالقرب منه، بحسب الوصف التوراتي، سواء في صنعاء نفسها أم في منطقة الجوف الملاصقة لها، بينما أقامت بطون وعشائر أخرى في المناطق المتاخمة نزولًا حتى تعز. فدعونا نفتش عن مواضعه ابتداء من هذه المحافظة. تقع قرية العُزر ـ يعزور (والياء في أول الاسم في لهجات اليمن ألف لام التعريف مثل يكرب ـ الكرب، يعرم ـ العرم والواو حركة إعرابية وليست حرفًا من أصل الاسم) ضمن عزلة جبلية جميلة تدعى الضعة، وتتبع إداريًّا مديرية الصلو في الجزء الجنوبي الشرقي من محافظة تعز. يحدها من الشمال والشرق مديرية خدير ـ خدير في التوراة، ومن الجنوب مديريتا المواسط وحيفان ـ حيف في التوراة، ومن الغرب مديرية المواسط. وتقدر مساحتها ب 89,3 كم^2، أما عدد سكانها فيبلغ 49,558 نسمة. يعني هذا أن السبط أقام في تعز التي تعرف بأنها من بين أقدم المدن في اليمن. وفي جوارها ما يعرف اليوم بمحافظة البيضاء حتى منطقة الجوف. أما موضع سكوت (سكّوت) فهي موضع قديم في عزلة حوامرة التابعة لمديرية ماوة في تعز. أي في المكان نفسه. ومن أجل تمكين القارئ من تتبع خريطة توزّع عشائر السبط (البطون) فسوف يتوجب الانتباه إلى أن بعض أسماء منازل هذا السبط، تتردد في هذا النص من جديد وسبق لنا الإشارة إليها. ويبدو أن سارد النص ـ وفي إطار تقاليد التوصيف الجغرافي القديم ـ كان حريصًا على إيضاح وتحديد الطرق والمسالك التي يمكن أن تؤدي إلى منازل سبط جد ـ جاد من الجوف حتى تعز ـ انظر الخريطة ـ ولذا قام بتوصيفها في سياق تحديد اتجاهات الطرق التي تؤدي إلى منازل جماعات أخرى مثل حشبون ـ الحواشب. وهذا أمر مفهوم تمامًا بالنسبة لساردٍ بدويّ الثقافة. وحتى اليوم، فإن البدويّ إذا ما سألته عن مضارب قبيلته، يقوم تلقائيًّا بالعمل ذاته: توصيف الطريق إليها عبر

منازل جماعات أخرى. والأمر الهام ـ في هذا النص ـ إشارته الى وجود منازل السبط في عمق التي نجدها ضمن جغرافية منطقة يافع التابعة لمحافظة أبين، وهي امتداد جغرافي لمحافظتي الضالع وتعز(وأصبحت محافظة ضمن التقسيم الإداري لليمن الجنوبي) أي في المكان نفسه الذي وجدنا فيه يعزر وسكوت. تقع يافع شمال شرق عدن بين خطي طول 45 ـ 46 درجة وخطي عرض 13 ـ 14 درجة، يحدها من الجنوب ساحل البحر ومن الشمال محافظة البيضاء، ومن الشرق مديرية لودر(مكيراس) ومن الغرب الضالع ومديرية حالمين ـ حالمين في التوراة. وهي بموقعها الجغرافي هذا تمثل الجهة الغربية لمحافظة أبين، والجهة الشمالية الشرقية لمحافظة لحج. وفي هذا الإطار، يجب أن نلاحظ أن اسم يافع يدلّ على المنطقة والقبيلة، وهي عرفت في نقوش المسند باسم دهسم أو دهس، وكذلك بـ سرو حمير. ولعل أقدم ذكر لها ورد في نقش النصر *RES. 3954* إذ أطلق عليها اسم (د هـ س م) عندما أصبحت ضمن أملاك المملكة الأوسانية، وقد ظلت كذلك حتى القرون الميلادية الأولى، حين ظهرت أسماء تاريخية جديدة مثل (بنو معاهر، وذي خولان). ويبدو أنها شكلت جزءًا من مملكة أوسع تضمّ يافع وأراضي البيضاء ورداع، وكانت تسمّى بأسماء ملوكها (ذو معاهر، وذي خولان، وردمان). وإذا ما واصلنا التفتيش في هذا الفضاء الجغرافي عن بقية المنازل، فسوف نجد أن بعضها يقع في ذمار وصنعاء والجوف. وطبقًا لهذا التوصيف، تكون عمق في منطقة متاخمة من جهة الشمال للحج وتعز. وبذلك يكون هذا السبط أقام منازله في هذا الجزء من اليمن صعودًا باتجاه منطقة الجوف، حيث ـ توجد على الطريق نحو هذه المحافظات ـ سلسلة من المنازل مثل، بيت نمره، وبيت هارم ـ هرم. فما هي الصلة بين كلمة الجوف اليمنية ـ العربية القديمة وكلمة عمق العبرية ـ العربية؟ وما هي القرابات اللغوية التي تجمعها مع كلمة وادي العربية؟

تعني كلمة جوف: الوادي العميق كثير المياه. وفي لسان العرب ـ مادة جوف ـ : الجوف من الأرض، أوسع من الشِّعْب تسيل فيه التلاع والأودية وله جرفة، وربما كان أوسع من الوادي. وعن ابن الأعرابي: الجوف: الوادي.

قال امرؤ القيس في معلقته الشهيرة: (الديوان، وشرح الأنباري: 80):

وَوادٍ كَجَوفِ العيرِ قَفرٍ قطعتُهُ   به الذئبُ يَعوي كالخليعِ المُعيّلِ

بهذا المعنى؛ فإن المواضع التي يصفها يشوع (ـ ب ـ عمق) أي في وادي عمق، هي مواضع بعينها أقام فيها السبط، وتسيل أو تصبّ فيها أودية كثيرة، وهذا هو الجوف. والكلمتان كما يُلاحظ، تتضمنان الدلالة ذاتها. وهذا هو برأينا المدلول المباشر للكلمة العبرية في هذا النص:(وفي عمق ـ أي في الجوف ـ بيت هرم وبيت نمره). كما أن الكلمة نفسها أطلقت على موضع بعينه يدعى عمق في شمال لحج. وهذا الموضع ليس هو المقصود حتى مع تشابه اسمه مع الاسم التوراتي، لأن التوصيف في النص يشير إلى وجود أماكن أخرى داخله، وهو أمر يدعونا إلى اعتبار المقصود منطقة الجوف، حيث توجد المواضع المذكورة بأسمائها التوراتية وقرب بعضها تمامًا. إن بيت الشاعر اليمني امرؤ القيس الذي يشبّه ببلاغة نادرة، الوادي العميق كما لو كان مثل جوف العير ـ أي الخيمة ـ ؛ إنما يلمح حصرًا الى الأغوار الخاوية من منازل القبائل، وهو بذلك يقوم بمُماهاة الوادي بالجوف (جوف العير). فهل تؤيد النقوش المسندية المكتشفة نص يشوع؟ دعونا ندقّق في المسألة. لقد ورد ذكر مدينة هرم في بعض النقوش المسندية، ومنها نقش يعود تاريخه إلى القرن السابع قبل الميلاد في صيغة (ه ـ ج ر ن/ه ر م م) أي هجر ـ مدينة ـ هرم. وهذا هو أول ظهور لاسم (هـ ـ ر ـ م) يذكر فيه المكرب كرب أل وتر بن ذمار علي، مكرب سبأ، اسم هرم في صيغته التوراتية تمامًا، ويؤكد فيه أنه (سلم ملك هرم) ملكية ماء ذي قنعان، وهي مياه غزيرة في منطقة الجوف، وكانت من أملاك ملك مدينة (ن ش ن) ـ نشأن أو ما يدعى اليوم السوداء ـ ولذلك، يجب أن تحيلنا صيغة كنعن العبرية إلى اسم قنعن ـ قنعان؟ فهي، برأينا الصيغة الأدق للتعبير عن اسم كنعن في بعض نصوص التوراة. وحين نقرأ النقش بدقة سنلاحظ أن الملك كرب، يبرّر هذا الإجراء، بالقول إن ملك هرم تمرد على سيادة ملك سبأ، وإنه يكافئه على تمرّده بتسليمه ملكية هذه المياه. ويعزو بعض علماء الآثار سبب اختفاء ذكر اسم هرم من السجلات ـ في القرون التالية ـ إلى تحول

الطريق التجارية البرية المارّة بوادي الجوف، نحو الطرق التجارية البحرية. ولعل أهم ما يميز هرم من المنظور الثقافي القديم ـ من بين مزايا استراتيجية كثيرة ـ وكما ارتأى علماء الآثار، أنها وبخلاف ممالك منطقة الجوف، كانت تتحدث بلهجة سبئية لها خصوصيتها التي تختلف عن اللهجة المعينية، خاصة في حرف الجر (من) الذي ينطق ـ أيضًا ـ بالمعنى نفسه في اللغة العربية الفصحى، بينما كان الحرف نفسه يكتب في بقية اللهجات اليمنية القديمة الأخرى في صورة (ب ـ ن ـ بن بمعنى من). ومدينة هرم اليوم[1] تل أثري دائري، أما المدينة القديمة فمطمورة تحت الرمال، إذ لم تشهد أي أعمال تنقيبية جيدة لتحديد بقايا الأسوار والمنشآت المعمارية. ويتعيّن عليّ بصدد هذه النقطة، أن ألفت أنظار القرّاء إلى حيرة مترجمي النص العبري حيال ورود كلمة(بن) في بعض النصوص، فهم تخيّلوها (ابن) فيما المقصود بها في سياق الوصف (من) مثلًا: بن بوهن: من بوهن إلى...الخ). لكن هرم التي اختفت من مسرح التاريخ، ما تزال تذكّر بأمجادها، فخلف تلك الأسوار أقيمت مؤخرًا مبانٍ طينية حديثة، تسكنها عشيرة آل علي التي أعطت اسمها للمدينة، فأصبحت تدعى (خربة آل علي). وعلى بعد 3 كم من هذه المدينة، يوجد معبد ضخم للإله (م/ ت/ ب/ ن/ ط /ي/ ن)[2] أحد آلهة المدينة. إن صيغة اسم الإله (مَتبنْ/ طين) هذه، يجب أن تحيلنا إلى فكرة أعمّ تتعلق بشكل تطور رسم اسم إله آخر هو فلس/ طين؛ فإذا كان الإله (تبن) بمعنى (الابن ـ التاء اللاصقة هي أداة تعريف منقرضة) يرتبط بتوصيف وظيفته (طين ـ تين، من الجذر العبري يتن بمعنى يعطي: الابن الموهوب، المُوهب ـ الذي وهبه الرب ـ المُعطى) أي إنه إله العطاء الابن ـ فهذا يؤكد لنا، أن اسم فلسطين يرتبط في الأصل بعبادة الإله فلس / تين ـ طين ـ

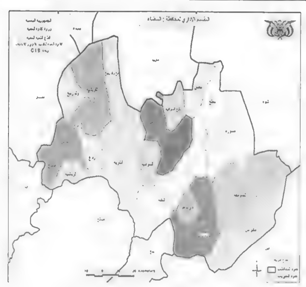
---

(1) المركز الوطني للمعلومات.

(2) على الأرجح يعود اسم هذا الإله إلى حقبة عبادة الكواكب، واسمه يشير إلى مجرة ـ درب التبانة ـ (تبن) وهو اسم تركته القبائل اليمنية في موضع يدعى إلى اليوم (تبن) وورد ذكره في التوراة. وما يؤيد ذلك أن معبده شبيه بمعبد بنات عاد (مثل بنات نعش).

بمعنى الإله الفلس المعطى، الموهوب. والمدهش أن الإله فلس في طقوس عبادته كما مارسته قبيلة طيىء، هو إله السرّة. وهذا هو بالضبط التصور الفلسفي لفكرة عبادة الإله الابن في المسيحية؟ أنه ربّ وابن في آن واحد. كما أن الأصل الأقدم لهذه الصورة الأخاذة، يرتبط بفلسفة وجود طفل معجزة، يتحدث في المهد. وهذا هو الطفل ـ الابن عيسى ابن مريم؟ والمثير للاهتمام، أننا حين ندخل معبد الإله متبن/ طين هذا نجد بعض الأعمدة الحجرية التي رسمت عليها رسوم، تشبه رسوم معبد (بنات عاد في السوداء). وهو أمر من شأنه أن يؤكد ـ من منظور أركيولوجي ـ أن المعبد ضارب في القدم. كما توجد في هذه الأطلال القديمة، بقايا مدينة (كمهنو) التي تعرف اليوم باسم خربة كمنة. تقع مدينة كمنة إلى الغرب من مدينة الحزم على بعد 9 كيلومترات إلى الجنوب من وادي مذاب. ويعود أقدم ذكر لهذه المدينة إلى القرن السابع قبل الميلاد،وهي واحدة من المدن التي ورد ذكرها في نقش النصر *RES 3945*. وفي هذا النقش يذكر كرب إيل وتر بن ذمار علي مكرب سبأ، أنه منح ملك كمنهو نبط علي، المدرجات والأراضي الزراعية التي كانت من أملاك ملك نشأن ـ السوداء حاليًا، مكافأة له لتمرده على السيادة السبئية.

ومن غير شك؛ فسوف يبدو وجود نقش من القرن700 ق.م يحمل اسم هرم في منطقة الجوف، أمرًا مطابقًا لجملة يشوع والقائلة: (وفي عمق: هرم). ذلك أن النقش أبعد من التاريخ الافتراضي لكتابة التوراة. تقع منطقة الجوف (عمق ـ عميق) التي انتشرت فيها مساكن السبط الإسرائيلي، شمال غرب اليمن، وتبعد عن العاصمة صنعاء حوالي (170) كيلومترًا وتتكون من 12 مديرية، تعتبر مديرية الحزم أهمها، وهي مركز المحافظة وتتوزع تضاريسها بين مرتفعات جبلية وهضاب وسهول واسعة ووديان زراعية خصبة وصحراوية ـ انظر الخريطة ـ . وفي هذا الفضاء الجغرافي المتناسق توجد نمره ـ نمران (وبالقرب منها عزلة ديان الجبلية ـ لاحظ صيغة الاسم دايان العبرية المستمرة في اللهجة الصنعانية اليوم) وهما تتبعان مديرية بني مطر التابعة لمحافظة صنعاء.



محافظة البيضاء ويلاحظ فيها أسماء منازل السبط جد

التقسيم الإداري لمديرية ناطع التابعة لمحافظة البيضاء وفيها ريمة ومصفا

وآل نمران من أهم القبائل التي أقامت في مخلاف العود ـ منطقه العود اليوم. والعود مخلاف قديم ما بين محافظة إب ومحافظة الضالع، وتوجد فيه سلسلة جبلية كبيرة. وفي هذا الفضاء الجغرافي ظهرت هضبات الصفا (ها ـ مصفه).

إن (مصفا) بهذا الرسم القديم، لا تزال تحتفظ باسمها حتى اليوم وفي المكان نفسه. وهذا أمر مدهش وغير مسبوق. وهاكم الأدلّة: يصف لنا نقش هام من النقوش الكثيرة التي عُثر عليها في معبد (معبدان ـ العبدان) في جبل الدومر،

ريمة الجبل الشامخ، بأنها واحدة من دويلات الدولة القتبانية، وفيها قبيلة تتبع أولاد (عم) ـ الإله (عم) الإله الرسمي لدولة قتبان. وتبعد ريمة عن صنعاء نحو (200) كيلو مترًا، وتقسم إداريًا إلى (6) مديريات، وتعتبر مدينة الجبين هي المركز الحقيقي للمحافظة. وما يميّز ريمة عن المناطق الأخرى، أنها تمتلك طبيعة وعرة وجبالًا شاهقة الارتفاع وجمالًا ساحرًا. وهذا هو برأينا مغزى وصفها بريمة (أي السامية، المرتفعة) وضبطها في اللغة العربية: ريمة، بفتح الراء وسكون الياء وفتح الميم المختوم بتاء التأنيث المربوطة. والطريف أنها صارت اسمًا مشتركًا لعدد كبير من المواضع في اليمن، منها مثلًا، ريمة المناخي في العدين (والمناخي والعدين تسجلهما التوراة بالصيغة نفسها: ريمة، مناخ، العدين) ثم ريمة حميد في سنحان، وريمة بني قيس (هنا جبل أيضًا) وذكرها المؤرخون باسم ريمة الكبرى، أو ريمة الأشابط نسبة إلى قبيلة الأشابط ملوك المخلاف. ولعل ما ورد عنها في كتب الأخبار القديمة يوضح أهميتها وجمالها، فقد استفاض هؤلاء في ذكر جمالها ووفرة مياهها وخصوبة أراضيها وجودة منتجاتها حتى سماها الأعراب بسكّاب اليمن. وحتى اليوم، لا يزال بوسعنا رؤية الاسم نفسه بصيغته العبرية (مصفا)[1] في مديرية ناطع ضمن عزلة آل سودان، حيث توجد محلة تحمل الاسم نفسه.

---

(1) إن كلمة رمهרמה العبرية، تعني بالضبط هضبة بيضاء. وهذا هو برأينا المقصود من الاسم، لأن ريمة الساحرة بجبالها الشاهقة ووديانها الرائعة تستحق مثل هذا الاسم. كما يُستخدم تعبير مصفه، وهي ذاتها الكلمة العربية الصفا في وصف الحجارة الصخرية السوداء. وقديمًا سمّت القبائل العربية الأولى، وكذلك شعراء الجاهلية، كل حجارة سوداء بركانية ومُنطفئة مُلتصقة بالأرض: حجارة صفا، بينما سمت الحجارة البركانية الساخنة أو الملتهبة حرّة.أما الحجارة الأكثر سخونة والتهابًا فسميت لابة، ومنها جاءت الكلمة الإنجليزية lava والاسم مصفه ـ صفا (الميم أداة تعريف يمنية منقرضة) توصيف للمواضع الصخرية ذات الطبيعة البركانية، كما هو الحال مع الصفا والمروة وهما من شعائر الحج. ويدلل وجود موضع يدعى رمة ـ ها ـ مصفه (هضبات الصفا) على أن البيئة التي تصفها التوراة، لا صلة لها ببيئة فلسطين، فهي ليست بيئة جبال بركانية ينجم عنها تلقائيًا، ظهور أماكن صخرية من هذا النوع. ولأن مصفه التوراتية التي يكثر الكلام عنها في نصوص =

وتتبع قرية ريمة المنسوبة للجبل مديرية ناطع هذه، وهي من المديريات الصغيرة في محافظة البيضاء الملاصقة لصنعاء وذمار- انظر الخريطة - . ولأن يشوع يضع مصفا هذه على مقربة من بطونيم، وعلى مقربة من يهر - ويام في صنعاء، كما هو مُبين في النص أعلاه؛ أي في المكان نفسه الذي نجده اليوم في جغرافية اليمن المعاصر، فإن نسبتها إلى فلسطين، تصبح في هذه الحالة نوعًا من اختراع للتاريخ لا للجغرافيا وحدها. والبطنة - بطونيم - بمعاملة الميم كأداة تعريف - هي اليوم في محافظة تعز وتحمل الاسم نفسه دون تحوير. وتعتبر البطنه التي أخذت اسمها من اسم الوادي، إحدى قرى منطقة السوا - سو في التوراة، عاصمة المعافر، وتقع الى الغرب من برك الغماد - برك في التوراة، وحصن القدم - قدموت في التوراة، ويقال إنها

= التوراة كاسم لمكان بعينه، ضمن قائمة منازل سبط جد - جاد؛ فإننا نعود إليها في سياق مُعالجة لغويّة لأداة التعريف اليمنية المُنقرضة (الميم الحمْيَرية) التي تدخل على الأسماء مثل: كمس - مكمس، سفر - مسفر. والأصل البعيد لهذه الميم (في العبرية التي قد تخلط بالميم والياء كأداة جمع أو تثنية) مصدرهُ لهجات أهل اليمن الذين ترعرع النص التوراتي، والديانة اليهودية القديمة في أكنافهم. لقد ظهرت اليهودية في اليمن وليس في كندا أو أستراليا. وهذا يعني أن أداة التعريف العربية الراهنة، تطورت أصلًا عن شكلين رئيسين، أحدهما الميم الحِمْيَرية، وثانيهما اللام دون همزة مثل، لدبُر في الدبر، ولحماس في الحماس. وحتى اليوم ينطق سكان المناطق البدوية العربية اللام هذه دون الهمزة أو دون ألف مهموزة مثل: لِبل في الإبل، لجبل، في الجبل. كما يمكننا العثور عليها في لهجات شمال أفريقيا العربية قاطبة: لخُضر في الأخضر، كما عند الجزائريين. وتروي مراجع اللغة العربية والمرويات الخاصة بلهجات عرب اليمن القدماء، وأشكال نطقهم للكلمات ما يلي: ظل الحِمْيَريون يستخدمون حتى وقتٍ قريب من الإسلام،الميم القديمة كأداة تعريف ملازمة للأسماء والأفعال؛ ففي بلد سفيان أرحب مثلًا، لا يزال السكان ينطقون بالميم القديمة على الرغم من فصاحة لسانهم، وهذا ما يشير الى قوة العادات الصوتية، فهم يقولون في الرجل «مرجل. ويشترك مع قبائل سفيان أرحب في إبدال الميم من اللام في الرجل والبعير، «مبعير - بعير، أمصفا - الصفا، أمصبار - الصبر، قبائل الأشعر وهم الأشيريون في التوراة من سبط «شير، وعك من أهل تهامة، وهؤلاء في التوراة هم عك اليمن - الذين تركوا اسمهم في مدينة عكا الفلسطينية.

سميت بهذا الاسم لأنها تقع على هضبة في بطن الوادي وتحيط بها عدة قرى، معظم سكانها من بني تميم. وكل هذه القرى تنتمي الى قرية البطنة،لأنها الأكبر والأقدم (ولأن سكانها يعتبرون أنفسهم امتدادًا تاريخيًّا لقرية عرفت بأنها قرية المشايخ من بني تميم). والمعافر هو التعبير القديم الذي قصد به أكبر أقاليم اليمن، ويشمل مساحة أكبر مما يسمى بمحافظة تعز التي تقع جنوب العاصمة صنعاء، فالمعافر تبعد عنها حوالي (256) كيلو مترًا. وفي هذا السياق، تمّت مكأفاة الاسمين يام وكنروت بـ(بحر الكنارات) وجرى تخيّلهما كموضع واحد في فلسطين يدعى (بحر الكنارات). وهذا أمر مثير للدهشة، لأن تصور اليردن على أنه الأردن لا يستقيم مع وجود (بحر) آخر قربه يدعى (كنارات). ولما كانت فلسطين لا تعرف في جغرافيتها مثل هذا البحر؛ فهذا يعني أنها لشدّة غموضها وسحرها كانت تعرف بحرًا الى الغرب من نهر الأردن، ولكنه اختفى ولم يعد له من أثر سوى اسمه التوراتي. بيد أن (يام) التي تُترجم الى (بحر) أينما وجدت في التوراة، هي مصدر هذا الالتباس؛إذ لا يوجد إلى الغرب بحر أو موضع يُدعى يام. والصحيح أننا نجد في العربية كلمة يم بمعنى البحر (مثل: ألقاه في اليم) لكن سيكون أمرًا مستحيلًا بالطبع، العثور على بحر قرب نهر الأردن؟ وعلى العكس من ذلك، يمكننا العثور على يام ים في صنعاء، وهو جبل شامخ وتاريخي لا يزال يحتفظ باسمه. وهكذا؛ فإننا نسير على خطى يشوع في محيط صنعاء حيث منازل السبط. وكنا تحدثنا ـ في الصفحات السابقة عن جبل يام ـ يم ـ . بقي أن نعيد التأكيد على أنّ مياه جبل ووادي يام، تشكل أحد أهم فروع وادي مَوْر. وهذا الوادي تسيل مياهه حتى نجران، مخترقة سلسلة من المواضع والأودية، ومُختلطة بمياه سيل كتاف. وكتاف ـ كتف כתף هذا، لا يزال يحمل الاسم نفسه، وهو من أودية محافظة صعدة، ودارت فيه مؤخرًا معارك بين الحوثيين والجيش النظامي اليمني. إن هذا التوصيف يتوافق كليًّا مع وصف يشوع. وبالطبع، فليس منطقيًّا إهمال وصفٍ من هذا النوع، يُذكر فيه اسم وادي كتاف في نصين ليشوع التوراة والهمداني وفي الفضاء الجغرافي نفسه. ولأن النص يشير إلى أن جبل يام

في أقصى الفضاء الجغرافي (عد ـ قصه ـ يم) فمن المؤكد أن ذلك ينصرف إلى وجوده قرب صنعاء، بالنسبة لشخص يصفه ابتداء من صعدة. واسم هذا الجبل يظهر في نقوش المسند[1] بكثرة، ففي نقش يعود إلى الملك شمر يهرعش، يسجل الملك، خبر هجوم شنته قواته على أسد وأرض تنوخ وسفلان ـ منطقة السفل وفي التوراة سفل שפל ـ وعلى يام ذي أبان. ولعل أهمية هذا المكان الفريد، تكمن في وجود مسيل مياه ذكرته التوراة باسم فراه ـ دون تصويت ـ

لقد نُسجت حول اسم فراه أساطير استشراقية مريعة، زعم خلالها كل من هب ودب من كتاب التاريخ القديم، أن المقصود به الفرات العراقي، وأن داود عبر هذا النهر. وفراه هذه باسمها الذي ما يزال مستمرًّا، هي مسيل مياه تتدفق تحت جبل يام في مديرية نهم من عزلة الحنشات التي تتبع إداريًّا العاصمة صنعاء. وفي وصفٍ موازٍ سبق لنا استخدامه لتمييز جبل يام عن بلاد يام، يوضح الهمداني جغرافية البلد يام المُتاخم لهمدان:

(صفة: 266): وليام وطن بنجران[2] نصف ما مع همدان منها ثم بلدهم). هذا التحديد الدقيق لتخوم بلد يام مثير للغاية، فهو يفسر عبارة يشوع (حصي ـ ء رص ـ بني ـ عمون) (ونصف ما مع أرض بني عمون).

---

(1) from Mahram Bilquis(Marib),Jamme,A. of South Arabian Inscriptions Sabaen Inscriptions نقوش (باقفيه) مختارات من النقوش اليمنية القديمة . د.محمد عبدالقادر بافقيه (وآخرون).

(2) ورد اسم نجران في نقش: (جام 579): ب/ ذ/ ت/ ت/ أ/ و / ل/ م/ ر/ أ/ هـ/ م/ و/ أ /ل /ش /د /ح/ ي/ ح/ ض/ ب/ م /ل /ك / س /ب /أ /و /ذ / ر/ ي/ د/ ن/ ب/ و/ف /ي / م/ ب /ن / س/ ب/ أ/ ت/ و/ ض/ب /ي/ أ/ س/ ب /أ /و /ض/ ب/أ /ب /ع /ل/ ى/ ذ/ س /هـ /ر / ة/ م / و /أ /ر/ ض/ ح/ م /ي / م ـ / و/ ن/ج/ ر/ ن/

وترجمته: وعاد أمراؤهم إلى الشرح يحضب ملك سبأ وريدان بالفيء والسبي وبضباء بعل ذا سهرت وأرض حمير ونجران.

ولنلاحظ التماثل في وصف الهمداني ويشوع عبر هذه المُقاربة:

مقاربة

يشوع	الهمداني
نصف ما مع أرض	ونصف ما مع همدان منها
بني عمون	بلدهم

في هذا السياق تبدو كلمة حصي חצי في النص العبري مُحيرة، فهي قد تعني وسط، نصف الخ (مثل: وسط أرض بني عمون) كما تعني نصف (نصف ما مع بني عمون) أو تعني حصة (حصة سبط).وفي كل الحالات؛ فإن فهمًا أفضل لها سيكون ممكنًا باستخدام لغة الهمداني، وسنرى أن استخدام سارد النص للكلمة ـ هنا تحديدًا ـ يشير إلى أن(حصي) اسم لوادٍ من أودية الساحل قرب منازل بني عمون، ولا يقصد به أيًا من المعاني السابقة. وكنا أشرنا إلى هذا الموضع إلى جوار هرم (صفة: 150 ـ 152):

جُرز اليمن الشرقي وهي بمنزلة تهامة في الغربي(..) وبيحان ويسقيها بلد ردمان وحصي(..) ثم ميزاب اليمن الشرقي وهو أعظم أودية المشرق كما مَوْر (. . .) ومخلاف ذي جُرة ويكلى وجهران وهران بسواد ذمار.

تُعد حصي[1] من المواضع الأثرية في الساحل اليمني، ولم يبق ـ اليوم ـ من معالمها شيء غير الهياكل والمساند (النقوش). وقد عثر علماء الآثار فيها

(1) عميدة محمد شعلان أستاذ آثار ولغات الجزيرة العربية المساعد، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة صنعاء، الجمهورية العربية اليمنية ـ **مجلة جامعة الملك سعود**، م17 الآداب، ص، ص429 ـ 439 الرياض 2005م اسم (المعبودة)، جاء في بعض أسماء النساء في النقوش اليمنية القديمة، مثل حصي نعم، حيتن نعم (ربما حيو نعم)، نعم سعد، تثوب نعم، ثوب نعم)، يوم نعم.وفي نقوش المسند يتضح أن بعض نساء اليمن القديم تسمت باسم حصي (حصي نعم) نسبة للإلهة نعم.

على تماثيل وكتابات تشير إلى معبد قديم. وإلى هذا كله، فقد كانت تعدّ عاصمة السرو الحقيقية، لكنها اختفت وعلى أنقاضها نشأت مدينة جديدة هي البيضاء. ولذلك يمكن فهم الجملة العبرية (حصي ـ ءر ص ـ بني عمون) بهذا المعنى (حصي، وأرض بني عمون). والملاحظ أن أراضي محافظة البيضاء تندرج ضمن ما يعرف قديمًا بأراضي دهسم، وهي الأراضي العالية من أراضي تبن، كما جاء في نقش النصر الموسوم بـ (RES. 3945 القرن السابع قبل الميلاد). وفي مطلع القرن الأول الميلادي، بدأت تظهر في الأراضي التي نطلق عليها الآن محافظة البيضاء، عدة قبائل قوية تعرف قديمًا باسم بيضاء حَصِي، لأنها كانت ضمن أملاك سرو مذحج حيث أصبحت مدينة حَصِي تمثل العاصمة رسميًا. وتوجد بمحافظة البيضاء الينابيع الطبيعية المعدنية والكبريتية التي يؤمها الناس للاستحمام، ومنها ـ نبع عرش بلقيس ملكة سبأ ـ أو ماكيدا التي يرسم اسمها في اللغة الجعزية في صورة ـ ንግሥተ ሳባ ونبع مديرية رداع هذا يستخدم من جانب السياح الأجانب للتداوي والاستشفاء. والبيضاء مؤلفة من مديريات عدة أهمها مديرية الصومعة. كما يطلق على السرو اسم حَصِي (السرو). يتبقى من سلسلة مواضع هذه القائمة (محنئيم). و(يهر) تعني كلمة محنئيم: مُخيمات (لاحظ الميم المنقرضة التي تحولت الى أداة تعريف) والجذر الثلاثي الأصلي للاسم العبري هو حنو الذي يقابله بالعربية الجذر نفسه بمعنى أقام، نزل، خيَم، عسكرَ ـ وهناك سلسلة من المواضع المعروفة عند العرب القدماء ذكرت بعضها التوراة مثل حنو ـ قرقر، وهو موضع المعركة الشهيرة في التوراة والتي وقعت بين الآشوريين والمصريين. وتسجل التوراة (صموئيل الثاني: 17: 22: 18: 7: من النص العربي، 17: 12: 25: من النص العبري) اسم هذا المكان ارتباطًا بحروب داود:

(ودود ـ بـء ـ محنئيم ـ وء بشالم ـ عبر ـ ءت ـ ها ـ يردن)

(وعاد داود الى المُخيمات، وعبر أبشالم اليردن)

لنلاحظ أن للاسم العبري محنئيم ـ محنيم صلة أخرى باسم الحنة أو الحنات في صيغة الجمع، والميم العبرية هي أداة التثنية والجمع، بينما الميم

الأولية هي الميم اليمنية التي استعملها اليمنيون القدماء كأداة تعريف: الحنات. ولأن مترجمي النص لم يجدوا مكافئًا مقبولًا لها - مع أنهم استعملوا الجذر نفسه في الكلام عن معسكر داود - فقد تركوا الاسم دون بديل أو مكافيء دلالي. وفي كتاب د. كمال صليبي (التوراة جاءت من جزيرة العرب) تمت مكافأة الاسم بالكلمة العربية معسكر، وهي كلمة معاصرة لا تنتمي الى النسيج القديم للنص؛ خصوصًا بالنسبة لجماعات بدوية متحاربة لا تعرف سوى كلمة الحنو بمعنى النزول في المكان والإقامة فيه ونصب الخيام - كما في اسم موضع حنو قراقر - وهو مكان عربي شهير في الإخباريات الكلاسيكية (انظر معركة قرقر في التوراة).إن نصوص التوراة تستعمل، فضلًا عن كلمة محنئيم تعبير (ب - ها - محنه) لا في معرض الإشارة إلى معسكر؛ بل في سياق الإشارة إلى جبل المحن (الجمع العربي من محنيم) شمال غرب صنعاء. ولا يزال هذا الجبل باسمه ووصفه القديم موجودًا إلى اليسار من جبل الهيم، وكان يسمى جبل عشر. وأهم ما يوجد فيه جرف منحوت في الصخر، جرى توظيفه واستخدامه كمقبرة، ويبلغ طوله حوالي خمسة أمتار وعرضه حوالي 6.32 م ويبلغ ارتفاعه 4م، ويتكون من مدخل ارتفاعه 2.23م وبعرض مترين مع حجرة صغيرة، إضافة إلى فجوة في الجدار على هيئة محراب صلاة، ويوجد في وسط الجرف حوض للماء ربما استخدم أثناء الطقوس الجنائزية. يقع جبل المحن ضمن جغرافية وادي ظهر - صهر في التوراة، أي شمال غرب العاصمة صنعاء، ويبعد عنها حوالي 14 كيلومترًا، وهو واد كبير اشتهر منذ عصور ما قبل الميلاد، وتشهد على ذلك المخربشات الصخرية التي تنتشر على صخوره.ويتضح من معطيات علم الآثار، أن هذا الوادي عرف الاستيطان البشري في عصور ما قبل التاريخ، وأن أول ذكر له ورد في نقوش القرن السابع قبل الميلاد - نقش النصر الموسوم بـ RES. 3945 ويبدو أن شهرة الوادي وجمال جباله، وخصوصًا جبل المحن - محنئيم هذا، قد أكسبته مزايا خاصة شجعت سكانه على مرّ التاريخ، لأن يبرعوا في فنون العمارة التي وصفها المؤرخون والرحالة، بأنها من أحسن بلاد الله عذوبة ماء وطيب هواء وجود تربة. ومن ذلك ما يعرف بدار الحجر، وهو بناء شامخ وجميل في صدر

الوادي. ويزعم بعض الأهالي أن دار الحجر، سميت بهذا الاسم نسبة إلى الصخرة التي شُيّدت عليها الدار. أما (يهر יהר) فنجدها باسمها القديم هذا (يهر) في محافظة لحج (مديرية يهر) ضمن عزلة تعرف باسم عزلة يهر إلى الجنوب الشرقي من صنعاء، ويحدها من الشرق وادي الأجبار ومن الجنوب السواد (ما يسميه الهمداني نقيل السود). ويبدو أن اسم العزلة جاء من اسم الوادي يهر في يافع المجاورة التي تحيط بها جبال شامخة. وعلى رؤوس تلك الجبال بقايا آثار، ارتأى علماء الآثار والمؤرخون بأنها كانت قديمًا جبالًا مقدسة، حيث أقيمت معابد لآلهة اليمنيين القدامى. وبين سلسلة الجبال المقدسة هذه تسيل مياه وادي يهر. ومن هذا التسلسل في منازل سبط جد[1] ـ جاد، يتأكد لنا أنه أقام في الفضاء الجغرافي شرق صنعاء ولحج ويافع والجوف اليمني وليس في فلسطين.

---

(1) في نقش دادان ـ ددن في التوراة، قرأ علماء الآثار الجملة التالية (كهف كبرال بن متع آل ملك ددن وثر ونعم به نار جد) وقد اختلف العلماء في المعنى المقصود بـ(جد) في هذا النص. واقترح بيستون أن تكون جملة(نار جد) قصد بها إله الحظ. ونظرًا للحاجة إلى استطرادات كثيرة فسوف نكتفي هنا بالقول إن جد (ومنها جدة اسم المكان، والجادة أي الطريق، تشير كلها إلى القدم والماضي البعيد، ومنه الجد والد الأب أي القديم).



ملحق الصور





آثار كانط



الحجور



الجوف



وادي السريح (حيث جبل قدس)



خرائب بيت بوس



حصن بيت بوس الذي استولى عليه داود



بلاد يام



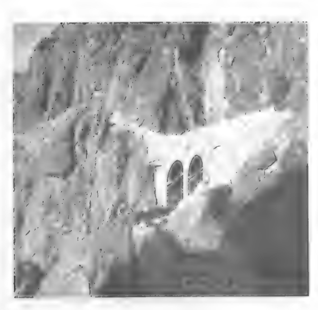
بيوت همدان



جبل هنوم



جبال تعز حيث جبل قدس المبارك



جبال هنوم



جبال هنوم



جبال هنوم



محمية برع حيث يوجد جبل قدس ذا البرع(قدس ـ برنع في التوراة)



جبل العروش (ما يعرف بالتوراة باسم العريش)



وادي مذاب



جبل ووادي دبرة



قدس وذا البراع (برع)



مور (ها ـ يردن اليمن)



وادي جبل الفرت



مخلاف السحول



سفح جبل ذيبان ـ ديبون التوراة



قدس ذا البراع ـ برنيع عزلة بني صلاح في جبل شمير



قدس ـ ذا البراع



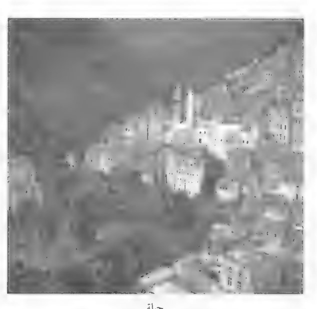
شلالات دمت



شلالات وادي بنا



خولان



جبلة



جبل قدس



جبل ضهر



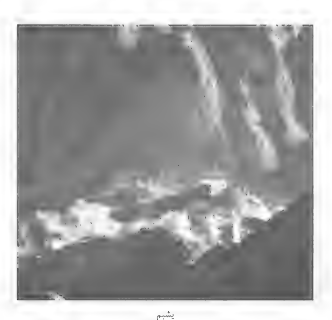
جبل شبام



جبل دود (داود)



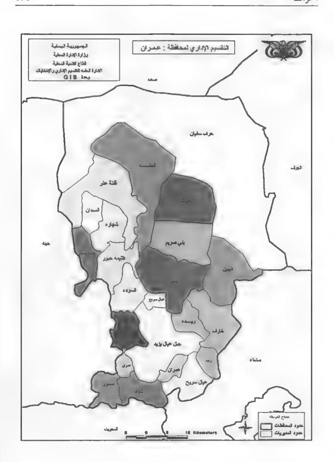
يهود صعدة

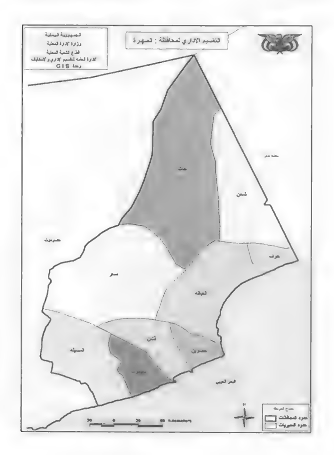


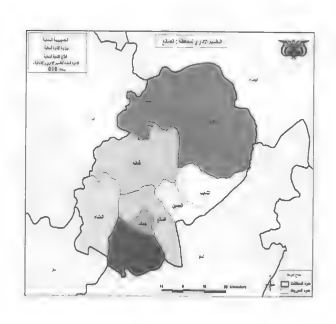
يشبم

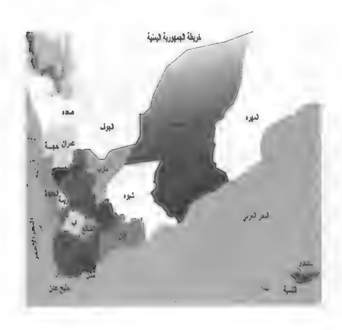
الخرائط

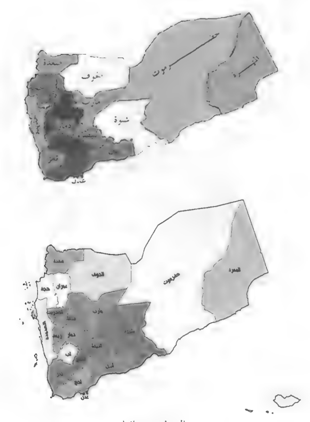



التقسيم الإداري لمحافظة : عمران
الجمهورية اليمنية
وزارة الإدارة المحلية
GIS
حرف سفيان
قفلة عذر
شهارة
بني صريم
ريدة
عمران
جبل عيال يزيد
خارف
صنعاء
حجة
المحويت
5 0 5 10 Kilometers
حدود المحافظات
حدود المديريات

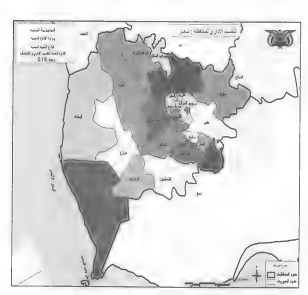

التقسيم الاداري لمحافظة : المهرة
الجمهورية اليمنية
وزارة الادارة المحلية
وحدة GIS




خريطة الجمهورية اليمنية
صعدة
الجوف
عمران حجة
مأرب
المهرة
شبوة
البحر العربي
عدن
خليج عدن
سقطرى



الجوف وجيرانها



الصلو



سنحان دار سلم



موقع جبل قدس وتظهر صنه ـ صنه وجبل سامع ومنازل بني يوسف
والكلابية ـ كلب في التوراة جيران سبط يوسف.
وها هنا يشموت ـ شماتين، وجبل هنوم

المصادر والمراجع

1: الهمداني: الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني **(صفة جزيرة العرب)** تحقيق: العلامة محمد بن علي الأكوع ـ سلسلة خزانة التراث ـ دار الآفاق التابعة لدائرة الشؤون الثقافية العامة: بغداد 1989.

2: الهمداني **(الإكليل: من أخبار اليمن وأنساب حِمْيَر)** الكتاب العاشر: في معارف همدان وأنسابها وعيون أخبارها، حققه وعلق عليه، محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، مكتبة الجيل الجديد ـ صنعاء 1990.

3: الهمداني **(الإكليل)** الكتاب الأول، تحقيق: محب الدين الخطيب، الدار اليمنية للنشر، دار المناهل، بيروت: 1987.

4: البكري: أبو عبيد بن عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، الوزير الفقيه المتوفى سنة 487 هجرية **(معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع)** حققه وقدم له ووضع فهارسه الدكتور جمال طلبة، دار محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998.

5: البكري **(معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع)** تحقيق: مصطفى السقا، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة: 1949.

6: الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري **(شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات)** تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف المصرية، 1980.

6: الكلبي: أبو منذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ـ المعروف بابن الكلبي ـ **(الأصنام)** تحقيق: أحمد زكي، الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة 1965.

7: الحموي: الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي المتوفى سنة 626 هجرية (**معجم البلدان**) تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان 1990.

8: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ـ دارالريان للتراث ـ 1407هـ / 1986م.

9: جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ـ 1980م.

10: فاضل الربيعي، **حقيقة السبي البابلي**، بيروت ـ دار جداول للنشر 2011.

11: فاضل الربيعي، **فلسطين المتخيلة: أرض التوراة في اليمن القديم**، مجلدان، دار الفكر ـ دمشق ـ ثلاث طبعات 2009.

12: فاضل الربيعي، **القدس ليست أورشليم** ـ الريس للنشر، بيروت 2010.

13: فاضل الربيعي، **يوسف والبئر** ـ الريس للنشر، بيروت 2008.

14: فاضل الربيعي، **المناحة العظيمة**، جداول للنشر ـ بيروت 2011.

15: د.محمد علي العروسي، **جازان في المصادر التاريخية القديمة** ـ قسم السياحة والآثار/ مواقع الكليات/كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

16: مطهر الإرياني: **نقوش مسندية وتعليقات**، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ـ اليمن، الطبعة الثانية، 1990.

17: ابن الضياء: **تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام**، ترجمة، تحقيق: علاء إبراهيم وأيمن الأزهري دار الكتب العلمية ـ بيروت 1997.

18: ابن الجوزي، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ـ دراسة وتحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية 1995.

19: أبو البقاء الحلي، **المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية** ـ تحقيق محمد عبد القادر خريسات، صالح موسى درادكة، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان الطبعة الأولى، 1984م.

20: دعبل بن علي الخزاعي **(الديوان)** تحقيق: إبراهيم الأميوني ـ 1998.

21: أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني** ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ القاهرة ـ 1970م.

22: السمهودي: **خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى** (أو: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى) تحقيق وتقديم د.: قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي 2001م.

23: ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ـ المحقق: محمد إبراهيم نصر ـ عبد الرحمن عميرة ـ دار الجيل ـ بيروت 2001.

24: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ** المحقق: أبو الفداء عبد الله القاضي ـ دار الكتب العلمية، بيروت 1987.

25: ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ـ شرح وتحقيق د. نزار رضا ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت، 2011.

26: المقريزي: **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار** (المعروف بالخطط المقريزية) 1998.

27: د. عبد الله علي الغش عطبشوش: **الصراع بين الممالك اليمنية القديمة أسبابه ونتائجه القرن 7 ـ 2 ق.م** ـ رسالة ـ دكتوراه ـ جامعة دمشق.

28: مرعي مبارك عائض بن ربُاع، رسالة جامعية ـ جامعة عدن ـ 2006.

29: محمد ناصر قاسم البكري، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء 2005.

30: حميد العواضي: **الألفاظ اليمانية وبناء المعجم التاريخي العربي** (ندوة دولية ـ المعجم التاريخي للغة العربية ـ قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية ـ فاس، 8 ـ 9 . 10 نيسان/أبريل 2010) تنظيم: مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) ومعهد الدراسات المصطلحية فاس ـ المغرب.

31: عميدة محمد شعلان أستاذ آثار ولغات الجزيرة العربية المساعد، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة صنعاء، الجمهورية العربية اليمنية ـ **مجلة جامعة الملك سعود**، م17 الآداب ـ الرياض 2005م.

32: محمد بن محمد العرشي، http://alarachi.maktoobblog.com

33: المركز الوطني للمعلومات ـ اليمن.

34: فراس السواح، **الجنرال الإلهي**، موقع الحقيقة ـ والأوان الإلكتروني، مشاهدة بتاريخ الجمعة 8 تموز (يوليو) 2011.

35: (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي) **تاريخ اليعقوبي** الناشر: مؤسسة ونشر فرهنگ ـ قم ـ إيران، ودار صادر بيروت.

36: الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** ـ دار الكتاب العربي ـ لبنان/ بيروت 1987م.

37: ابن المطهر، **البدء والتاريخ** ـ دار النشر: مكتبة الثقافة الدينية ـ بورسعيد، مصر.

38: القلقشندي، **صبح الأعشى**، دار الكتب المصرية. القاهرة ـ مصر ـ 1922.

39: المسعودي، **مروج الذهب** ـ دار الأندلس، بيروت، 1985.

40: بافقيه، محمد عبد القادر، ألفريد بيستون، ك. روبان ومحمود الغول، **مختارات من النقوش اليمنية القديمة**، تونس.

41: ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، موقع الوراق http:// www.alwarraq.com

from Mahram Bilquis(Marib),Jamme,A. of South Arabian Inscriptions Sabaen Inscriptions 1985.

42: تورة نبئيم ـ كتوبيم ـ بعبريت ـ وءنكليت

THE SOCIETY FOR DISTRUTING HEBREW SCRIPTURES 1Rectoty Lane. Edward. Middles H A87LF ENGLAND U.K

سيرة ذاتية

- مفكر وباحث عراقي تخصص في الميثولوجيا(علم الأساطير) ودراسات الكتاب المقدس واللغة العبرية.
- ولد في بغداد 1952.
- رئيس تجمع الأدباء والكتاب العراقيين.
- مقيم في هولندا منذ عام 1996 ويحمل الجنسية الهولندية.

شارك في مؤتمرات أدبية وفكرية عربية وعالمية منذ عام1974 وحصل على جوائز أدبية وشهادات تقديرية رفيعة.

- فاز مؤلفه (أبطال بلا تاريخ: الميثولوجيا الإغريقية والأسطورة العربية) بالجائزة الأولى للإبداع الثقافي كأفضل كتاب في الدراسات الأنثروبولوجية ـ الإنسانية والمستقبلية، القاهرة 2006 (مؤسسة الشاعر السعودي الراحل ناصر باشراحيل).
- حاصل على درع الرواد والمبدعين العرب (مهرجان وملتقى الرواد والمبدعين العرب ـ من مؤسسات الجامعة العربية) 2008.

نشر عددًا من المؤلفات في القصة والرواية والأدب والتاريخ الاجتماعي والسياسي العراقي والعربي والأنثروبولوجيا.

أصدر أكثر من ثلاثين مؤلفًا فكريًا وأدبيًا، وهنا بعض المؤلفات:

1: الشيطان والعرش (رحلة النبي سليمان إلى اليمن) بيروت، شركة رياض الريس 1996.

2: إرم ذات العماد: البحث عن الجنة ـ بيروت، الريس للنشر 1999.

3: كبش المحرقة: نموذج مجتمع القوميين العرب (طبعتان): الريس للنشر، بيروت 2000، دار الفرقد ـ دمشق 2006.

4: شقيقات قريش (الأنساب والطعام في الموروث العربي) بيروت، الريس للنشر 2001.

5: يوسف والبئر (أسطورة الوقوع في غرام الضيف) بيروت، شركة رياض الريس 2008.

6: أبطال بلا تاريخ: الميثولوجيا الإغريقية والأسطورة العربية(طبعتان) دمشق دار قدمُس للنشر، 2003، والفرقد 2005.

7: قصة حب في أورشليم (غرام النبي سليمان بالإلهة العربية سلمى) دار الفرقد للنشر، 2005.

8: الجماهيريات العنيفة ونهاية الدولة الكاريزمية ـ دمشق، دار الأهالي 2005.

9: الخوذة والعمامة: موقف المرجعيات الدينية من الاحتلال الأميركي للعراق ـ دمشق، دار الفرقد 2006.

10: ما بعد الاستشراق: الغزو الأميركي للعراق وعودة الكولنياليات البيضاء ـ بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 2007.

11: فلسطين المتخيّلة: أرض التوراة في اليمن القديم (مجلدان ـ خمسة كتب) دمشق، دار الفكر 2007.

12: الأسطورة والسياسة (بالاشتراك مع الباحث الراحل تركي علي الربيعو) منشورات دار الفكر ـ دمشق 2007.

13: العسل والدم: من عنف الدولة على دولة العنف، دار الفرقد، دمشق 2008.

14: من مجتمع القهوة إلى مجتمع الشاي: دولة الكانتون القبلي، دمشق، مركز الغد 2009.

15: المسيح العربي: النصرانية في جزيرة العرب والصراع البيزنطي ـ الفارسي ـ بيروت 2009 شركة الريس للنشر.

16: القدس ليست أورشليم: مساهمة في تصحيح تاريخ فلسطين، بيروت، الريس للنشر 2010.

17: الحرب والطائفية (بالاشتراك مع د. وجيه كوثراني) دار الفكر - دمشق 2010.

18: غزال الكعبة الذهبي: النظام القرابي في الإسلام، دار جداول - بيروت 2011.

19: حقيقة السبي البابلي: الحملات الآشورية على الجزيرة العربية واليمن، دار جداول - بيروت 2011.

20: المناحة العظيمة: الجذور التاريخية لطقوس البكاء في الجاهلية والإسلام، دار جداول، بيروت 2011.

21: إساف ونائلة: أسطورة الحب الأبدي في الجاهلية، دار جداول - بيروت 2012.

22: المراثي الضائعة (مساهمة جديدة في تصحيح تاريخ فلسطين) دار جداول - بيروت 2012.





| الكتاب |

في هذه المساهمة الجديدة، يعود الكاتب فاضل الربيعي لطرح نظرية مثيرة، تتطلب نقاشًا علميًا رصينًا، ويمكن تلخيصها على النحو التالي:

لم يعبر **بنو إسرائيل نهر الأردن**، **ويوشع بن نون** لم يفتح **أريحا الفلسطينية قط**. والتوراة لا تعرف **مأدبا** التي يزعم كثير من علماء الآثار أنها وردت فيها باسم **(ميدب)**. وبكل يقين، لم يدخل **الملك داود أورشليم** وحصن **بيت بوس** من ضواحي **دمشق** -لأن جغرافية بلاد الشام- لا تعرف هذا الحصن الجبلي ولا وجود لبقايا لغوية أو أثرية تدلّ عليه، **كما أن التوراة** لا تعرف (أريحا والأردن) في صورتهما هذه، بل في صورة مختلفة كليّة ولها علاقة بجغرافية أخرى.

وطبقًا لهذه النظرية التي يقدمها الربيعي؛ فإن **العبرانيين** لم يعبروا هذا النهر من قبل، ومسرح الأحداث التي تخيّلها واختلقها الاستشراقيون من التيار التوراتي وقاموا بالترويج لها، لا تتضمن بأيّ شكل من الأشكال المواضع والأماكن وأسماء القبائل الواردة في النصوص التوراتية. وفي الواقع، لا توجد في التاريخ القديم برمّته، حادثة من هذا النوع، نجم عنها ظهور جماعة بشرية سوف تُعرّف نفسها بأنها **جماعة عبرانية** نسبة **لعبور الأردن**. وكل ما قيل وكتب من مؤلفات ضخمة وكتب ودراسات وبحوث عن هذا الحادث، سواء في الثقافة العربية أم الغربية، هي بالنسبة للربيعي، أمر لا يتعدى حدود التلفيق المؤسس على الوهم.


ISBN 978-614-418-171-3

جداول Jadawel
www.jadawel.net